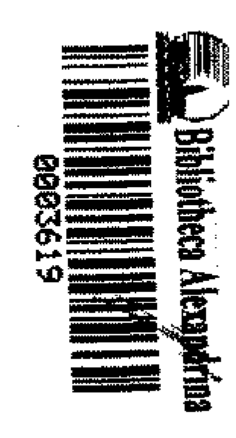
مصر والامبراطورية الرومانية
في ضوء الأوراق البردية

الدكتور
عبد اللطيف أحمد علي
أستاذ علم البردي والتاريخ اليوناني - الروماني
كلية الآداب - جامعة القاهرة

طبعة منقحة

١٩٨٨

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت



مصر والامبراطورية الرومانية

في ضوء الأوراق البردية

الدكتور

عبد اللطيف أحمد علي

أستاذ علم البردي والتاريخ اليوناني - الروماني

كلية الآداب - جامعة القاهرة

طبعة منقحة

١٩٨٨

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

إلى : زينب جعفر

UXORI CARISSIMAE

cui gratias semper ago.

DEDICATVM

عرفاناً بمآثرها الجمة !

ع.ا.ع

بيروت
آذار (مارس) ١٩٧٢

تصدير

حكم الرومان مصر حوالى سبعة قرون بدأت فى عام ٣٠ ق . م . بعد انتصارهم على كليوبطرة فى موقعة أكتيوم ، وانتهت فى عام ٦٤١م . بعد هزيمتهم فى موقعة حصن بابليون على يد عمرو بن العاص . ومع طول هذه الحقبة فليس فى المكتبة العربية ، فيما أعلم ، كتاب واحد عن تاريخها أو حضارتها . ولا يرجع ذلك إلى قلة المصادر ، لأن بين أيدينا عن هذه الحقبة وفرة منها ، بل عندنا منها ما يفوق فى وفرته مصادر أى حقبة أخرى ، فلدينا مؤلفات الكتاب اليونان والرومان التى تتناول تاريخ مصر فى العصر الرومانى بطريق مباشر أو غير مباشر ، ولدينا برديات لا حصر لها معظمها باليونانية ، وقليل منها باللاتينية أو بغير هاتين اللغتين ؛ ولدينا كذلك نقوش ومسكوكات وشقافات ولوحات خشبية وبرنزية وتمائم وشواهد جنائزية ، وهى فى مجموعها زاخرة بالمعلومات عن تاريخ مصر ومظاهر حضارتها كافة . ثم لدينا آثار أخرى كالمعابد والمقابر والحمامات والتماثيل والأوانى والمسارج التى تلقى بدورها أضواء باهرة على الحياة الاجتماعية والدينية والفنية فى ذلك العصر . فما السبب إذن فى خلو المكتبة العربية من المؤلفات فى تاريخ هذه الفترة ؟ من الخطأ أن يقال إنها لا تلقى العناية اللائقة لأنها كانت فترة احتلال أو لأن مصر لم تكن فيها سوى بقرة حلوب يستنزف لبنها أو شاة يجز صوفها أو ضيعة اقتصر دورها على مد روما بالمال وتموينها بالغلال . لقد مرت مصر بفترات احتلال أخرى ذاقت فيها الأمرين ومع هذا فقد حظيت وما تزال تحظى بعناية الباحثين المصريين الذى وضعوا كتباً غير قليلة فى تاريخ هذه الفترات . إن خلو المكتبة العربية من الكتب التى تعالج تاريخ مصر الرومانية يرجع إلى عدة عوامل من بينها قلة عدد

المتخصصين ، وصعوبة لغة المصادر ، كما يرجع ، فى اعتقادى ، إلى غزارة هذه المصادر ، فهى من الكثرة بحيث يكاد يستعصى على باحث واحد أن يلم الآن شعثها أو يحيط بها إحاطة تامة . ويزيدها صعوبة أنها تتضخم باستمرار ، فلا يكاد الباحث يفرغ من بحث موضوع معين حتى يجد نفسه قد تخلف عن الركب : يجد وثائق جديدة قد نشرت فيضطر إلى إضافة الجديد إلى بحثه أو حذف ما لا يستقيم معه أو تعديله أو العدول عنه ! فإذا أضفنا إلى ذلك أن كثيراً من هذه الوثائق البردية ممزق يتعذر أحياناً قراءته و بالتالى يتعذر تفسيره أو يحتمل أكثر من تأويل ، وأنها غير متكافئة من النواحى الزمنية والمكانية والموضوعية ، أدركنا بسهولة علة إحجام المتخصصين القلائل عن كتابة تاريخ هذه الفترة . وليس أدل على ذلك من أن أحدث مرجع أجنبى عام فى تاريخ مصر الرومانية قد مضى عليه الآن حوالى أربعين سنة . وعلى الرغم من وفرة البحوث التى تعالج موضوعات خاصة فى تاريخ مصر فى عصر الرومان فإننا نفتقر إلى مرجع عام واحد يعالج هذه الفترة علاجاً شاملاً فى ضوء الأوراق البردية التى نشرت فى السنوات الأربعين الأخيرة .

وإذا كانت المكتبات الأوربية والأمريكية فى حاجة إلى كتاب جامع فى تاريخ مصر الرومانية فما أشد حاجة المكتبة العربية إليه . غير أن تأليف مثل هذا الكتاب يتطلب جهداً شديداً ووقتاً طويلا . لذلك رأيت أن أكتفى بكتابة فصل واحد منه يتناول فى جوهره الجانب السياسى من علاقات مصر بالإمبراطورية الرومانية ، أو بالأحرى أحداث الإمبراطورية التى أثرت فى مصر وأحداث مصر التى أثرت فى الإمبراطورية . وقد آثرت أن أستعرض تلك التطورات السياسية فى ضوء النصوص والنقوش و بخاصة الأوراق البردية منذ الفتح الرومانى (٣٠ ق . م) حتى عصر دقلديانوس (٢٨٤ م) . وليس فى وسعى الآن

أن أعالج تاريخ الفترة التالية (٢٨٤ — ٦٤١ م) — وهي ما تعرف بالعصر البيزنطي — مع أنها تمثل في حقيقة الأمر الحلقة الأخيرة من تاريخ مصر الرومانية ، ووصلتنا منها مئات البرديات التي لم تنقل بعد إلى العربية . ولعل الوقت يتسع فأتبع هذا الفصل من تاريخ مصر الرومانيــة بفصول تتناول جوانب أخرى كالإدارة والقانون والجيش والحياة الاقتصادية والاجتماعية . . . الخ حتى تكتمل صورة الحياة في مصر أثناء تلك الحقبة ثم تظهر في شكل كتاب واحد يحمل عنوان « تاريخ مصر في عصر الرومان » .

وكم كنت أود أن أورد في هذا الكتاب أصول النصوص والنقوش والبرديات اليونانية التي قمت بترجمتها إلى العربية . غير أن افتقار معظم المطابع إلى حروف الأبجدية اليونانية وارتفاع تكاليف طباعتها جعلني أكتفي بإيراد اللاتينية منهـا دون اليونانية . وعلى أي حال فقد أشرت في الهوامش إلى مواضع النصوص وأرقام الوثائق المنشورة بحيث لن يجد القارئ أي صعوبة في الرجوع إلى أصولها عند الحاجة .

ولعل ما قمت به من محاولة أولية لترجمة هذه الوثائق إلى العربية يحث غيري على المشاركة في تعريب بقية هذه الوثائق ، وهي آلاف كثيرة ، وينبه الهيئات العلمية إلى ضرورة العناية بوثائق تاريخ مصر في زمن البطالمة والرومان . وتاريخ هذه الفترة أولى من غيره بالعناية لأن أبوابه تكاد تكون موصدة في وجه عامة الناس ، وأكاد أقول موصدة في وجه عدد كبير من المثقفين . أو ليس من العيب ، ومصر هي بلد أوراق البردي ، ألا تنهض هذه الهيئات بتعريب ما نشر من هذه الأوراق ؟ إن أي مشروع في هـذا السبيل خليق أن يجنبنا الاعتماد على المراجع الثانوية كل الاعتماد ، ويكسب مؤلفاتنا طابع الأصالة فضلاً عن أنه يسد ثغرة في تاريخنا الوطني ويحفظ تراثنا القومي .

وفقنا الله إلى ما فيه خير الوطن .

بيروت آذار (مارس) ١٩٧٢ عبد اللطيف أحمد علي

الفصل الأول

مصر والجمهورية الرومانية

١ — مقدمات الفتح الروماني :

تحولت مصر من مملكة مستقلة اثناء حكم البطالمة إلى ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانيـة في عام ٣٠ ق.م . وكانت المعركة التي جسمت مصيرها هي معركة أكتيوم البحرية التي نشبت في عام ٣١ بين قوات أنطونيوس وكليو بطرة من ناحية وقوات أكتافيانوس من ناحية أخرى . غير أن هذه المعركة لا تمثل في الواقع سوى مرحلة أخيرة من مراحل تطور العلاقات بين جمهورية روما ومصر البطلمية . ولا يتسع المقام لسرد تفاصيل هذه العلاقات منذ بدايتها لأن هذا الكتاب لا يعالج إلا الفترة التي كانت فيها مصر إحدى ولايات الإمبراطورية . ويحسن القارىء صنعاً لو أنه اطلع على أي مرجع عام عن الجمهورية الرومانية أو مصر البطلمية حتى يمسك بخيط هذه العلاقات من أوله ويتتبع أدوارها المختلفة فيزداد فهمه للعوامل التي أدت إلى وقوع مصر في يد الرومان . وحسبي هنا أن أمهد للموضوع الأصلي بعرض سريع لتطور هذه العلاقات في ضوء بعض النصوص والوثائق الهامة[١]

---

(١) عن العلاقات الأولى في القرن الثالث ، أنظر كتاب :

M. Holleaux, *Rome, la Grèce, et les Monarchies Hellénistiques*, Ecole Française d'Athènes et de Rome, Paris, 1921.

والمقالات التالية :

C.F. Lehmann-Haupt, "Der erste syrische krieg und die Weltlage um 275-272 v. Chr.", *Klio* 3 (1903), pp. 496-547, esp. p. 537 f.
Th. Walek, "La Politique romaine en Grèce et dans l'Orient hellénistique au IIIe Siècle", *Rev. Phil.* 49 (1925), pp. 118-142; 50 (1926), pp. 42-66.
E. Manni, "L'Egitto tolemaico nei suoi rapporti con Roma", *Riv. Filol. Class.* (1949), pp. 79 ff.
L.H. Neatby, "Romano-Egyptian Relations during the Third Century B.C.", *T.A.P.A.*, 81 (1950), pp. 89-98.

تحدثنا بعض المصادر القديمة بأن العلاقات بين مصر وروما ترجع إلى أيام بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) الذى يعتبر عصره أزهى عصور البطالمة (٢٨٣ — ٢٤٦ ق . م .)[1] . وقد بدأ الدور الأول منها عندما أرسلت مصر إلى روما فى عام ٢٧٣ سفارة[2] . فجاءتها من روما سفارة فى نفس العام[3] ، وما يزال الغرض الحقيقى من تبادل هذه السفارات مثار خلاف بين الباحثين ، إذ يرى فريق منهم أنها كانت ترمى إلى تدعيم أواصر الصداقة بين بلدين أحدهما بدأ نجمه يصعد فى الأفق الدولى ، بينما اشتهر الآخر بأنه أغنى مستودع للقمح فى العالم الهلينستى . وفى رأى فريق آخر أنها كانت ترمى إلى تنمية العلاقات التجارية بين مصر والجمهورية الرومانية . وثمة فريق ثالث يذهب إلى أن القصد منها كان عقد محالفة سياسية بين الدولتين . وقد لاحظ بعض علماء المسكوكات أن أقدم مجموعة من النقود الرومانية (المتداولة فى كپانيا) من فئة الدراخمتين التى ضربت فى عام ٢٦٩ تحمل شبهاً كبيراً لمجموعة من النقود البطلمية من فئة العشر دراخمات التى ضربت بمناسبة وفاة أرسينوى فيلادلفوس فى عام ٢٧٠[4] . هذا الشبه ، إلى جانب اعتبارات أخرى ، يرجح الرأى القائل بأن الهدف من تلك الاتصالات كان عقد معاهدة اقتصادية ، وأن الظروف السياسية هى التى أملتها[5] .

---

(١) السنوات المذكورة فى هذا الفصل كلها قبل الميلاد إلا إذا نص على غير ذلك .

(٢) Eutropius, II, 15.

(٣) Valerius Maximus, IV, 3, 9; Dionysius Halic, XX, 14; *cf.* Livius, *Perioch.* 14.

وأنظر :

T.R.S. Broughton, *The Magistrates of the Roman Republic*, Am. Phil. Assoc. Monogr. No. XV, vol. I (1951), p. 197.

(٤) يتضح من بردية نشرت أخيراً (P. Hibeh II, 199) أن أرسينوى قد ألهت (مع أخيها وزوجها بطلميوس الثانى) أثناء حياتها فى عام ٢٧٢/٢٧١ ، لا بعد وفاتها كما كان يظن من قبل .

(٥) Neatby, "Romano-Egyptian Relations during the Third Century B C", *T.A.P.A.* 81 (1950), pp. 92-97;

ويضيف الأستاذ نيتبى أن هناك أيضاً مصدراً متأخراً (Chronicum Paschale) يروى =

وقد ظلت العلاقات قائمة بين مصر وروما خلال القرن الثالث ، ولدينا من القرائن ما يدل على أنها أخذت تخرج فى أواخر ذلك القرن عن نطاقها الودى أو الاقتصادى وتتخذ مظهراً سياسيا . فمن بين الوثائق التى تشير إلى وجود الإيطاليين فى مصر بردية يتبين منها أن جماعة من إقليم كمپانيا كانت تقيم بإقليم أرسينوى (الفيوم) عام ٢٣٦ — ٢٢٥[1] . ويرجح ذلك احتمال حصول مصر

= أن أول عملة فضية رومانية صدرت فى عام ٢٧٣ . وهذا غير صحيح . لكن يلاحظ أن أجولنيوس (Ogulnius) وفابيوس (Fabius) اللذين أصدرا ، بوصفهما قنصلين ، أول عملة فضية فى عام ٢٦٩ ، كان أحدهما وشقيق الآخر عضوين فى السفارة الثلاثية التى رأسها جورجيس (Gurges) إلى بلاط بطلميوس فى عام ٢٧٣ ، مما يعزز الاحتمال بأن قرار سك هذه العملة اتخذ فى ذلك الوقت . فإذا أضفنا التوافق فى تاريخ سك العملتين ، والتشابه بينهما ، واستمرارهما حوالى نفس الفترة ، أفلا يرجح ذلك عقد اتفاق اقتصادى أو معاهدة تجارية بين مصر وروما فى عام ٢٧٣ ؟ وفضلا عن ذلك فإن ثلاثة من الثقات فى علم المسكوكات متفقون على أن روما لم يكن فى وسعها أن تسك عملة فضية فى عام ٢٦٩ دون استيراد ذلك المعدن من دولة أجنبية . ويستبعدون استيراده بكميات كافية سواء من تارنتوم التى لم تكن قد أفاقت بعد من صدمة التخريب الذى أنزلته بها قوات پيرهوس (Pyrrhus) المرتزقة ، أو من قرطاجة التى لم تجد بعد تخلص روما من پيرهوس ، ما يضطرها إلى مساعدتها على الوفاء بالتزاماتها المالية . لم يكن هناك إذن سوى مصر التى تستطيع أن تمد روما بهذا المعدن . وثمة دليل آخر على الارتباط بين العملة البطلمية والعملة الرومانية فى تاريخ متأخر . ففى عام ٢١٧ حدثت فى مصر اضطرابات اقتصادية بسبب ندرة الفضة ترتب عليها هبوط نسبى فى قيمة النحاس ، وحاولت الحكومة البطلمية تخفيف الضائقة المالية فى عام ٢١٠ بإصدار عملتها على قاعدة النحاس النقدية مضحية بما تبقى لها من تجارة خارجية فى سبيل استقرار الأحوال الداخلية . لكن من الغريب أن روما عانت هى الأخرى أزمة مالية فى عامى ٢١٧ ، ٢٠٩ . ففى السنة الأولى عند ما نشأت عن التضخم المالى اضطرابات اقتصادية فى مصر ، خفضت روما وزن عملتها (الآس) من ١٠ أوقيات إلى ٦ أوقيات بمقتضى قانون فلامينيوس . ولما سكت مصر عملتها على قاعدة النحاس فى عام ٢١٠ ، هبط وزن الآس الرومانى فى العام التالى إلى ٣ أوقيات ، وناشدت الحكومة الرومانية المواطنين أن يسلموا للخزانة العامة ما فى حوزتهم من ذهب وفضة . ومن المستبعد أن يكون هذا التوافق كله وليد الصدفة .

(١) *P. Petr.* III, 19 f., l. 4, *cf.* F.M. Heichelheim, "Die auswaertige Bevoelkerung im Ptolemäerreich", *Klio*, Beiheft 18, N.F., Heft 5 (1925), pp. 80-82; Neatby, *T.A.P.A.* 81 (1950), p. 97.

على حق تجنيد المرتزقة من ذلك الإقليم الإيطالى ، وهو موطن المامرتينى (Mamertini) الذين كان تدخلهم فى شئون صقلية أحد أسباب قيام الحرب البونية الأولى . وجدير بنا فى هذا المقام التنويه إلى نص درج الباحثون على إغفاله :

« فعند انتهاء الحرب البونية الأولى — التى استغرقت اثنتين وعشرين سنة — أرسل الرومان ، وقد بلغوا ذروة المجد ، سفراء إلى بطلميوس (يورجتيس الأول) ، ملك مصر ، وبذلوا له الوعود بالمساعدة ضد أنطيوخوس ، ملك سوريا الذى شن عليه الحرب . ولم يقبل بطلميوس العرض شاكرا لأن القتال كان قد انتهى » [١] . وليس من المحتمل أن تتعهد روما بعد خروجها مجهدة من حرب كالحرب البونية الأولى بإرسال نجدات عسكرية إلى الشرق . غير أن هذه الرواية قد تكون صدى لحقيقة أخرى ، وهى استمرار العلاقات الودية بين مصر وروما ، وتبادل المعلومات العسكرية بين قوتين يهم كلاً منهما الاحتفاظ بالأوضاع القائمة فى حوض البحر المتوسط دون تغيير . وقد يزيد النص التالى طبيعة هذه العلاقات وضوحا . ففى عام ٢٠٠ ، أى بعد انتهاء الحرب البونية الثانية مباشرة ،

« أرسل الرومان إلى ملك مصر (بطلميوس إبيفانيس) ، سفارة من ثلاثة أعضاء هم نيرون ولبيدوس وتوديتانوس ، ليعلنوا له نبأ هزيمة هنيبال ، وليشكروه على ولائه الذى لم يتزعزع فى الوقت العصيب الذى تخلى فيه عن الرومان أوثق حلفائهم ، راجين منه أن يظل على ولائه القديم للشعب الرومانى إذا ما حدث أن أعلن الرومان الحرب على فيليب (الخامس ملك مقدونيا) مدفوعين بالاساءات التى لحقتهم على يديه » [٢].

---

(١) Eutropius III, 1: Finito igitur Punico bello, quod per viginti duos annos tractum est, Romani, iam clarissima gloria noti, legatos ad Ptolemaeum, Aegypti regem, miserunt, auxilia promittentes, quia rex Syriae, Antiochus, ei bellum intulerat. Ille gratias Romanis egit, auxilia non accepit, iam enim fuerat pugna transacta.

(٢) Livius XXXI, 2, 3-4: Interim ad Ptolemaeum, Aegypti regem legati tres missi, C. Claudius Nero, M. Aemilius Lepidus, P. Sempronius Tuditanus, ut nuntiarent victum Hannibalem Poenosque et gratias agerent regi, quod in rebus dubiis, cum finitimi etiam socii Romanos desererent in fide mansisset, et peterent, ut, si coacti iniuriis bellum adversum Philippum suscepissent, pristinum animum erga populum Romanum conservaret.

ولم يلبث بطلميوس أن أوفد إلى روما سفارة لتعلن باسمه :
« أن الأثينيين قد سألوه المعونة ضد فيليب ، ولكنه لن يرسل الى بلاد الاغريق — على الرغم من ان أثينا حليف مشترك — أسطوله أو جيشه سواء للدفاع أو الهجوم دون موافقة الشعب الرومانى . فإذا شاء الرومان الدفاع عن حلفائهم ، فسيبقى فى مملكته ساكنا ، أما إذا آثروا الا يتخذوا أية خطوة ، فان بطلميوس على استعداد لأن يرسل قوات فى وسعها أن تحمى أثينا من عدوان فيليب . وقد شكر السناتو الملك وأبلغ السفراء أن الشعب الرومانى قد اعتزم حماية حلفائه ، فإذا احتاجوا للمعونة فى تلك الحرب ، فسوف يخبرون بطلميوس لثقتهم بانه فى وسعهم دائما الاعتماد على موارد مملكته لسد حاجات الجمهورية » (١) . وبرغم ما يكتنف هاتين الروايتين من شك ، فليس فى الاستطاعة إغفالها أو انكارهما تماما ، بل ينبغى اتخاذهما قرينة على أن مصر قدمت لروما أثناء حربها ضد هنيبال مساعدات نقدية أو عينية وفقاً لتفاهم ضمنى أو صريح ، وأن ثمة اتفاقاً كان قائماً بينهما منذ أيام بطلميوس فيلادلفوس القصد منه فيما يبدو حفظ التوازن السياسى فى بلاد الإغريق .

ولم يأت القرن الثانى ق . م . حتى كانت هذه العلاقات قد انتقلت إلى دور جديد ، وهو دور التدخل السياسى من جانب الرومان فى شئون البطالمة (٢) . وكانت روما فى تلك الأثناء قد ازدادت قوة بينما ازدادت مصر ضعفا ، حتى طمع فى ممتلكاتها الخارجية كل من فيليب الخامس ، ملك مقدونيا ، وأنطيوخوس الثالث ، ملك سوريا ، وقيل إن معاهدة سرية عقدت بينهما لاقتسام هذه

---

(١) Livius XXX. 9, 1-5: Legati a rege Ptolemaeo venerunt, qui nuntiarent Athenienses adversus Philippum petisse ab rege auxilium; ceterum etsi communes socii sint, tamen nisi ex auctoritate populi Romani neque exercitum defendendi aut oppugnandi cuiusquam causa regem in Graeciam missurum esse; vel quieturum eum in regno, si populo Romano socios defendere libeat, vel Romanos quiescere, si malint, passurum atque ipsum auxilia, quae facile adversus Philippum tueri Athenas possent, missurum. Gratiae regi ab senatu actae responsumque tutari socios populo Romano in animo esse; si qua re ad id bello opus sit, indicaturos regi regnique eius opes scire subsidia firma ac fidelia suae rei publicae esse.

(٢) عن علاقات مصر وروما فى القرن الثانى ، أنظر :
H. Winkler, *Rom und Aegypten im 2. Jahrhundert v. Chr* (Diss Leipzig), 1934.

الممتلكات[1] . وهكذا سنحت لروما فرصة التدخل فى شئون مصر متذرعة بحجة حمايتها من عدوان الملكين ، و إن كان الباعث الحقيقى هو حرصها على عدم اختلال التوازن الدولى فى منطقة الشرق الهلينستى . وكان الخلاف قد احتدم منذ وقت طويل بين البطالمة وآل سليوكوس ، ملوك سوريا ، حول السيطرة على

(١) يروى المؤرخون القدماء ، ويتبعهم معظم المحدثين ، أن هذه الاتفاقية السرية عقدت فعلا بين الملكين ، ولكنهم يختلفون فى تفاصيلها ، إن لم يكن فى حقيقة أهدافها . وينبغى ألا ننسى أن هؤلاء المؤرخين القدامى ينقلون بعضهم عن البعض الآخر . فأوثقهم ، مثلا ، وهو بوليبيوس يرى أن الاتفاقية تناولت أيضاً اقتسام مصر نفسها ، وأن الملكين المقدونى والسورى اتفقا على مهاجمتها . غير أن نظرة فاحصة إلى الموقف حينئذ تجعلنا نستبعد ذلك لأن هدف فيليب كان منصباً على توطيد نفوذه فى البحر الإيجى . ولهذا يبدو أن بوليبيوس أساء فهم سياسة مقدونيا ازاء مصر ، ولعله غلا فى تصوير أهداف الاتفاقية . فإذا أضفنا إلى ذلك تناقض روايته فى بعض النقاط ، التمسنا العذر للباحثين الذين بدأوا يتشككون فى صحة هذه الاتفاقية ، استناداً إلى أن أهداف الملكين كانت متعارضة ومصالحهما كانت متضاربة ، ولا يتبين من مسلكهما أن أحدهما عاون الآخر أو نفذ نصاً من الاتفاقية . وأما عن مصر فلم يكن من السهل اقتسامها أو إطلاق أحدهما يد الآخر فيها لأن الاستيلاء عليها كان يقلب التوازن السياسى رأساً على عقب . بل نحن نستبعد أن يطلق انطيوخوس يد فيليب فى البحر الإيجى كل الإطلاق إذ كانت له هو الآخر مصالح هناك (فى آسيا الصغرى وطراقيا) .

وفى الواقع أن فيليب ظل محتفظاً بعلاقته الودية مع مصر ولم يهاجم ممتلكاتها بعد عقد هذه الاتفاقية المزعومة . لذلك يرجح بعض الباحثين أن رودس وبرجامون اختلقتا هذه الاتفاقية عند ما تملكهما الخوف من أطماع الملكين ، فعملت كل منهما على بث الدعاية ضدهما لإثارة مخاوف روما ، وإيهامها بأن مقدونيا وسوريا تهدفان إلى تقويض نفوذها والقضاء عليها فى آخر الأمر . ولم يكن من العسير تصديق ذلك لأن السناتو الرومانى لم يستبعد احتمال تواطؤ الملكين ضد روما فى المستقبل ، وتآمرهما لا على مصالح مصر وحدها وغيرها من الدويلات الهلينستية بل على مصالح روما نفسها ، بوصفها أكبر قوة فى غرب البحر المتوسط . وعن هذا الموضوع الشائك ، أنظر كتاب :

F.W. Walbank, *Philip V of Macedon*, Cambridge, 1940.

والمقالات التالية :

— McDonald and Walbank, "The Origins of the Second Macedonian War", *J.R.S.* 27 (1937), pp. 180-207.

— D. Magie, "The Agreement between Philip V and Antiochus III for the Partition of the Egyptian Empire", *J.R.S.* 29 (1939), pp. 32-44.

— Luca de Regibus, "Tolemeo V Epiphane e l'intervento romano nel Mediterraneo orientale", *Aegyptus* 32 (1952), pp. 97-100.

ما يعرف « بجوف سوريا » — وهو فى الواقع جنوب سوريا[١] — فنشبت بين الدولتين حروب كثيرة . وفى ربيع عام ١٦٩ — إن لم يكن قبل خريف عام ١٧٠ — وفقاً لبردية نشرت منذ سنوات قليلة[٢] ، غزا أنطيوخوس الرابع ، ملك سوريا ، الأراضى المصرية وواصل زحفه حتى ممفيس (ميت رهينة) ، ومنها اتجه شمالاً حيث ضرب الحصار على الإسكندرية ، وطالب بإعادة فيلوميتور إلى عرشه بجانب أخيه يورجتيس (الثانى) . ولما تحقق غرضه انسحب عائداً إلى بلاده . ويعتقد بعض الباحثين أن أنطيوخوس لم يفكر فى الاستيلاء على مصر فى هذه الغزوة وأنه انسحب بمحض إرادته بعد إعادة فيلوميتور إلى عرشه . غير أن البعض الآخر منهم ، إن لم يكن معظمهم ، يرون غير ذلك . ففى رأيهم أنه أتى معتزماً ضم مصر إلى مملكته وأنه لم ينسحب إلا مكرهاً أمام مقاومة حصون الإسكندرية ، وقيام الاضطرابات فى بلاده ، وثورة ياسون كبير كهنة اليهود فى فلسطين ، ورواج إشاعة عن مقتله[٣] . وأياً كان السبب فسرعان ما جد من الأسباب ما دعا أنطيوخوس إلى غزو مصر مرة أخرى فى عام ١٦٨ . وقد عزم فى هذه المرة على خلع الأخوين وضم مصر إلى مملكته . وشجعه على ذلك انشغال روما بالحرب المقدونية . وزحف أنطيوخوس على مصر بعد أن استولى أسطوله على قبرص التى انحاز حاكمها البطلمى إليه ، وبلغ بيلوزيون Pêlousion (الفرما) حيث جاءه سفراء من قبل فيلوميتور ليشكروه على مساعدته الملك فى استرداد عرشه ، ويبلغوه أنه قد تصالح وأخاه الأصغر ، فلم يعد بحاجة إلى مساعدته . وعندئذ تقدم أنطيوخوس

---

(١) ويشمل فلسطين وجزء من الاردن ولبنان والبقاع وحوران

(٢) E.G. Turner, "A Ptolemaic Vineyard Lease", *Bull. John Ryl. Libr.* 31, No. 1 (Jan. 1948), pp. 3-16, esp. pp. 4-6 = *P. Ryl.* IV 583. *Cf.* E. Bickerman, "Sur la Chronologie de la Sixième Guerre de Syrie", *Chron. d'Egypte,* 27 (1952), pp. 396-403.

(٣) W. Otto, *Zur Geschichte der Zeit des 6. Ptolemäers.* Abhandl. Bayer. Akad. N.F. XI (1934), pp. 40-81; P. Jouguet, "*Les* débuts du règne de Ptolémée Philometor", *Rev. de Phil.* 63 (1937), pp. 193-238; J.W. Swain, "Antiochus Epiphanes and Egypt", *Class. Phil.* 39 (1944), pp. 73-94.

بمطالب قوبلت بالرفض ، فاستأنف زحفه حتى بلغ ممفيس مثلما فعل فى الحملة الأولى . ولعل الملكين البطالمين أوفدا إلى روما — عندما لم تصلهما إمدادات من الدويلات الإغريقية — سفارة لتشرح لمجلس الشيوخ الرومانى خطورة الموقف . وفى ممفيس توج أنطيوخوس نفسه ملكا على مصر، وأنفذ إلى الفيوم ، التى لايسميها بإقليم أرسينوى بل بإقليم التمساح (وهو اسمها القديم) — إما عن جهل أو عن قصد ليمحو كل أثر للبطالمة — أنفذ إليه بعض وحدات من جيشه لتسيطر عليه أو تنهبه وتعيث فيه فسادا . وقد أيدت الوثائق البردية ما ورد فى بعض النصوص التاريخية عن هذه الحملة[1] . ثم تابع الملك السورى زحفه من ممفيس نحو الإسكندرية وعند ضاحية المدينة اعترضته سفارة رومانية على رأسها پو پيليوس لايناس (C. Popilius Laenas) الذى كان السناتو الرومانى — بعد الانتصار الساحق على پرسيوس ملك مقدونيا فى معركة پيدنا (Pydna) فى يونيو عام ١٦٨ — قد عهد إليه بالاتجاه إلى مصر لكى يأمر الفريقين بوقف القتال ، و ينذرهما بأن روما لن تعتبر المعتدى صديقاً أو حليفا . وليس هناك أبلغ من وصف المؤرخ الرومانى ليڤيوس — الذى ينقل عن پوليبيوس[2] — للمشهد المثير بين أنطيوخوس والسفير الرومانى ، ذلك المشهد الذى راجت قصته رواجاً كبيراً بين الرومان :

« وبعد أن عبر أنطيوخوس النهر (الفرع الكانوبى) عند اليوسيس (النزهة) ، وهو مكان يبعد عن الاسكندرية أربعة أميال ، اعترض طريقه السفراء الرومان . فلما اقتربوا منه حياهم الملك ومد يده لمصافحة بوبيليوس، غير أن بوبيليوس سلمه لوحا مدون عليه قرار السناتو ، وأمره أن يقرأه قبل اى شيء آخر . فلما فرغ الملك من قراءته قال انه سوف يدعو أصحابه ليستشيرهم فيما ينبغي أن يعمله . وعندئذ رسم بوبيليوس ، بما جبل عليه من خشونة فى الطبع ، رسم بعصاه التى كان يحملها في يده ، دائرة حول

(١) *P. Tebt.* 698; 781; *Cf.* Henne, "P. Tebt. 698 et l'invasion de l'Egypte par Antiochus IV", *Rev. Etud. Anc.* 38 (1935), pp. 443 ff.

(٢) Polybius, XXIX, 27.

الملك قائلا له : اعطنى ردا أبلغه للسناتو قبل أن تخطو خارج هذه الدائرة . وذهل الملك من لهجة الأمر العنيفة وتردد لحظة قصيرة قال بعدها : سأفعل ما يقرره السناتو . عندئذ فقط مد بوبيليوس يده مصافحـا الملك كما يمدها الى حليف وصديق » . (١)

وهكذا أنقذت « دائرة بوبيليوس » مصر من براثن الاحتلال السليوكى ، وأصاب راسمها شهرة بعيدة . وأحرزت روما صيتاً مرهوباً فى جميع أنحاء الشرق الهلينستى . على أن هذه « الدائرة » كانت فى الوقت نفسه نذيراً بأن روما قد غدت وصية على مصر ، وحامية لذمارها من العدوان الأجنبى . وستغدو وشيكا صاحبة اليد الطولى فى تنصيب ملوكها وخلعهم .

وتنتقل العلاقات إلى دور جديد ، دور تعمل فيه روما على استغلال منازعات أفراد أسرة البطالمة بل على إلمابها لتمزيق أوصال دولتهم وتجريدهم من ممتلكاتهم الخارجية مثل برقه وقبرص . وفى الحق أن تهافت بعض البطالمة على روما وارتماءهم فى أحضانها هو الذى أطمعها فى هذه الممتلكات . فلما احتدمت الخصومة بين فيلوميتور وأخيه يورجتيس (الثانى) ، عهـد السناتو الرومانى إلى عضوين من رجاله بالسفر إلى الإسكندرية للتوفيق بين الأخوين على أساس اقتسام الممتلكات البطلمية ، فيحتفظ فيلوميتور بمصر وقبرص ، ويتنازل لأخيه عن برقة . ولم يلبث شعب الإسكندرية أن ثار على يورجتيس لطغيانه فرحل عنها إلى برقة فى يوليو عام ١٦٣ ، ولكنه لم يخلد إلى السكينة بل أخذ يطالب بضم قبرص إلى

---

(١) **Livius XLV, 11, 10: Ad** Eleusinem transgresso flumen, qui locus quattuor milia ab Alexandrea abest. legati Romani occurrerunt. Quos cum advenientes salutasset dextramque Popilio porrigeret, tabellas ei Popilius, senatus consultum scriptum habentes. tradit, atque omnium primum id legere iubet. Quibus perlectis cum se consideraturum, adhibitis amicis, quid faciendum sibi esset, dixisset, Popilius, pro cetera asperitate animi, virga, quam in manu gerebat, circumscripsit regem, ac "Priusquam hoc circulò excedas' inquit "redde responsum, senatui quod referam". Obstupefactus tam violento imperio parumper cum haesitasset, "Faciam" inquit "quod censet senatus". Tum demum Popilius dextram regi tamquam socio atque amico porrexit.

أملاكه . و بلغ من حقده على فيلوميتور وتزلفه إلى سادته الرومان أنه أوصى لهم في عام ١٥٥ بمملكته إذا مات دون وريث ، حتى لا تئول إلى أخيه . ومن محاسن الصدف أن وجدنا نقشاً يونانياً في قورينة (الشحات بولاية برقة) عليه هذه الوصية التي ضرب بها يورجتيس (الثاني) مثلاً سيئاً احتذاه من بعده بعض الملوك الضعاف مثل أتالوس (Attalus) ملك برجامون (١٣٤) و بطلميوس أبيون ملك برقة (٩٦) ، ونيقوميديس الرابع ملك بثينيا (٧٤) . و إليك نص هذه الوصية المشينة[١] :

« السنة الخامسة عشرة . شهر لويوس (يونيو تقريبا) . بالتوفيق . فيما يلي وصية الملك بطلميوس ، الابن الاصغر للملك بطلميوس والملكة كليوبطرة ، الالهين الظاهرين ، والتي أرسلت منها أيضا صورة الى روما .

لتمنحني الآلهة بفضلها القدرة على أن اقتص قصاصا عادلا من أولئك الذين دبروا ضدي مؤامرة دنسة وأخذوا على عاتقهم أن يسلبوني لا مملكتي فحسب بل حياتي كذلك . لكن اذا حدث لي شيء قبل أن اترك ورثة لعرشي ، فاني أوصي بالمملكة التي في حوزتي للرومان الذين حافظت باخلاص منذ البداية على صداقتي وتحالفي معهم ، واليهم اعهد كذلك بحماية مصالحي ، مناشدا اياهم باسم جميع الآلهة وبشرفهم أن يقدموا المساعدة بكل قواهم اذا اعتدى أحد على مدن مملكتي أو اراضيها ، طبقا لما تقتضيه العدالة ومعاهدة الصداقة والتحالف القائمة بيننا .

وقد أقمت شهودا على هذا الاجراء جوبيتر الكابيتوليني والآلهة الكبار ، وهليوس وابولون مؤسس (قورينة) ، الذين أودعت في حراستهم أيضا أصل هذه الوثيقة .

وليكن التوفيق رائدا لها . »

ولم توضع هذه الوصية موضع التنفيذ لأن يورجتيس الثاني استرد عرش مصر بعد أخيه فيلوميتور في عام ١٤٥ ، فأورث برقه عند وفاته في عام ١١٦ لابنه

---

(١) *S.E.G.* IX, No. 7; *cf.* U. Wilcken, "Das Testament des Ptolemaios von Kyrene vom Jahre 155 v. Chr.", *S.B. Akad. Berlin* (1932), pp. 317-336; C. Préaux, "A Propos du testament de Ptolémée le Jeune trouvé à Cyrène", *Chron. d'Egypte* 8 (1933), pp. 151-153.

بطلميوس أپيون الذى أنجبه من إحدى محظياته . غير أن هذا الابن غير الشرعى عاد فى سنة ٩٦ وأوصى قبيل وفاته بمملكته للشعب الرومانى . وقبل السناتو التركة ولكنه لم يضع يده إلا على الأراضى الملكية ، تاركا المدن تتمتع باستقلالها . ولما أدى ذلك إلى انتشار الفوضى فى برقة ، نظمها السناتو على شكل ولاية رومانية فى عام ٧٤ .

وتتطور علاقات مصر البطلمية بروما الجمهورية بعد ذلك تطوراً سريعاً وتتخذ مظهراً جديداً يتمثل فى ازدياد اهتمام الرومان بشئون مصر ، والتعرف على أحوالها ، طمعاً فى ثروتها ، وتمهيداً للاستيلاء عليها عندما تسنح الفرصة . ففى عام ١٤٠ — ١٣٩ زارت مصر سفارة رومانية على رأسها سكيپيو ايميليانوس (Scipio Aemilianus) . وكان سكيپيو ، الذى دمر قرطاجة عام ١٤٦ فيما يعرف بالحرب البونية الثالثة ، قطباً من أقطاب الرومان ، عهد إليه السناتو بمهمة تفقد الأحوال فى ممالك الشرق الهلينستى وتسوية المنازعات القائمة فيها . وقد نزل الاسكندرية حيث استقبله يورجتيس بحفاوة بالغة ، ومشى معه من الميناء إلى القصر الملكى وهو يلهث من بدانته . وتروى القصة أن سكيپيو أسر فى أذن پنايتيوس الفيلسوف الرواقى ، وأحد رفقائه فى الرحلة ، أن مواطنى الإسكندرية مدينون له بشىء واحد وهو أنهم شاهدوا ملكهم يسير على قدميه . ومع أن طبيعة المهمة التى وكلت إليه فى مصر لا تزال غير واضحة ، إلا أننا نرجح أنه كان يدخل فى نطاقها توطيد النفوذ الرومانى فيها عن طريق اتصال شخصية كبيرة مثل سكيپيو بعاهلها البطلمى ، إلى جانب التعرف على موارد البلاد . فقد تابع سكيپيو جولته فركب النيل حتى ممفيس وشاهد فى الطريق الحقول الفسيحة الخصبة والقرى المتناثرة الآهلة بالسكان . ولا يساورنا الشك فى أنه عاد إلى روما بتقرير وافٍ كان له أثرفى توجيه سياسة السناتو إزاء مصر ولم يقتصر الأمر على المهام الرسمية ، فتوافدت على مصر شخصيات رومانية فى زيارات لا تتسم فى ظاهرها بأى طابع رسمى . والوثيقة

التالية وهى بردية من تبتونيس (Tebtunis) (أم البرجات) بجنوب الفيوم ، تنهض دليلاً ساطعاً على مدى اطراد اهتمام السناتو بأحوال مصر وما أحرزته روما من مكانة فى وادى النيل . وهـذه الوثيقة الطريفة صورة من خطاب أرسله أحد كبار الموظفين بالاسكندرية إلى موظف آخر من مرءوسيه يدعى اسكليبياديس بمناسبة زيارة أحد أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى لإقليم الفيوم فى مارس من عام ١١٢[1] :

من هرمياس الى حورس ، تحية . فيما يلى صورة من الخطاب المرسل الى اسكليبياديس . فلتعمل على اتباع التعليمات الواردة به . والسلام . السنة الخامسة ، كسانديكوس ١٧ الموافق أمشير ١٧ (= ٥ مارس ١١٢)

الى اسكليبياديس . لوكيوس مميوس عضو مجلس الشيوخ (الرومانى)، وهو رجل كبير المقام ويشغل منصبا رفيعا سيقوم برحلة (تبلية) من المدينة (الاسكندرية) الى اقليم أرسينوى (الفيوم) لمشاهدة مناظره . فلتعمل على استقباله استقبالا بالغ الفخامة ، واحرص على اعداد قاعات الضـيافة فى الأماكن المناسبة ، والانتهاء من تهيئة أماكن النزول اليها ، وتقديم الهدايا المذكورة أدناه عند نزوله (من المركب) ، وتجهيز أثاث قاعة الضيافة ، والطعام لبيتيسوخوس (اله الفيوم) وللتماسيح ، وما يلزم للتفرج على اللابيرنث ، وكذلك للأضاحى وحفل القرابين . وبالاجمال ابذل أقصى عنايتك فى كل شىء لارضاء الزائر ، وأظهر كل اهتمامك . . . [وهنا تنتهى البردية] .

ولا تلبث روما أن تـكشف القناع عن نواياها الاستعمارية ، فتتعمد اختلاق مشكلة أو تتلمس عذراً واهياً للتحكم فى ملوك مصر وفرض مطالبها عليهم . فما أن ارتقى العرش بطلميوس الثانى عشر أوليتيس (Aulêtês) (الزمّار) فى عام ٨٠ حتى بدأت متاعبه التى لم تنته إلا بوفاته . فقد رفضت روما الاعتراف به ملـكا شرعياً على مصر ، بدعوى أن سلفه بطلميوس الحادى عشر الملقب بالإسكندر

---

(١) *P. Tebt.* 33 = *Sel. Pap.* II, 416.

أنظر تصويبات قراءة هذه الوثيقة فى :

A. Wilhelm "Papyrus Tebtunis 33", *J.R.S.* 27 (1937), pp. 145-151.

الثانى ، والذى لم يحكم سوى عدة أيام ، كان قد أوصى بمملكته للرومان ، وهى وصية لم تثبت صحتها بصورة قاطعة ولا يستبعد أنها كانت مختلقة[1] . وقضى بطلميوس الزمار حياته مدافعاً عن حقه ، مريقاً ماء وجهه فى سبيل الحصول على اعتراف الرومان به ، فما أن تم له ذلك ، حتى ثار شعب الإسكندرية فى وجهه فعاش طريداً مرتمياً مرة أخرى فى أحضان زعماء الرومان ، ومبدداً ثروة بلاده عليهم ، ومستديناً من مرابيهم ، كل ذلك حتى يعيدوه إلى عرشه . وظهرت تبعاً لذلك على مسرح السياسة الرومانية «مسألة مصرية» وهى مسألة استغلتها الأحزاب المتطاحنة لتحقيق مآربها وتدعيم مركز زعمائها . وحسب القارىء أن يرجع إلى الشذرات المتبقية من الخطاب الذى ألقاه شيشرون عن الملك الإسكندرى (De rege Alexandrino) بوصفه نصيراً لپومپى ليرى كيف أن الحرص على المصلحة الحزبية وليس الحرص على مصلحة مصر هو الذى دفعه إلى عرقلة مشروع كراسوس الرقيب ، ذلك المشروع الذى كان يرمى به إلى فرض الجزية على مصر فى عام ٦٥ ، أو أن يقرأ فقرات من خطابه ضد مشروع الأراضى (in Legem agrariam) الذى اقترحه رولوس ، نقيب العامة ، فى ديسمبر من عام ٦٤ بإيعاز من كراسوس و يوليوس قيصر مستهدفاً به ضم مصر إلى ممتلكات الجمهورية واتخاذها قاعدة لمناهضة نفوذ پومپى . فلما استطاع قيصر أن يوفق بين الزعيمين الكبيرين پومپى وكراسوس وفاز بالقنصلية فى عام ٥٩ وألف معهما جبهة ديمقراطية لمناوأة حزب السناتو أو الحزب الأرستقراطى ، وهى ما عرفت فى التاريخ باسم « الائتلاف الثلاثى الأول » ، حصل بطلميوس على اعتراف رسمى بحقه فى تاج مصر ولقب « بصديق وحليف الشعب الرومانى » بعد أن دفع لأعضاء الائتلاف رشوة ضخمة .

غير أن ذلك لم ينه المسألة المصرية ، التى احتدمت من جديد ، وأدت فى النهاية — مع عوامل أخرى — إلى تصدع هذا الائتلاف . ذلك أن مراطنى

(١) Cf. E. Volterra, "Le Testament de Ptolémée Alexandre II Roi d'Egypte", *Bull. Inst. d'Eg.*, 21 (1938-39), pp. 67 ff.

الإسكندرية ما لبثوا أن ثاروا على بطلميوس الزمار لتفريطه فى قبرص وتعسفه معهم ، وأكرهوه على الفرار من المدينة فالتجأ إلى روما ليناشد أصدقاءه هناك مساعدته على استرداد عرشه . وأكرم بومبى وفادته وأنزله بأحد قصوره . ولكنه لم يكد يستقر بالعاصمة الرومانية حتى جاءها فى أعقابه وفد كبير بعث به الإسكندريون ليشكوه إلى السناتو ويناشدوه ألا يعيده إليهم . واحتدمت المناقشات حول « المسألة المصرية » ، فقرر السناتو أن يسند إلى لنتولوس سبنثر ، قنصل عام ٥٧ ، الذى كان يتأهب للرحيل إلى قيليقية ليتولى حكمها ، مهمة إعادة بطلميوس إلى عرشه . غير أن أنصار بومبى بذلوا كل ما فى وسعهم لنقض هذا القرار وتحويل المهمة إليه حتى تتاح له فرصة قيادة أحد الجيوش الرومانية . ولما وجدوا أن الحزب الأوستقراطى يقف حائلا دون تحقيق غايتهم ، بحثوا عن وسيلة أخرى . وحدث أن نزلت صاعقة بتمثال الإله چوپيتر اللاتينى فى يناير من عام ٥٦ — وهى ظاهرة كانت تعتبر من نذر الشر — فعهد السناتو إلى جماعة الكهنة الخمسة عشر باستشارة كتب النبوءات السيبولية فيما ينبغى عمله . وأوصت النبوءة بمساعدة بطلميوس ولكنها حذرت من استخدام الجيش لمساعدته . وعندئذ أرغم أحد نقباء العامة الموالين لكراسوس جماعة الكهنة على إذاعة النبوءة دون إذن من السناتو خلافاً للعرف المتبع . وبديهى أن كراسوس هو الذى حمل الكهنة على اختلاق النبوءة وأن المناورة الدينية كان يقصد منها إبطال قرار السناتو واستبعاد لنتولوس سبنثر وتزهيد بومبى فى المهمة بعد أن فقدت صفتها العسكرية . ولكن أنصاره نادوا بأنه طالما كانت الحملة العسكرية قد تحولت إلى سفارة دبلوماسية فليس هناك من هو أجدر منه برئاستها نظراً لمكانته وسمعته فى الشرق ، وزعموا أن بطلميوس نفسه — الذى غادر العاصمة — أرسل يقول إنه يفضل أن تتم عودته إلى عرشه على يديه . وكاد بومبى الذى تظاهر بعدم الاكتراث بالموضوع يظفر برئاسة البعثة إلى الإسكندرية لولا معارضة السناتو ومناوأة كلوديوس الزعيم الدعاجوجى الذى وقف له بالمرصاد وأوعز إلى الغوغاء بأن يطالبوا بإسناد المهمة إلى كراسوس .

وهكذا اتضح أن الأخير كان لا يزال يحقد على بومبي و يطمع فى الظفر برئاسة البعثة من دونه . وقد أفضى ذلك بداهة إلى توتر العلاقة بين بومبي وكراسوس ، عضوى الائتلاف الثلاثى ، عما عجل بتصدعه . وأبديت آراء أخرى بشأن المسألة المصرية ، فاقترح فريق تأليف وفد من ثلاثه ـ نراء متساوين فى السلطة لإنجاز المهمة ، ونادى فريق آخر بعدم معاونة بطلميوس إطلاقاً . وجدير بالذكر أن شيشرون كان من أنصار إسناد المهمة إلى لنتولوس سپنثر الذى اقترح وهو قنصل إعادة الخطيب الكبير من المنفى . ولما كان بومبي قد تظاهر بعدم الاعتراض عليه ، فقد كتب شيشرون إلى لنتولوس بعد رحيله إلى قيليقية ، فى مايو عام ٥٦ ، يقول إن بومبي يقترح أنه ليس هناك ما يمنع من استخدام الجيش لإعادة النظام إلى مصر ، و بعدئذ إعادة بطلميوس إلى عرشه بدون الجيش عملا عما جاء فى النبوءة السيبولية . وإزاء هذا التضارب الشديد وضيق الوقت أرجأ السناتو البت فى المسألة المصرية[1] .

ولم يبق هناك من حل «للمسألة المصرية» سوى الالتجاء إلى القوة . وبذلك تنتقل علاقات روما بمصر إلى دور التدخل المسلح . فقد تراءى لجابينيوس ، والى سوريا فى عام ٥٧ ، وعميل حكومة الائتلاف الثلاثى ، أن يقدم على مغامرة عسكرية مربحة . فقد اتصل ببطلميوس أو اتصل بطلميوس به وهو فى منفاه ووعده بمبلغ ضخم إذا هو أعانه على استرداد عرشه . واستجاب جابينيوس إلى طلبه وترك ولايته دون إذن من السناتو منتهكاً إحدى مواد دستور سلا فى هذا الصدد . واقتحم مصر فى ربيع عام ٥٥ متجاهلا قرار عدم استخدام القوة فى إرجاع بطلميوس إلى عرشه ، ومتذرعاً بحجة أن الملك الذى ولاه الإسكندريون عليهم كان يتأهب لغزو سوريا . و بلغ جابينيوس بلوزيون ، فاستسلمت له الحامية

---

(١) عن هذه الأحداث راجع :

Cicero, *Pro Caelio; ad fam.* I, 1,2.4.7; *ad Q. fr.* II, 2.3.4.

اليهودية دون مقاومة ، وسار إلى الاسكندرية حيث أجلس بطلميوس على عرشه الذى افتقده عدة سنوات . وسرعان ما عاد جابينيوس إلى ولايته فى سوريا التى اختل فيها الأمن تاركاً وراءه فى مصر حامية من بضع كتائب مؤلفة من جنود رومان وجرمان وغال لتشد أزر بطلميوس . وكان من الجائز أن تصبح مصر ولاية رومانية منذ هذا التاريخ لولا الحرب الأهلية التى نشبت بين زعماء روما وأرجأت ذلك إلى حين .

ولم تلبث مصر أن تعرضت مرة أخرى للتدخل المسلح من جانب الرومان بعد وفاة بطلميوس الزمار فى عام ٥١ . وكان قد أوصى بعرشه لسكبرى بناته كليوبطرة (السابعة) أشهر ملكات مصر البطلمية ، التى كانت تبلغ من العمر ١٨ عاماً ، ولأكبر أبنائه بطلميوس (الثالث عشر) الذى كان أصغر من أخته . وقد أرسل إلى روما صورة من وصيته ناشد فيها الشعب الرومانى مراعاة تنفيذها وحماية ابنيه . ولما وجد أوصياء الملك الصغير أن كليوبطرة لم تعد بمرور الزمن أداة طيعة فى أيديهم اتهموها بالرغبة فى الانفراد بالحكم دون أخيها مثيرين عليها غضب جمهور الاسكندرية . وقد أرغمها ذلك على الفرار إلى الحدود الشرقية حيث استطاعت أن تجمع جيشاً من القبائل الساميّة القاطنة هنالك وتأهبت للزحف على الاسكندرية . وأعد الأوصياء لبطلميوس الصغير جيشاً رابط على مقربة من بيلوزيون (الفرما) لصد قوات أخته . وفى تلك الأثناء كان مصير العالم الرومانى بل مصير العالم القديم كله معلقاً على نتيجة الحرب الأهلية التى دارت رحاها بين يوليوس قيصر زعيم الحزب الديمقراطى وپومپى الذى انضوى الحزب الأرستقراطى تحت لوائه .

وقد تمخضت هذه الحرب عن انهزام پومپى فى معركة فرسالوس (Fharsalus) فى بلاد اليونان عام ٤٨ . ولم يلبث أن فر بعدها إلى مصر حيث كان يأمل أن

يجد ملاذاً وعوناً فى ساعة الشدة لدى أبناء بطلميوس « الزمار » ، الملك الراحل الذى كانت تربطه به صلات ودية . ولم يتجه بومبى إلى الاسكندرية ، بل اتجه إلى مكان قريب من بيلوز يون حيث كانت ترابط قوات الملك الصغير . ولم يكد يدنو بقاربه من الساحل المصرى حتى اغتاله ضابط رومانى بأمر من قائد جيش بطلميوس . وكان القصد من الجريمة ألا تتهيأ لقيصر فرصة لغزو مصر بحجة إيوائها لخصمه وتأييده . ولم تمض أيام ثلاثة حتى وصل قيصر مع قواته إلى نفس المكان وعلم بمصرع غريمه ، وحزن عليه ، ولكنه لم يرحل بل نزل بالاسكندرية فى أكتوبر من عام ٤٨ . ولم يكد يسير فى شوارعها تتقدمه شارات سلطته القنصلية حتى أثار ذلك المشهد امتعاض جمهور المدينة وغلى مرجل غضبه لما ينطوى عليه من امتهان للسلالة الملكية . وسرعان ما حدثت اشتباكات سقط فيها عدد كبير من الجنود الرومان فى مختلف أنحاء المدينة .

وعندئذ دعا قيصر ، بوصفه دكتاتوراً متمتعاً بكامل السلطة وممثلاً للشعب الرومانى ، الأخوين لتسريح قواتهما وقبول التحكيم ، فجاء بطلميوس إلى الاسكندرية ، ولكنه لم يسرح جيشه ، بل تركه مرابطاً عند بيلوز يون تحت قيادة أحد أوصيائه . ولم تلبث كليوبطرة هى الأخرى أن جاءت من الحدود الشرقية عن طريق البحر ، وتسللت إلى القصر خفية ، والتقت بقيصر لأول مرة ، وأثارت عطفه عليها ، وفتنته بجمالها ولباقتها . وفى تلك الأثناء كان شعور العداء يشتد ضد قيصر الذى كان الشعب الإسكندرى يرتاب فى نواياه منذ زمن طويل ويتوجس خيفة من تحيزه لكليوبطرة . وعندئذ اتصل كبير أوصياء الملك سراً بالجيش البطلمى ودعاه للزحف على الاسكندرية . وتحرج مركز قيصر لضآلة قواته فقرر أن يتخذ موقف الدفاع فى الحى المجاور للميناء الكبير (الشرقى) ريثما تصله الإمدادات . وأوفد رسولين إلى قائد الجيش البطلمى المهاجم فقبض عليهما ، وقتل

أحدها ، وجرح الآخر . وكان ذلك إيذاناً ببداية الحرب المعروفة فى التاريخ « بحرب الاسكندرية » ، والتى وصفها لنا قيصر أو أحد ضباطه وصفاً مسهباً . ولسنا بحاجة إلى سرد أحداث تلك الحرب المعقدة التى دارت رحاها فى شوارع المدينة وميناثيها وعلى مقربة منها ، والتى أبلى فيها الاسكندريون بلاءً حسناً فى البر والبحر ، وتعرضت فيها حياة قيصر للخطر . وحسبى هنا أن أنقل للقارىء بعض فقرات من كتاب « حرب الإسكندرية » يصور فيها الكاتب الموقف تصويراً صادقاً[١] :

« وإذ كانت (الاسكندرية) مدينة غزيرة الانتاج وافرة الثراء فقد أخذت تجهز معدات من جميع الأنواع . وكان سكانها أنفسهم على أكبر قدر من الذكاء وسعة الحيلة ، وعندما رأوا ما صنعناه من معدات صنعوا مثلها بمهارة فائقة حتى بدا كأن رجالنا اقتبسوها منهم . كما ابتكروا أنفسهم أشياء كثيرة ، ولم يكفوا عن مهاجمة تحصيناتنا فى نفس الوقت الذى كانوا يدافعون فيه عن مراكزهم . وقد أخذ زعماؤهم يسوقون مثل هذه الحجج فى المجالس والاجتماعات الشعبية : ان الشعب الرومانى قد وطن نفسه تدريجيا على اغتصاب هذه المملكة ، فقد حضر أولوس جابينيوس الى مصر مع جيشه منذ سنوات قليلة مضت ، كما التجأ بومبى اليها بعد فراره ، وها هو ذا قيصر قد جاء مع قواته ، ولم يحمله موت بومبى على العدول عن البقاء بينكم . فاذا لم تطردوه ، فستصبح مصر ولاية بعد أن كانت مملكة (مستقلة) ، ولا بد أن يتم جلاؤه بسرعة ، لأنه معزول بفضل العواصف فى مثل هذا الفصل من السنة ، فلا يستطيع أن يتلقى امدادات من وراء البحر » .

---

(١) *Bell. Alex.* 3: Urbs fertilissima et copiosissima omnium rerum apparatus suggerebat. Ipsi homines ingeniosi atque acutissimi quae a nobis fieri viderant ea sollertia efficiebant ut nostri illorum opera imitati viderentur, et sua sponte multa reperiebant unoque tempore et nostras munitiones infestabant et suas defendebant. Atque haec principes in consiliis contionibusque agitabant: populum Romanum paulatim in consuetudinem eius regni occupandi ventre. Paucis annis ante A. Gabinium cum exercitu fuisse in Aegypto; Pompeium se ex fuga eodem recepisse; Caesarem venisse cum copiis, neque morte Pompei quicquam profectum quo minus apud se Caesar commoraretur. Quem si non expulissent, futuram ex regno provinciam; idque agendum mature: namque eum interclusum tempestatibus propter anni tempus recipere transmarina auxilia non posse.

وقد انتهت حرب الإسكندرية بهزيمة قوات بطلميوس الصغير وموته غرقاً وانتصار القائد الرومانى فى يناير عام ٤٧ . وحسم قيصر مشكلة الوراثة بأن أقام كليوبطرة ملكة بالاشتراك مع أصغر أخويها بطلميوس الرابع عشر . وأما أرسينوى ، أختهما العنيدة فقد أرسلت إلى روما حيث زج بها فى السجن عقاباً لها على مقاومة الرومان . ولم يلبث قيصر أن غادر مصر فى يونيو من عام ٤٧ تاركاً بها بعض الفرق الرومانية لدعم سلطة كليوبطرة[1] .

وفى أواخر عام ٤٦ لحقت كليوبطرة بقيصر حيث نزلت فى أحد قصوره على ضفاف التيبر . ولم تتغافل هناك عن مظاهر الأبهة ، بل أثارت بكبريائها امتعاض الرومان ، الذين عرفوها باسم « الملكة » حتى أن شيشرون يقول صراحة فى إحدى رسائله إلى صديقه الحميم أتيكوس « إنى أكره الملكة » ، وإن كانت قد وعدت بأن تهديه بعض الكتب اللغوية (بوعودها)[2] . وكانت كليوبطرة قد أنجبت من قيصر ولداً باسم بطلميوس قيصر فأطلق عليه الإسكندريون اسم « قيصرون » . ومع أن قيصر اعترف بهذا الابن فإن كليوبطرة لم تكن فى نظر الرومان سوى خليلته ، لأن زوجته الشرعية كانت لا تزال على قيد الحياة .

---

(١) فى رأى أحد الباحثين أن إغراء كليوبطرة لم يصرف قيصر عن واجباته هذه المدة ويرجح أنه غادر مصر فى تاريخ يقع بين ١٥ أبريل ، ٥ مايو على الأكثر ، راجع .
L.E. Lord, "The Date of Julius Caesar's Departure from Alexandria" *J.R.S.* 28 (1938), pp. 19-38.

(٢) Cicero, *Ad Att.* XV, 15: Reginam odi. Id me iure facere scit sponsor promissorum eius Ammonius, quae quidem erant *philologa* et dignitatis meae, ut vel in contione dicere auderem... Superbiam autem ipsius reginae, cum esset trans Tiberim in hortis, commemorare sine magno dolere non possum.

« اننى اكره الملكة . ويعلم امونيوس الذى اكد وعودها اننى على حق فى ان افعل ذلك فوعودها كانت متعلقة بكتب لغوية ادبية ولا تنتقص من كرامتى الشخصية ، وكنت اجسر على ان اتحدث عنها حتى فى اجتماع شعبى .
وأما صلف الملكة نفسها عندما كانت فى حدائقها (قصرها الريفى) على الضفة الاخرى من التيبر ، فلا استطيع ان اذكره دون ان اشعر بالم شديد » .
النيوم فى ١٣ يونيو عام ٤٤

ولما كان سلوك قيصر يوحى حينئذ بأنه يعمل على قلب نظام الحكم الجمهورى ، فقد أخذت كليو بطرة تعقد على المستقبل أكبر الآمال ، فتصورت نفسها ملكة تتربع إلى جانبه لا على عرش مصر وحدها بل على عرش العالم الرومانى كله . ولمس الرومان فيها هذا الطموح فعز عليهم أن يصبحوا رعايا « ملكة مصرية » كانوا ينظرون إليها شزراً . وأخيراً نجحت المؤامرة التى دبرها أنصار الحزب (الأرستقراطى) الجمهورى ، واغتيل الدكتاتور فى ١٥ مارس عام ٤٤ . واستيقظت كليو بطرة من حلمها العذب على الحقيقة المرة فوجدت نفسها بغير نصير ، وتحرج مركزها ، فعادت أدراجها إلى الإسكندرية لتقنع بمملكتها الصغيرة على ضفاف النيل[1]. هناك تخلصت من أخيها الصغير وأشركت معها فى الحكم ابنها (قيصرون) ، بطلميوس الخامس عشر[2] .

٢ — أكتيوم وكليو بطرة والشعراء اللاتين :

ومن مصر أخذت كليو بطرة ترقب الصراع الهائل الذى دارت رحاه فى أنحاء العالم الرومانى بين أنصار قيصر وخصومه أو بالأحرى بين أعضاء الحكومة الثلاثية (الثانية) التى تألفت فى نوفمبر عام ٤٣ من أكتافيانوس بن يوليوس قيصر المتبنى ، وماركوس أنطونيوس ، رئيس فرسانه ، ولبيدوس من ناحية و بين بروتوس وكاسيوس وغيرهما من أقطاب الحزب الأرستقراطى من ناحية أخرى .

---

(١) يقول شيشرون فى رسالة إلى صديقه أتيكوس بتاريخ ١٥ أبريل عام ٤٤ : إن فرار الملكة لا يزعجنى : *Ad Att.* XIV, 8, 17: Reginae fuga mihi non molesta est.

(٢) يتضح من إحدى برديات البهنسا (P. Oxy. 1629) أن شقيق كليو بطرة الصغير بطلميوس الرابع عشر كان لايزال على قيد الحياة فى ٢٦ يوليو عام ٤٤ . ولا بد أن كليو بطرة تخلصت منه بعد ذلك التاريخ بوقت قصير لأن بورفيريوس يقول إنها قتلته فى السنة الرابعة من حكمه التى تقابل السنة الثامنة من حكمها أى فى عام ٤٤ ؛ راجع :
T.C. Skeat, *The Reigns of the Ptolemies*, Münchener Beiträge zur Papyrusforschung und antiken Rechtsgeschichte. Heft 39 (1954), p. 42.

وقد تمخض هذا الصراع عن انتصار حزب قيصر فى معركتى فيليبى عام ٤٢ . ولم تشترك كليوبطرة فيه بل آثرت أن تقف موقف الحياد حتى تتيقن نتيجته . ولما آلت إلى أنطونيوس مهمة تنظيم شئون الولايات الشرقية ، أرسل من مدينة طرسوس يستدعى كليوبطرة لكى يحاسبها على موقفها السلبى وعدم معاونتها لأنصار قيصر كما كان متوقعاً . ولبت دعوته ورحلت إلى طرسوس فى موكب بحرى فاخر خلال صيف عام ٤١ . وهنالك استطاعت أن تبرر مسلكها بلباقتها وتفتنه ، مثلما فتنت قيصر ، بجمالها ، وتغريه على المجىء فى أعقابها إلى مصر حيث أمضى معها عام ٤١ — ٤٠ .

وفيما عدا السنوات الأربع التى تلت هذا اللقاء لم يفترق أنطونيوس عن كليوبطرة إلا مضطراً ليقود حملة على پارثيا أو على أرمينيا . وليس ثمة شك فى أنه شغف بها حباً وأنها ألهته عن واجباته وأثارت حوله الشبهات فى الأوساط الرومانية . وكان طبيعياً أن يؤثر ذلك على علاقته بأ كتاڤيانوس ، شقيق أ كتاڤيا التى تزوجها فى عام ٤٠ ، ولم تدخر كليوبطرة وسعاً لإقصائه عنها . وقد زاد هذه العلاقة توتراً أن أ كتاڤيانوس لم يوف بالتزاماته نحوه وبعدده بالفرق الأربع التى وعده بها طبقاً لاتفاقية تارنتوم فى عام ٣٧ لاستخدامها ضد الپارثيين . فلما انتهت حملة أنطونيوس على پارثيا بالفشل فى عام ٣٦ ، تزعزع مركزه الأدبى والمادى . هذا فى الوقت الذى أصبح فيـــه أ كتاڤيانوس ، بعد انتصاره على پومپى الأصغر وإقصاء ليپدوس عن الحكومة الثلاثية ، سيد الجانب الغربى من الإمبراطورية دون منازع . وكان ذلك كفيلا بإلهاب المنافسة وتعجيل الصدام بينهما . وعندئذ اغتنمت كليوبطرة الفرصة وعرضت على أنطونيوس مساعدتها ووضعت تحت تصرفه جميع موارد مملكتها ، وزينت له أن يتحدى زميله وينازعه السلطة على أمل أن تحقق على يديه حلمها القديم الذى تبدد بمصرع

يوليوس قيصر . ولا مراء فى أنها بدأت تحلم من جديد بالسيطرة على العالم الرومانى والتحكم فى روما نفسها التى استذلت أسرتها منذ عهد بعيد .

وكان الشرق الهلينستى قد بدأ يئن من وطأة الحكم الرومانى وفساده وأصبح يتمنى الخلاص من نيره . ولعله وجد فى كليوبطرة زعيمته المرتقبة فعقد عليها أمله فى الإطاحة به . وليس من المستبعد أن تكون كليوبطرة قد فطنت إلى حقيقة هذا الشعور فاستغلته لترفع من الروح المعنوية بين سكان الشرق باختلاق نبوءات تنذر بسقوط روما على يد ملكة يبدأ بحكمها عصر ذهبى جديد . ولما كان عزمها قد استقر على أن يكون أنطونيوس هو أداتها فى تحقيق هذه الغاية ، فقد رأت أن تربط مصيره بمصيرها وتنصب حوله شباكاً لا يستطيع منها فكاكاً . فى أواخر عام ٣٧ عندما التقت به فى أنطاكية قبيل قيامه بالحملة البارثية ، أقنعته بالزواج منها فى الوقت الذى كان لا يزال فيه متزوجاً من أكتافيا . ولما أهداها بهذه المناسبة منطقة خالكيس (فى شمال ولاية سوريا) فى عام ٣٦/٣٧ [١] اتخذت من هذه السنة وهى السنة السادسة عشرة من اعتلائها عرش مصر ، بداية لتاريخ حكمها كملكة على تلك المنطقة [٢] . وعندما عاد من حملته على أرمينيا منتصراً فى

---

(١) عن هذه الهبة وغيرها من الهبات التى حصلت عليها كليوبطرة ، أنظر الآن :

J. Dobias, "La Donation d'Antoine à Cléopâtre", *Ann. de l'Inst. de Philol. et d'Hist. Orient. II* (= Mélanges Bidez I), 1934, pp. 287-314:

ويتفق الأستاذ دوبياس مع غيره من الباحثين فى أن خالكيس أهديت إلى كليوبطرة فى عام ٣٦/٣٧ إلا أنه يرى أن جوف سوريا (Koilê Syria) — وهو فى الواقع جزء من فلسطين — أهدى إليها فى ربيع عام ٣٤ ؛ وأن فينيقيا ويريخو (أريحا) والأراضى النبطية أهديت إليها بعد ذلك بقليل فى نفس العام .

(٢) ابتداء من تلك السنة تحمل وثائق عهد كليوبطرة تاريخاً مزدوجاً ، مثال ذلك ، السنة السادسة عشر التى هى السنة الأولى وهكذا حتى السنة الأخيرة من حكمها وهى السنة الثانية والعشرين التى هى السنة السابعة . وهذا التاريخ المزدوج لا يشير — كما يعتقد مثلا الأستاذ تارن (C.A.H. X, p. 31) — إلى حكم كليوبطرة وأنطونيوس المشترك منذ عام ٣٧ ، بل يشير إلى حكمها وحدها بوصفها ملكة على مصر (منذ عام ٥١) وملكة على خالكيس (منذ آخر عام ٣٧) وعن هذه النقطة ، راجع الآن .

=

عام ٣٤ شجعته على الاحتفال بانتصاره فى الإسكندرية خلافاً للعرف الرومانى الذى جرى على أن يقام موكب انتصار القواد فى روما ولو فى وقت متأخر . وكأنها أرادت بذلك أن توعز إليه باتخاذ الإسكندرية عاصمـــة بدلاً من روما بعد انفرادهما بالسلطة . ومن العسير التيقن من أن أنطونيوس فعل ذلك استجابة لرغبتها أو أنه تعمد ذلك ليكيد خصمه . وعلى أى حال فقد حملته على أن يهبها هى وابنها قيصرون وأبناءها منه بعض الولايات الرومانية والممالك المتاخمة . ومع أن بعض هذه الهبات — التى عرفت باسم الهبات السكندرية — لم يكن قد دخل بعد فى حوزة الرومان فإن الرأى العام الرومانى استنكر تفريطه فى حقوقه وارتاب فى نواياه . ولم تزل كليو بطرة به حتى دفعته إلى البحث عن سلاح يطعن به دعوى أكتافيانوس بأنه الوريث الوحيد لقيصر ، فاعترف بشرعية ابنها قيصرون ، على أمل إضعاف مركز أكتافيانوس الأدبى بين جنوده وصرفهم عن الولاء له . وقد اتسعت شقة الخلاف عندما أرسل أنطونيوس بعد انتهاء مدة تجديد الحكومة الثلاثية فى آخر عام ٣٣ رسالة إلى السناتو يطلب فيها إقرار جميع التدابير والتنظيمات التى قام بها فى الشرق ، ويعرض أيضاً التنحى عن سلطته الاستثنائية كعضو فى تلك الحكومة ، وإرجاع الدستور القديم . وكان يرمى بالعرض الأخير إلى تدعيم مركزه المنهار وإحراج خصمه حتى يحذو حذوه . غير أن أكتافيانوس رفض أن يتخلى عن سلطته العليا ، وأحبط نقيب العامة من أنصاره مشروعاً تقدم به أحد القنصلين لتحقيق ذلك ، والتجأ هو نفسه إلى القوة لإرهاب أعضاء السناتو الموالين لخصمه . وقد رد أنطونيوس بإعلان طلاقه رسمياً من أكتافيا ، مجاهراً أخاها بالعداوة .

= D. Magie *Roman Rule in Asia Minor*, Princeton (1950), vol. II, p. 1287, n. 29; T.C. Skeat, *The Reigns of the Ptolemies*, Münchener Beiträge zur Papyrusforschung, Heft 39 (1954), p. 42; P.M. Fraser, "Mark Antony in Alexandria - A note", *J.R.S.* 47 (1957), p. 72, n. 10.

وهكذا أصبح من اليسير على أكتافيانوس ، بحكم وجوده بالعاصمة ، أن يستغل الأخطاء التى ارتكبها أنطونيوس للدعاية ضده والتشهير به وتأليب الرأى العام عليه . وعندئذ نشر بعض أجزاء من وصية قيل إن أنطونيوس قد أودعها فى معبد الربة فستا ، وهى أجزاء من شأنها إثارة الرأى العام عليه وعلى كليوبطرة[1] وعندما تأكد من أن شعور العداء نحو الملكة المصرية بلغ ذروته ، أوعز إلى أعضاء السناتو المتخلفين فى روما وسكان البلاد الإيطالية والولايات الغربية أن يقسموا له يمين الولاء (coniuratio) [2] . وكان هذا القسم بمثابة السند الرئيسى

---

(١) عن هذه الوصية التى يعتقد البعض أنها مزورة ، راجع :

T.R. Holmes, *The Architect of the Roman Empire* I (1928), p. 246 f., R. Syme, *The Roman Revolution* (1939), p. 282 f., and n. 1.

وكانت هذه الأجزاء من الوصية التى يقول المؤرخ ديون كاسيوس (L, 3, 5) إن أكتافيانوس قرأها على مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية ، تتضمن البنود التالية (أ) اعتراف أنطونيوس بأن قيصرون إبن منحدر من صلب يوليوس قيصر (ب) منحه هبات ضخمة لأبنائه من كليوبطرة ، (حـ) مطالبته بأن يدفن جثمانه مع جثمان كليوبطرة فى الإسكندرية .

وأما المؤرخ سويتونيوس (Div. Aug. XVII, 1) فيقول :

et quo magis degenerasse eum a civili more approbaret, testamentum, quod is Romae etiam de Cleopatra liberis inter heredes nuncupatis reliquerat, aperiundum recitandumque pro contione curavit:

ولكى يزيد من اقتناع الناس بانه (أى أنطونيوس) قد خرج على العرف الرومانى ، فقد عمل على فتح الوصية التى كان قد تركها فى روما وعين فيها ابناء أيضا من كليوبطرة بين الورثة ، وعلى تلاوتها فى اجتماع شعبى.

وإذا صح أن أنطونيوس ترك وصية بهذا الشكل ، فإنها لم تكن كلها قانونية ، ولم يكن أكتافيانوس بحاجة إلى تزويرها . لكن لعل الوصية لم تتضمن فى الأصل سوى أبناء أنطونيوس من زوجتيه الرومانيتين فولفيا وأكتافيا ، وأن تزوير أكتافيانوس اقتصر على إقحام أسماء أبناء أنطونيوس (وابن يوليوس قيصر) من كليوبطرة الذين كانوا يعتبرون أبناء من زواج غير شرعى أو زواج غير كامل الأهلية (matrimonium iniustum) ، وبالتالى كانوا يعتبرون أجانب (peregrini) ولا يجوز تعيينهم ورثة حيث أن آباءهم رومانى . وعن هذه النقطة القانونية ، أنظر الآن :

J. Crook, "A Legal Point about Mark Antony's Will", *J.R.S.* 47 (1957), pp. 36-38.

(٢) Cf. *Mon Ancyr.* 25: Iuravit in mea verba tota Italia sponte

لسلطته في السنوات التالية ، لأن أكتافيانوس لم يعد يعتبر نفسه عضواً في الحكومة الثلاثية التي فقدت مقومات وجودها . وعلى ذلك استصدر قراراً بإلغاء سلطة أنطونيوس العليا و إبطال انتخابه قنصلاً لعام ٣١ . ولما كان يدرك أن لأنطونيوس أنصاراً بين الرومان ، فإنه لم يعلن الحرب عليه بل أعلنها على كليوبطرة عدوة الشعب الروماني . وقد أراد بذلك أن يكسبها صفة الحرب القومية ضد الملكة المغتصبة أو صفة الجهاد المقدس ضد الخطر الأجنبي الوافد من الشرق .

ولم تشأ كليوبطرة أن تدع أنطونيوس يخوض المعركة الأخيرة وحده ، فرافقته إلى الميدان بوصفها شريكة في المغامرة . وإذا كان هو الذي أخذ على عاتقه إدارة الحرب وقيادتها ، فهي التي أمدته بالمال والمئونة اللازمين لها . وكانت نتيجة الحرب تعنيها بقدر ما كانت تعنيه . ولم يدر بخلدها أن مرافقتها له سوف تثير الشقاق في معسكره . فقد رأى فريق من ضباط أنطونيوس : ممن سبق لهم الخدمة تحت لواء قيصر ، أن في وجود الملكة بساحة القتال إضعافاً لمركزه في نظر الشعب الروماني ، و إيحاء للجنود بأنهم يقاتلون من أجلها لا من أجل الزعيم الروماني . ولذلك نصحوا بإعادتها إلى مصر . ولما سمعت الملكة بذلك استشاطت غضباً وأصرت على البقاء . وأثار عنادها بعض أنصار أنطونيوس البارزين فانفضوا من حوله ملتجئين إلى معسكر خصمه[1] . وزاد مركز أنطونيوس وكليوبطرة

---

sua, et me belli quo vici ad Actium depoposcit. Iuraverunt in eadem verba provinciae Galliae, Hispaniae, Africa, Sicilia, Sardinia:

واقسمت لى جميع ايطاليا بمحض ارادتها يمين الولاء وطالبت ان اكون قائدا للحرب التى انتصرت فيها عند اكتيوم . واقسمت لى اليمين نفسه ولايات غالة وولايتا اسبانيا ، وافريقيا وصقلية ، وسردينيا .

وعن هذا القسم وطبيعته ، راجع .

Holmes, *The Architect of the Roman Empire*, I, pp. 247-251; Syme, *The Roman Revolution*, pp. 284 ff., 307.

(١) Cf. Syme, *op. cit.*, pp. 280 ff.

ضعفاً سوء اختيار مكان المعركة . فقد ركزا قواتهما البحرية والبرية فى خليج وشبه جزيرة أكتيوم عند المدخل الضيق لخليج أمبراكيا ، ووزعا بقية القوات على خط قتال يمتد مسافة طويلة على الساحل الغربى من بلاد اليونان . ولم يكن هذا الخط من السهل اختراقه فحسب ، بل كان مكشوفاً أيضاً من ناحية إيطاليا . ولعل كليو بطرة كان لها يد فى هذا الاختيار الذى أملته بعض عوامل كان فى مقدمتها سهولة الاتصال بمصر والاحتفاظ بخط الرجعة فى حالة الانكسار . ولقد قيل إن أنطونيوس كان يجب عليه أو خطر له فعلاً أن يبادر بالنزول إلى إيطاليا ومهاجمة خصمه فى عقر داره . غير أن ذلك لم يكن من المستطاع لأن أكتافيانوس كان قد احتل تارنتوم وبرنديزى وأحكم خط الدفاع عنهما ، وهما الميناءان اللذان كان من المستطاع إنزال الجنود فيهما[1] .

ولم يأت ربيع عام ٣١ حتى كان أكتافيانوس قد عبر البحر الأدرياتى مع جيش يعادل جيش أنطونيوس (حوالى ٨٥,٠٠٠ مقاتل) وأسطول قوامه ٤٠٠ سفينة ، أى يقل بمائة سفينة عن أسطول غريمه[2] . ورابط فى مواجهة خليج أكتيوم حيث اعتصمت قوات أنطونيوس . وفى العمليات العسكرية التى أعقبت ذلك تمكن أجريبا ، أكفأ قواد أكتافيانوس ، من تطويق أسطول أنطونيوس فى خليج أرتا وأخفقت جميع محاولات الأخير لإرغام العدو على منازلته براً فى معركة فاصلة أو إعاقة وصول الإمدادات إليه من البر . وباستيلاء أكتافيانوس على كورنثة وغيرها من المواقع الهامة ، وبفضل تفوق فرسانه ، قطع على قوات

---

(١) *Cf.* Holmes, *op. cit.*, pp. 145; 251.

(٢) عن هذه الأرقام ومعركة أكتيوم (٢ سبتمبر عام ٣١) بوجه عام ، أنظر :

W.W. Tarn, "The Battle of Actium", *J.R.S.* 21 (1931), pp. 173-199; *idem* "Actium: A Note", *J.R.S.* 28 (1938), pp. 165 ff.; *idem*, *C.A.H.* X (1934), pp. 100-106; *cf.* however, G.W. Richardson, "Actium" *J.R.S.* 27 (1937), pp. 153-156.

عدوه طريق الاتصال بداخل بلاد اليونان . و بدأ جنود أنطونيوس يعانون من قلة المئونة وتفشى الأمراض ، واستفحلت حركة التمرد وازداد عدد المتخلين عنه حتى تحرج مركزه ولم يعد أمامه سوى أن يخاطر باقتحام معركة بحرية ضد خصمه. ولا تتضح لنا تماماً نواياه فى تلك اللحظة [١] . لعله عقد عزمه على القتال حتى يحرز نصراً حاسماً . غير أن الأرجح أنه كان قد قرر أن يدع الجانب الأكبر من قواته يدافع عن نفسه فى المعاقل الحصينة على ساحل بلاد اليونان ، بينما ينسحب هو وكليو بطرة و بقية القوات مع الأسطول المحمل بكنز المليكة محاولاً اختراق الحصار المضروب عليه [٢] . وقد عقد أمله على حشد جنود الحاميات التى تركها فى الشرق واستئناف النضال بعد أن يستجمع قواه . وطبقاً للخطة الموضوعة اخترقت كليو بطرة وسفنها خط الحصار عائدة إلى الإسكندرية . ولم يلبث أن لحق بها أنطونيوس بعد أن تحطمت معظم سفنه أو وقعت فى يد العدو . وسرعان ما استسلمت للعدو قواته البرية التى تركها وراءه على ساحل بلاد اليونان . ولم يحطم هذا الانسحاب روح كليو بطرة المعنوية فد خلت ميناء الإسكندرية مرفوعة الرأس وقد زينت مقدمة سفينتها بشارات النصر حتى توهم الشعب أنها عادت منتصرة . وقد حاول أنطونيوس أن يستعين بالحامية الرومانية فى برقة غير أن قائدها ، پيناريوس سكارپوس ، تنكر له ، فقفل راجعاً إلى الإسكندرية .

وتقدم أكتاڤيانوس نحو الشرق ونزل بآسيا الصغرى . غير أنه لم يلبث أن اضطر إلى العودة إلى إيطاليا ليقمع بعض اضطرابات نشبت بسبب تمرد المحاربين القدماء . ولما فرغ من تهدئة الحال عاد إلى الشرق على وجه السرعة ماراً بجزيرة رودس . و بعدئذ نزل بسوريا حيث شرع فى أوائل صيف عام ٣٠ يعد العدة للزحف على مصر . وفى تلك الأثناء حاولت كليو بطرة ، وربما أنطونيوس أيضاً ،

---

(١) *Cf.* G.W. Richardson, "Actium", *J.R.S.* 27 (1937), pp. 157-164

(٢) *Cf.* T.R.S. Broughton, "Cleopatra and the Treasure of the Ptolemies" *A.J.P.* 64 (1943), pp. 328-332.

التفاهم مع أكتاڤيانوس عن طريق السفراء . وقد عرضت عليه فيما يبدو التنازل عن عرشها لأبنائها ، وعرض عليه أنطونيوس اعتزاله الحياة العامة وانزواءه كمواطن عادى . وبينما قبل أكتاڤيانوس هدايا الملكة ومناها ببعض الوعود ، صم أذنيه عن رسائل أنطونيوس . ولا سبيل إلى التحقق من صحة المشروعات التى خطرت لكليوبطرة آنئذ ، كالنزول فى أسبانيا الغنية بالفضة وإثارة الغرب على أكتاڤيانوس أو الانسحاب إلى النوبة فى جنوب الوادى أو الفرار إلى شواطئ المحيط الهندى ، وهى مشروعات لم تخرج أبداً إلى حيز التنفيذ . وزاد الموقف سوءاً أن كورنيليوس جاللوس ، أحد قواد أكتاڤيانوس ، استمال إلى جانبه فرق أنطونيوس المرابطة فى برقة واستولى على پرايتونيوم (Paraetonium) (مرسى مطروح) ، وأحبط محاولة قام بها الأخير لاسترداد المدينة .

واقتحم أكتاڤيانوس الحدود الشرقية واستولى على بيلوزيون (الفرما) ثم تابع سيره إلى الإسكندرية . وخرج أنطونيوس لملاقاته وتمكن من إنزال الهزيمة بفرسانه . غير أن سفنه الراسية فى الميناء استسلمت لأسطول العدو . ولم تلبث فصائل فرسانه أن حذت حذو وحدات أسطوله ، واندحرت كتائب مشاته عند ضاحية المدينة (الرمل) التى أطلق عليها اسم نيقوپوليس (Nicopolis) تخليداً لانتصاره . واستبد اليأس بأنطونيوس فانتحر (أول أغسطس عام ٣٠) . وحاولت كليوبطرة أن تضمن العرش لأحد أبنائها ولكن أكتاڤيانوس الظافر صم أذنيه عن رجائها . ولم يشأ أن يتحمل وزر مقتلها فأوعز إليها بأنه قد يسوقها — مثلما ساق قيصر أختها أرسينوى — فى موكب نصره بعد عودته إلى روما . ولذا آثرت كليوبطرة أن تنتحر على أن تدخل روما فى ثياب الذل وتعرض كالسبى على رجالها . واختارت أن تموت بلدغة الكوبرا[١] ، وهو اختيار له مغزاه ،

---

(١) Cf. M. Levi, "Cleopatra e l'aspide" *Parola d. Passato*, 9 (1954), pp. 293-295. و J. Gwyn Griffiths, « The Death of Cleopat[ra] » **J. E. A. 47 (1961), 113 — 118**

لأن الكوبرا كانت أفعى تاج مصر السفلى ، وخادمة رع إله الشمس ، التى لا تمنح لدغتها الخلود وحسب بل الألوهية أيضاً[١] .

هكذا لقيت كليوبطرة حتفها (١٠ أغسطس عام ٣٠ ؟) [٢] . ولم تكن فى حقيقة الأمر مصرية الدم ، غير أنها كانت أكثر أفراد أسرتها تشبعاً بالروح المصرية . فكانت الوحيدة من بينهم التى تعلمت اللغة المصرية ، وكان يروق لها أن تنسب نفسها إلى رع وتظهر فى زى إيزيس . ولعلها كانت أقرب البطالمة إلى قلوب رعاياها . ومن الإجحاف وصفها بأنها كانت مجرد غانية لعوب . لقد كانت كليوبطرة ملكة واسعة الثقافة ، مليئة بالحيوية ، ومنظمة بارعة . وحبتها الطبيعة بالجاذبية والذكاء وعذوبة الصوت . وأوتيت من مضاء العزم والشجاعة والطموح قدراً كبيراً . ولا يستطيع مؤرخ منصف أن يأخذ عليها استغلال كل هذه المواهب فى تسخير قادة الرومان لتحقيق أطماعها وصيانة استقلال بلادها . وقد شاء حظها العاثر — وهوّن من هزيمتها فى الوقت نفسه — أنها اصطرعت مع رجل ليس كغيره من الرجال ، لأن أكتافيانوس لم يكن مجرد وريث أو خليفة عاهل كبير ، بل كان مؤسس امبراطورية عتيدة وخالق عهد جديد[٣] . لكن حسب الملكة « المصرية » خطراً أنها صارت رمزاً للكفاح المجيد ضد روما المغتصبة التى كان الشرق الهلينستى كله يتمنى الخلاص من نيرها ، وأنها لم تثر الحقد فقط فى قلوب أعدائها بل أثارت الخوف أيضاً . لقد كانت ثانى اثنين امتلأت روما منهما

---

(١) H.I. Bell, *Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest*, Oxford (1948), p. 64

(٢) فى رأى الأستاذ سكيت أن كليوبطرة انتحرت فى ١٧ مسرى الموافق ١٠ أغسطس من عام ٣٠ ق . م . أى فى اليوم العاشر بعد دخول أكتافيانوس الاسكندرية ، راجع مقاله :
T.C. Skeat, "The Last Days of Cleopatra: A Chronological Problem", *J.R.S.* 43 (1953), pp. 98-100.

(٣) H. Volkmann, *Kleopatra: Politik und Propaganda*, Munchen (1953), p. 215: Es war Kleopatras Schicksal, dass ihr in Octavian der Mann entgegentrat, der nicht nur Erbe und Nachfolger war, sondern Schöpfer einer neuen Epoche wurde.

رغما[١] ولعل خير شاهد على ذلك قصائد فرجيل وهوراتيوس وپروپرتيوس وأوفيد ، أئمة شعراء العصر الأغسطى . وكان أولهم بمثابة شاعر البلاط ، وشغل الثانى مكانه من بعده . وقد قاموا جميعاً بالدعاية للحكم الجديد ، وأشادوا به وكالوا المديح لصاحبه . وكان من الطبيعى أن يهجوا خصمه أنطونيوس وزوجته كليو بطرة . ويهبط هـذا الهجاء أحياناً إلى حد الإسفاف ، لـكنه يكشف عن مبلغ الخوف الذى أثارته الملـكة فى قلوب الرومان . ولعل فرجيل ، أمير الشعراء اللاتين ، هو أعفهم لساناً لأنه وإن كان قد هجا كليو بطرة فإنه لم يفحش فى الهجاء[٢] :

وفى الجانب الآخر أتى أنطونيوس ، بعد عودته ظافراً من بلاد
الشرق والساحل الأحمر[٣] ، يؤازره برابرة وأسلحة متنوعة .
أتى معه بمصر وقوات الشرق وبكترا[٤]
النائية ، وتتبعه (يا للخزى) زوجته المصرية .
واندفع الجميع فى آن واحد فأزبد البحر كله وتمزقت
صفحته من شد المجاذيف ومن المناطح مثلثة الأشواك .
وإلى اليم سعوا حتى لتخال الكيكلاديس[٥] قد اقتلعت
وأخذت تطفو فوق الماء أو تخال شواهق الجبال يناطح بعضها بعضا ،
وبهذه السفن الهائلة أخذ الملاحون يهاجمون المراكب ذات الأبراج .
وينثرون بأيديهم قطع الجوت المشتعلة وحديدا ينطلق طائرا بالقذائف ،
وتخضبت حقول نبتونوس[٦] بدماء مجزرة لم يسبق لها مثيل .
وفى الوسط كانت الملكة تنادى جحافلها بجلجل وطنها[٧]

(١) W.W. Tarn, *C.A.H.* X (1934), p. 111; idem. *Oxf. Class. Dict.* (1949), *s.v.* Cleopatra VII.

(٢) Vergilius, *Aen.* VIII, 685-713 (ed. F.A. Hirtzel in *O.C.T.*)

(٣) المقصود هنا ساحل المحيط الهندى لا البحر الأحمر .

(٤) عاصمة بكتريا أو بكتريانا ، وهى بلخ الحالية .

(٥) الـكيكلاديس هى الجزر المحيطة بجزيرة ديلوس فى البحر الإيجى .

(٦) هى حقول پوسيدون ، إله البحر ، وهى كناية عن البحر

(٧) الجلجل ترجمة كلمة sistrum وهى آلة موسيقية كان أتباع إيزيس يحملونها فى مواكبها الدينية . وكان بها ثلاثة أو أربعة أسياخ معدنية غير مثبتة يمكن تحريكها بسهولة فتحدث عنها خشخشة . وكان البعض يعتقد أن للجلجل قوة تخيف الإله ست (تيفون عند اليونان) ، عدو أوزيريس ، أى له قوة على طرد روح الشر (راجع پلوتارخوس de Iside 63) . وعن شكل

hinc ope barbarica variisque Antonius armis,
victor ab Aurorae populis et litore rubro,
Aegyptum virisque Orientis et ultima secum
Bactra vehit, sequiturque (nefas) Aegyptia coniunx.
una omnes ruere ac totum spumare reductis
convulsum remis rostrisque tridentibus aequor.
alta petunt; pelago credas innare revulsas
Cycladas aut montis concurrere montibus altos,
tanta mole viri turritis puppibus instant.
stoppea flamma manu telisque volatile ferrum
spargitur, arva nova Neptunia caede rubescunt.
regina in mediis patrio vocat agmina sistro.

ولم تلتفت بعد وراءها الترى الحيتين خلفها (١)
وآلهة بشعة الصورة من كل نوع وأنوبيس النباح (٢) .
تشهر السلاح في وجه نبتونوس وفينوس وفي وجه مينرفا •
وفي قلب المعمعة كان مارس يهدر بالغضب
وقد رصع صدره بالحديد ، وربات القصاص تكشر عن أنيابها من عل ،
والإلهة الشعثاء تخطو مبتهجة في ردائها الممزق ،
وفي أعقابها تمشي بللونا (٣) ممسكة بسوطها الدامي •
وأبصر أبوللون ، رب اكتيوم ، بما يجري فشرع يشد قوسه
من عليائه • وساد الفزع فولت مصر كلهـا والهند
وبلاد العرب قاطبة وجميع سبأ ، ولت الادبار •
وقد شوهدت (الملكة) نفسها تدعو الرياح وتطلق لها
أشرعتها وتحل — حتى في هذه الآونة — حبالها المتراخية
وقد شحب وجهها وسط المجزرة خوفا من الموت المرتقب •
هكذا جعلها الله النار منساقة بالأمواج والريح •
لكن قبالتهـا كان النيل — ذو المجرى العظيم — حزينا
ينشر طيات ثيابه ، بل كل ردائه ، داعيا
المنهزمين الى حضنه القاتم الزرقة ومياهه الآمنة •

ويسخر أوفيد من كليوبطرة سخرية عابرة حين يشير إلى (٤) :

زوجة القائد الروماني المصرية التي سوف تسقط (أمام أغسطس)
لأنها لم تحسن صنعا بارتكانها الى الزواج ، ويذهب مع الريح وعبدها بأن
الكابيتول الروماني سوف يحني هامته لكانوب المصرية (٥).

= الجاجل ووصفه ، أنظر :

Brodrick-Morton, *A Concise Dictionary of Egyptian Archaeology*, 5th ed., London (1945), p. 166.

(١) الحيتان ترمزان إلى الموت وتنذران بقرب حدوثه .

(٢) عن أنوبيس وسخرية الرومان به ، راجع :

M.S. Salem, *The Cult of Isis in Italy*. Diss. Liverpool (1937), pp. 77 ff. and n. 1.

(٣) بللونا أو دويللونا (Duellona) هي ربة الحرب عند الرومان وكان معبدها بساحة مارس (Campus Martius) قرب معبد مارس إله الحرب .

(٤) Ovidius, *Metam*. XV, 826-828.

(٥) المقصود بكانوب (Canopus) مدينة الإسكندرية .

necdum etiam geminos a tergo respicit anguis.
omnigenumque deum monstra et latrator Anubis
contra Neptunum et Venerem contraque Minervam
tela tenent, saevit medio in certamine Mavors
caelatus ferro, tristesque ex aethre Dirae,
et scissa gaudens vadit Discordia palla,
quam cum sanguineo sequitur Bellona flagello.
Actius haec cernens arcum intendebat Apollo
desuper: omnis eo terrore Aegyptus et Indi,
omnis Arabs, omnes vertebant terga Sabaei,
ipsa videbatur ventis regina vocatis.
vela dare et laxos iam iamque immitere funis.
illam inter caedes pallentem morte futura
fecerat ignipotens undis et Iapyge ferri,
contra autem magno maerentem corpore Nilum
pandentemque sinus et tota veste vocantem
caeruleum in gremium latebrosaque flumina victos.

Romanique ducis coniunx Aegyptia taedae
non bene fisa cadet, frustraque erit illa minata,
servitura suo Capitolia nostra Canopo.

وأما الشاعر بروبرتيوس فهو أقذعهم هجاء وأشدهم إسفافاً وأكثرهم شماتة في المملكة المصرية[١] :

فلماذا أتغنى بالأبطال ، ولماذا أحمل الآلهة وزر الجريمة ؟
لقد جلب جوبيتر على نفسه وعلى بيته العار ،
لماذا أتحدث عمن لطخت أسلحتنا بالخزى منذ قريب ،
المرأة المبتذلة حتى بين خدمها
التى طالبت زوجها الفاسق بأسوار روما
واخضاع السناتو لسلطانها كثمن لزواجها منه .
أيتها الاسكندرية الآثمة ، يا أخصب الأرضين مرتعا للخديعة ،
ويا ممفيس[٢] التى كثيرا ما تخضبت بدماء ويلاتنا
حيث سلبت الرمال من بومبى مواكب نصره الثلاثة .[٣]
أى روما ، لن يمحو يوم عنك هذه الوصمة !
كم كان افضل لك (يابومبى) لو جرى مأتمك فى سهل فليجرا[٤]
أو كان كتب عليك ان تحنى هامتك لحميك[٥]
نعم ! قد اجترأت الملكة العاهرة ، ملكة كانوب الدنسة ،[٦]
والوصمة الوحيدة التى دمغتها (فى جبين روما) سلالة فيليب
على أن تواجه الهنا جوبيتر بانوبيس الذى ينبح كالكلب
وأن ترغم التيبر على احتمال تهديدات النيل
وأن تطرد البوق الرومانى بخشخشة جلجل (ايزيس)
وتطارد سفن روما السريعة بمراكبها ذات الصوارى

(١) Propertius III, 11, 27-54 (ed. H.E. Butler, in *L.C.L.*)

(٢) المقصود بممفيس كل مصر .

(٣) الإشارة هنا إلى مصرع بومبى عند ساحل مصر على يد رجال بطلميوس ، راجع ص ١٧ أعلاه .

(٤) مرض بومبى فى نابلى عام ٥٠ ق . م . والشاعر يقول إنه كان أفضل له أن يموت حينئذ فى فليجرا ، وهى سهول متاخمة لنابلى ، من أن يلقى مصرعه فى مصر .

(٥) حمو بومبى هو يوليوس قيصر ، خصمه فيما بعد . والشاعر يعنى أنه كان خيراً لبومبى أن يذعن لقيصر من أن يقاتله ويختم حياته هذه الخاتمة الفجة .

(٦) اشتهرت كانوب (كوم سمعدى بالقرب من أبى قير) بأنها كانت مكاناً للهو والعبث والفجور .

Nam quid ego heroas, quid raptem in crimine divos?
Iuppiter infamat seque suamque domum
quid, modo quae nostris opprobria vexerit armis
et famulos inter femina trita suos,
coniugis obsceni pretium Romana poposcit
moenia et addictos in sua regna Patres?
noxia Alexandria, dolis aptissima tellus,
et totiens nostro Memphi cruenta malo
tris ubi Pompeio detraxit harena triumphos!
tollet nulla dies hanc tibi, Roma, notam.
issent Phlegraeo melius tibi funera campo,
vel tua si socero colla daturus eras.
scilicet incesti meretrix regina Canopi,
una Philippeo sanguine adusta nota,
ausa Iovi nostro latrantem opponere Anubim,
et Tiberim Nili cogere ferre minas,
Romanamque tubam crepitanti pellere sistro,
baridos et contis rostra Liburna sequi,

وتنشر شباكها القذرة فوق صخرة تاربيا[1]
وتصدر الأحكام[2] وسط تماثيل ماريوس ودروعه .
ان المدينة التي تحكم الدنيا بأسرها من عليا تلالها السبعة
قد فزعت من القتال وأوجست خيفة من وعيد امرأة .
فماذا يغني الآن أن تحطمت فئوس تاركوينيوس
الذي عرف من سيرته المتعالية باسم «المتعال»[3]
لو حق علينا أن نذعن لامرأة ؟ أي روما تلقى النصر ،
وادعى لأغسطس الذي نجاك من الهلاك بطول البقاء !
وأما أنت (أيتها الملكة) فقد لذت بالفرار الى الجداول الشاردة من النيل الفزعان
وقد رسفت يداك في أغلال الرومان .
لقد رأيت ذراعيها تلدغهما الأفاعي المقدسة
ورأيت أطرافها تجرع كأس الموت فينساب في طريقه الخفى .

ولعل هوراتيوس على نقده اللاذع أكثرهم إنصافاً للملكة حين يقول[4] :
الآن ينبغي أن نشرب ، وندق الأرض
بأقدام طليقة[5] ونعد أرائك ...

---

(١) الشباك هنا بمعنى الستائر التى تقى من الناموس (الناموسية) . ولعل تاربيا كانت فى الأسطورية العالم السفلى (أى الآخر) أو الروح الحارسة للصخرة القائمة عند الركن الجنوبى الغربى من الكابيتول ، أو لعلها كانت — كما يقول فارو — إحدى عذارى الربة فستا . وقد نشأت حولها أسطورة تفسر أصلها وهى أسطورة تاربيا التى انتهت خيانتها بمصرعها على يد السابين ، ودفنت عند الصخرة التى كان يقذف من أعلاها بالمجرمين المحكوم عليهم بالموت .

(٢) المؤرخ ديون كاسيوس (L, 5, 4) يردد نفس المعنى حين يقول :
وقد راودها الأمل فى أن تحكم الرومان . وكان أغلظ إيمان تقسم به ، عند ما تؤكد عمل شىء ، هو تصريف العدالة (يوما) فى الكابيتول .

(٣) المقصود بالفئوس هو البلط التى كانت ترمز إلى حق الملك أو القنصل فيما بعد فى الإعدام وهى كناية عن السلطة . وتاركوينيوس هو آخر ملك إترورى حكم فى روما . وقد ثار عليه الرومان وطردوه فى عام ٥١٠ ق . م . وأعلنوا الجمهورية . وقد اشتهر فى حياته باسم « المتغطرس » أو « المتعالى » (Superbus)

(٤) Horatius, *Od.* I, 37 (ed. Budé, par F. Villeneuve).

(٥) أى نرقص .

foedaque Tarpeio conopia tendere saxo.
iura dare et statuas inter et arma Mari.
septem urbs alta iugis, toto quae praesidet orbi,
femineas timuit territa Marte minas.
quid nunc Tarquinii fractas iuvat esse secures,
nomine quem simili vita superba notat,
si mulier patienda fuit? cape, Roma, triumphum
et longum Augusto salva precare diem!
fugisti tamen in timidi vaga flumina Nili:
accepere tuae Romula vincla manus.
bracchia spectavi sacris admorsa colubris,
et trahere occultum membra soporis iter.

Nunc est bibendum, nunc pede libero
pulsanda tellus, nunc Saliaribus

الآلهة(١) لأفخر المآدب
لقد أزف الوقت ، أيها الرفاق !

فمن قبل كان محرما أن نحضر فاخر النبيذ
المعتق تحت الأرض بينما كانت
ملكة هوجاء تدبر الخراب
للكابيتول والدمار للامبراطورية

مع شرذمة من رجال أنجاس
مدنسين بالرذيلة (٢) . لقد أسكرتها خمر الحظ الحلوة
حتى لم تعد بقادرة على أن تكبح نفسها
عن تمنى أى شيء . غير أن دمار أسطولها كله

بالنيران اطفأ ثورة جنونها
ورد قيصر صوابها الذى أطاشته
خمر مريوط(٣) الى واقع الفزع
وطاردها وهى تطلق ساقيها للريح مبتعدة

عن ايطاليا بمجاذيفه مثلما يطارد البازى
حماما رخصا أو يطارد الصياد السريع الخطا
أرنبا بريا فوق سهول تساليا (٤)
المغطاة بالثلوج لكى يقيد بالسلاسل

الوحش الخطير . غير أنها وقد سعت الى أن تموت
ميتة نبيلة لم تهلع من نصل السيف مثلما
تهلع النساء، ولم تسع بأسطولها
السريع الى شطآن خفية

---

(١) الإشارة هنا إلى الحفلات الدينية المعروفة باسم lectisternia حيث توضع تماثيل الآلهة على أرائك أمام مائدة الطعام .

(٢) لاحظ عدم ذكر أنطونيوس بالاسم ، وقد أغفله أغسطس نفسه عند تسجيل أعماله فى « أثر أنقره » .

(٣) اشتهرت منطقة بحيرة مريوط قديماً بانتاج النبيذ الجيد .

(٤) هيمونيا (Haemonia) فى الأصل هو اسم قديم لتساليا

ornare pulvinar deorum
tempus erat dapibus, sodales.

Antehac nefas depromere Caecubum
cellis avitis, dum Capitolio
regina dementis ruinas,
funus et imperio parabat

contaminatio cum grege turpium
morbo virorum, quidlibet impotens
sperare fortunaque dulci
ebria, Sed minuit furorem

vix una sospes navis ab ignibus,
mentemque lymphatam Mareotico
redigit in in veros timores
Caesar, ab Italia volantem

remis adurgens, accipiter velut
mollis columbas aut leporem citua
venator in campis nivalis
Haemoniae, daret ut catenis

fatale monstrum. Quae generosius
perire quaerens nec muliebriter
expavit ensem nec latentis
classe cita reparavit oras,

بل انها اجترأت على أن ترمق قصرها المتهاوى
بعين ملؤها الهدوء • وانها لقدامة أيضا اذ أمسكت
بالأفاعى الشرسة لكى يمتص
جسمها السم الزعاف

وقد زادها الاصرار على الموت جرأة
فاستنكفت ان تحمل — وهى متجردة من أبهة
الملك — على سفن القساة أو أن تساق
فى موكب النصر الفاخر : فهى امرأة ذات اباء • (١)

ausa et iacentem visere regiam
voltu sereno, fortis et asperas
tractare serpentes, ut atrum
corpore combiberet venenum,

deliberata morte ferocior:
saevis Liburnis scilicet invidens
privata deduci superbo,
non humilis mulier, triumpho.

---

(١) عن كليوبطرة وكبار الشعراء الرومان ودورها فى التاريخ ، راجع الكتاب التالى :

H. Volkmann, *Kleopatra: Politik und Propaganda.* München (1953), pp. 204-216.

حيث يختم المؤلف كتابه بالعبارة التالية :

In dieser Gestalt wird sie [Kleopatra] unter den Frauen, die in den männlichen Kampf um politische Macht eingriffen, immer eine Sonderstellung haben und immer wieder die Phantasie der Menschen erregen.

الفصل الثانى

أغسطس وتيبريوس

١ – وضع مصر الفريد فى الامبراطورية :

هكذا سقطت الإسكندرية فى يد أكتافيانوس فى اليوم الثامن من شهر مسرى الموافق أول أغسطس عام ٣٠ ق.م.(١). ودخلت مصر فى نطاق الامبراطورية الرومانية . وأصدر السناتو (مجلس الشيوخ) قراراً باعتبار هذا اليوم عيداً وطنياً فى روما ونقطة بداية التقويم المحلى فى مصر(٢) . غير أن حكم أكتافيانوس لا يبدأ فى الواقع إلا مع رأس السنة المصرية القديمة ، أى فى أول توت الموافق ٢٩ أغسطس عام ٣٠ ق . م(٣)

(١) *Cf.* Stein, *Untersuchungen zur Geschichte und Verwaltung Aegyptens under roemischer Herrschaft* (1915), p. 52, n. 2.

لم يكن شهر أغسطس قد سمى بعد بهذا الاسم بل كان يعرف وقتئذ بالشهر السادس (mensis Sextilis) وفقاً للتقويم الرومانى القديم الذى كانت السنة تبدأ فيه بشهر مارس . وقد سمى بشهر أغسطس تخليداً لذكرى أكتافيانوس (الذى منح لقب Augustus ، بمعنى الجليل ، فى يوم ١٦ يناير عام ٢٧ ق . م) أكبر الظن فى العام نفسه وليس فى عام ٨ ق . م . كما يفهم من بعض الكتاب ، راجع :

Suetonius, *Div. Aug.* XXXI, 2; Dio Cassius LV, 6, 6; Censorinus, *de Die Nat.* XXII, 16.

وأنظر أيضاً :

J. Gagé, *Res Gestae Divi Augusti*, 2e éd. Publ. Fac. Lett. Univ. Strasb. Textes d'Etude, 5. Paris (1950), p. 158, n. 1; T.R. Holmes, *The Architect of the Roman Empire*, Oxford (1928), vol. I, p. 181 & n. 6.

(٢) Dio Cassius, LI, 19, 6.

(٣) *P. Oxy.* 1453, Introd.

تاريخ هذه الوثيقة التى يوصف فيها قيصر (أكتافيانوس) بأنه إله ابن إله (راجع : Bell, *Cults and Creeds*, p. 65) ٢٩ أغسطس ٣٠ ق . م . وعلى ذلك فهى أقدم بردية وصلتنا من العصر الرومانى .

ولتفسير ذلك نقول إننا نجد طريقتين متبعتين فى تأريخ الوثائق البردية من عصر أغسطس =

وقد منع أكتافيانوس جنوده من نهب المدينة أو تخريبها وألقى على مواطنيها خطاباً باليونانية أعلن فيه صفحه عنهم . وعندما أحضروا إليه تابوت الإسكندر الأكبر من قبره تمعن فى جثمانه ووفاه ما يستحقه من تبجيل بأن وضع عليه تاجاً من الذهب ونثر فوقه الزهور . **وعندما سألوه ان كان يرغب في مشاهدة ضريح البطالمة ، أجاب أنه رغب في أن يشاهد ملكا لا أن يشاهد أمواتا** (١) ولم يتهن

= إحداها هى التقليدية أى التأريخ بسنوات الحكم ، مثال ذلك السنة الرابعة من حكم قيصر ، [وقيصر إذا ذكرت مجردة فى الوثائق تعنى أكتافيانوس] والأخرى — التى لفت العلامة فيلكن نظر الباحثين إليها — هى التأريخ بسيادة قيصر (kratêsis Kaisaros) فى بعض وثائق غير رسمية ، مثال ذلك السنة الرابعة من سيادة قيصر . والأخيرة رومانية الأصل إذ يوصف فيها قيصر (أغسطس) عادة بأنه ابن المؤله (Divi filius) أى ابن يوليوس قيصر الذى تبناه ورفعه السناتو إلى مصاف الآلهة بعد موته . ولدينا الآن وثيقة مؤرخة بالصورتين (P. Ryl. 601) . ولا يبدأ عصر سيادة قيصر بيوم سقوط الاسكندرية (أول أغسطس ٣٠ ق . م .) ولا بيوم موت كليوبطرة (١٠ أغسطس ٣٠ ق . م . ، راجع ص ٣٩ هامش ٢ أعلاه) ، بل يبدأ ، كصورة التأريخ بسنوات الحكم ، بأول توت أى بيوم ٢٩ أغسطس ٣٠ ق . م . ولعل ذلك يرجع إلى أن أكتافيانوس أراد أن يؤكد فكرة سيادته على مصر كلها لا سقوط الإسكندرية وحدها ، فعدل قرار السناتو حتى لا يجعل للسنة الأولى من حكمه فى مصر بدايتين متقاربتين هذا التقارب (أول أغسطس ، ٢٩ أغسطس عام ٣٠ ق . م .) ؛ وعن هذه النقطة ، راجع :

— U. Wilcken, "Octavian after the Fall of Alexandria", *J.R.S.* 27 (1937), pp. 138-144.

— *Cf.* also T.C. Skeat, "The Last Days of Cleopatra: A Chronological Problem", *J.R.S.* 43 (1953), p. 100.

— Idem, *The Reigns of the Ptolemies*, Münchener Beiträge zur Papyrusforschung, Heft 39 (1954), p. 42.

— *Cf.*, however, Bell, *C.A.H.* X, p. 285, and n. 1

(١) Suetonius, *Div. Aug.* XVIII, 1: Per idem tempus conditorium et corpus Magni Alexandri, cum prolatum e penetrali subiecisset oculis, corona aurea imposito ac floribus aspersis veneratus est consultusque, num et Ptolemaeum inspicere vellet, regem se voluisse ait videre, non mortuos.

راجع أيضاً : Dio Cassius LI, 16, 3-5:

« واما عن المصريين والاسكندريين فقد عفاعنهم جميعا حتى انه لم يهلك منهم احـــد ، والحق انه لم يشا ان ينزل ضررا لايمكن علاجه بشعب كثيف العدد قد ينفع الرومان نفعــا

=

أكتافيانوس بهذه الملاحظة ذكرى البطالمة بقدر ماجرح كبرياء الإسكندريين . ولعله أراد أن يفهمهم أن نفوذهم فى الدولة قد تلاشى ، وأن الأسرة التى كانوا رعاياها بالأمس قد اندثرت إلى الأبد . ولما كان يعلم أن الإسكندريين شعب ميال إلى الشغب يثور لأوهى الأسباب ، فقد وضع بالمعسكر الكبير الذى أقامه فى نيقوپوليس [١] ، فرقة رومانية ، وهى الفرقة الثانية والعشرون التى أضيف إلى رقمها فيما بعد اسم ديوّطاروس (legio XXII Deiotariana)[٢] ، وعززها بثلاث كتائب مساعدة من المشاة (cohortes) . وليس من المستبعد أن يكون مواطنو الإسكندرية — كما يفهم من بردية نشرت فى سنة ١٩٣٠ [٣] — قد تقدموا إليه ملتمسين إعادة مجلس الشورى (Boulê) — وهو مجلس كان فيما يرجح قائماً فى المدينة منذ تأسيسها ولكنه ألغى فى وقت غير معروف قبل مجىء

=

عقليها من نواح كثيرة . ومع هذا فقد برز صفحه عنهم بالاله سرابيس ، والاسكندر مؤسس مدينتهم ، وباريوس احد مواطنيهم الذى انتفع هو بعلمه وصحبته . وقد ألقى الخطبة التى عفا فيها عنهم باليونانية لكى يفهموه ، وبعد ذلك شاهد جثمان الاسكندر بل انه لمسه بيده حتى يروى ان جزءا من الانف تفتت ، ولكنه لم يشاهد جثث البطالمة — مع أن الاسكندريين كانوا شديدى الرغبة فى عرضها عليه — قائلا انه رغب فى ان يشاهد ملكا لاامواتا . ولهذا السبب عينه ام يشأ ان يلتقى بأبيس قائلا : إنه اعتاد ان يعبد آلهة لاعجولا .. "

(١) راجع ص ٢٨ أعلاه . وكانت نيقوپوليس تبعد عن الاسكندرية نفسها بحوالى أربعة أميال وفقاً لرواية استرابون أو أربعة كيلو مترات وفقاً لرواية يوسف ، ومكانها الآن ما بين مصطفى باشا (مصطفى كامل) وجليمونوپولو برمل الاسكندرية ، راجع :
Strabo XVII, 10; *cf.* 16; Josephus, *Bell. Iud.* IV, 9, 5; E. Breccia, *Alexandrea ad Aegyptum*, Bergamo (1922), p. 86; J. Ball, *Egypt in the Classical Geographers*, Cairo (1928), p. 128.

وعن المعسكر الرومانى (Castra Romanorum) ، راجع :
Dio Cassius, LI, 1, 3; *Cf.* LI, 18, 1; Breccia, *op. cit.*, p. 87.

(٢) J. Lesquier, *L'Armée romaine d'Egypte d'Auguste à Dioclétien*, Mem. I.F.A.O., t. XLI (1918), p. 49 f.

(٣) *P.S.I.* 1160 (The Boulê Papyrus) = H.A. Musurillo, S.J., *The Acts of the Pagan Martyrs* (Acta Alexandrinorum), Oxford (1954), No. I and pp. 83-98.

الرومان[١] . فإذا كان قيصر المذكور فى البردية هو أكتافيانوس[٢] ، فإنه لم يستجب لهذا المطلب بينما أقر لليهود حقوقهم القديمة . ولعله كان يرمى بذلك إلى إيجاد نوع من التوازن بين الإغريق واليهود حتى لا يطغى فريق على فريق عملا بالمبدأ الرومانى المشهور « فرّق تسد » .

وليس من المؤكد إن كان أكتافيانوس قد اتجه بعد ذلك إلى ممفيس[٣] (ميت رهينة) ووضع عند بابليون (مصر القديمة) فرقة رومانية أخرى ، رآها استرابون ، ولكن اسمها لا يزال مجهولا[٤] ولم ينس الفاتح الجديد أن جنوب الوادى ، مركز عبادة آمون ، كان معقلا للحركات القومية ضد البطالمة ، فبعث إليه بفرقة رومانية ثالثة ، يرجح أنها فرقة قورينة الثالثة (legio III Cyrenaica)

---

(١) H.I. Bell, "The Acts of the Alexandrines", *J.J.P.* IV (1950), p. 21.
الذى يقول إنه ربما كان بطلميوس الثامن (يورجتيس الثانى) هو الذى ألغى مجلس الشورى .

(٢) هـذا الرأى ضعيف الاحتمال . وعن هذه البردية أنظر أيضاً ص ٨٥ وهامش ١ فيا يلي .

(٣) Suetonius, *Div. Aug.* XCIII: At contra non modo in peragranda Aegypto paulo deflectere ad visendum Apin supersedit...
لكنه من ناحية اخرى لم يستنكف فقط اثناء سفره فى مصر من ان ينحرف قليلا (عن طريقه) لزيارة ابيس ...» .. هذه الفقرة تشير ضمناً إلى ممفيس . قارن رواية ديوكاسيوس (ص ٤٢/٤٣ هامش ١ أعلاه) التى تقول إن أكتافيانوس رفض زيارة أبيس فى الاسكندرية (أم فى ممفيس ؟) ؛ راجع :

— Stein, *Aegypten unter roemischer Herrschaft*, p. 67, n. 5; Lesquier, *L'Armée romaine*, p. 6, n. 4; "Octavian a visité Memphis avant son départ pour la Syrie. Mais le mot sur les Apis est suspect"

(٤) يعتقد الأستاذ ريترلنج (E. Ritterling) أن هذه الفرقة كانت « الفرقة الصاعقة الثانية عشرة » legio XII Fulminata ؛ راجع مقاله فى :
Pauly-Wissowa, *RE.* s.v. "legio", col. 1706
غير أنه يبدو من أحد النقوش (I.L.S. 8966) أن هذه الفرقة كانت فى شمال إفريقيا فى ذلك الوقت ؛ راجع :

J.R.S. 23 (1933), p. 25.

التى تشير أقدم الوثائق إلى وجود جانب منها فى منطقة طيبة[1] ، وعززها بثلاث كتائب مساعدة رابطت على الحدود الأثيوبية (النوبية) عند سوينى Syênê (أسوان) . كما وزع أكتافيانوس ثلاث كتائب أخرى مساعدة فى بقية القطر . ومن العسير أن نتعرف على مراكزها على وجه التحديد ؛ غير أنه من المرجح ، استناداً إلى وثائق الفترة التالية ، أنها رابطت عند مداخل إقليم هام كأرسينوى (الفيوم) ، وهرموپوليس (الأشمونين) ، التى كانت محطة جمركية للسلع الواردة من مصر العليا ، وكبتوس (قفط) ، وهى نقطة تجمع وتوزيع هامة للبضائع الآتية من موانى البحر الأحمر مثل ميوس هرموس Myos Hormos (أبو شعر القبلى ؟) و برنيق Berenicê (الهرّاس) ولمنتجات المناجم والمحاجر العديدة بجبال الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر . وقد بلغ من اهتمام أكتافيانوس بالمنطقة الأخيرة أنه وضعها تحت إمرة ضابط يحمل لقب قائد برنيق (praefectus Berenicês) أو قائد جبل برنيق (praefectus montis Berenicidis)[2] ، الذى كان يتولى ، إلى جانب إدارة المنطقة والإشراف على المناجم والمحاجر بمساعدة مشرف (procurator) ، قيادة الحاميات التى وضعت لحراسة هذه المناجم وتأمين الطرق الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر ،

---

(١) انقسمت مصر إدارياً فى عصر الرومان إلى ثلاثة أقسام أو مناطق كبرى : الدلتا (تقابل مصر السفلى) ، والأقاليم السبعة وإقليم أرسينوى (تقابل مصر الوسطى) ، وطيبة (تقابل مصر العليا) ، وكان على رأس كل منها قائد عام أو بالأحرى مدير عام (epistrategos) . ولعل هذا التقسيم لم يستحدثه الرومان بل كان موجوداً منذ أيام البطالمة ؛ راجع :

A.H.M. Jones, *Cities of the Eastern Roman Provinces*. Oxford (1937), p. 474, n. 22.

وكانت هذه المناطق الكبرى بدورها منقسمة إلى أقاليم (تقابل المحافظات الحالية) على رأس كل منها قائد أو بالأحرى مدير (strategos) .

(٢) *C.I.L.* III 13580; *I.L.S.* 2698, 2700

أو لقب « قائد الحاميات وجبل برنيق » :

praefectus praesidiorum et montis Ber(e)nices (I.L.S. 2699)

ومافيها من آبار وصهاريج . ويضيف استرابون إلى هذه القوات ثلاث آلايات أو فصائل من الفرسان (alae) وزعت على المراكز الحيوية . ولاجدال فى أن نقطة دفاع رئيسية مثل بيلوزيون قد عسكرت فيهما إحدى هذه الفصائل أو غيرها من الوحدات التى نقلت من الفرق الأصلية أو الكتائب الإضافية لتقوم بحراسة نقط معينة على الطريق الساحلى الممتد بين بيلوزيون عبر الصحراء إلى فلسطين أو من الإسكندرية حتى پرايتونيوم Paraetonium (مرسى مطروح) أو على الطرق الممتدة على جانبى الدلتا بين هاتين المدينتين وممفيس عند رأس الدلتا[١] .

وقام أكتافيانوس ببعض إصلاحات عاجلة لوقف التدهور الاقتصادى[٢] الذى انتاب مصر فى أواخر عصر البطالمة . ولا مراء فى أنه رسم الخطوط

---

(١) عن القوات الرومانية وتوزيعها فى مصر بعد الاحتلال ، أنظر :

Strabo XVII, 1, 12 (*Cf.* also 30; 53):

ويوجد فى مصر ثلاث فرق عسكرية (tagmata = L. legiones) إحداها فى المدينة (الاسكندرية) والاخريان فى القطر (chôra) . وتوجد غير هذه تسع كتائب رومانية (speirai = L. cohortes) ثلاث منها فى المدينة وثلاث على الحدود الاثيوبية (النوبية) فى سوينى (اسوان) وثلاث فى بقية القطر . وهناك ايضا ثلاث فصائل من الفرسان (hipparchiai = L. alae) موزعة بالمثل على المراكز الحيوية .

وراجع أيضاً الكتب والبحوث التالية :

— J. Lesquier, *L'Armée romaine d'Auguste à Dioclétien*, Le Caire, 1918.
— J.G.C. Anderson, "The Eastern Frontier under Augustus", *C.A.H.* (1934), pp. 239-247.
— H.A. Sanders, *P. Mich.* VII (1947), No. 441 (introd.).
— C. Préaux, "Une source nouvelle sur l'annexion de l'Arabie par Trajan: les papyrus de Michigan 465 et 466", *Phoibos* V = *Mélanges Joseph Hombert* (1950-51), pp. 123-139.

وبخاصة المقال التالى الذى يثبت فيه الكاتب أنه كان يوجد بمصر وحدات عسكرية أخرى يذكرها استرابون :

— S. Daris, "Note per la storia dell'esercito romano in Egitto" *Aegyptus* 36 (1956), pp. 235-246.

(٢) عن المشكلات التى واجهت أكتافيانوس فى مصر والحلول التى وضعها والنتائج التى ترتبت على سياسته فيها ، راجع :

H.I. Bell, "Roman Egypt from Augustus to Diocletian", *Chronique d'Egypte* 13 (1938), pp. 347-363.

المريضة للنظام الإدارى ووضع الأسس التى قام عليها الحكم الرومانى فترة طويلة من بعده . ولم يكن فى وسعه أن يبقى فى مصر مدة أطول فغادرها عائداً إلى روما ليواجه المشكلات الكثيرة التى نجمت عن الحروب الأهلية الطويلة . وهناك تبين له أن العلاج الوحيد هو تغيير نظام الحكم الجمهورى و إقامة حكم تواضع المؤرخون على تسميته بحكم المواطن الأول (Principatus)[1] ، و إن كان فى حقيقة الأمر حكما ملكياً تتركز فيه السلطة العسكرية — على الأقل — فى يد شخص واحد. غير أنه لم يشأ أن يظهر فى صورة الحاكم المفرد المطلق السلطة ، فأبقى على بعض مظاهر الحكم الجمهورى القديم ، وأشرك معه السناتو فى تصريف شئون الإمبراطورية . و بمقتضى التسوية التى تمت فى ١٣ يناير عام ٢٧ ق . م . — وهو تاريخ ميلاد الحكم الامبراطورى الجديد — قسمت أعباء إدارة الولايات بينه و بين السناتو الذى منحه فى العام نفسه لقب أغسطس[2] .

لكن ينبغى قبل الكلام عن الدور الذى قامت به مصر فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية أن أحدد وضعها فى تلك الامبراطورية . هذا الوضع كان ولا يزال مثار جدل بين الباحثين . ففى رأى فريق منهم أن مصر لم تكن ولاية (provincia) بالمعنى المألوف للكلمة ، بل كانت إحدى ممتلكات الإمبراطور الخاصة التى ترتبط بشخصه ارتباطاً وثيقاً وتخضع له خضوعاً مباشراً . و يستندون فى ذلك إلى أن أغسطس لا يصفها فى الوثيقة المشهورة

---

(١) الاشتقاق من كلمة princeps (فى اليونانية hegemôn) بمعنى الرئيس أو الزعيم أو القائد ، وعن تاريخ هذه الكلمة وتطوره ، أنظر :

R. Syme, *The Roman Revolution*, Oxford (1939), pp. 10, 311 ff., 516 ff.

(٢) على الرغم من مزاعم أغسطس فى « أثر أنقره » فإن حقيقة هذا الحكم الفردى لم تخف على المؤرخين القدماء أنفسهم ، راجع أقوالهم فى :

N. Lewis — M. Reinhold, *Roman Civilization*, (Columbia University Records of Civilization: Sources and Studies, No. XLV), New York (1955), vol. II, pp. 3-8.

باسم « أثر أنقرة »[١] بأنها ولاية[٢] ، على حين أنه يتحدث عن احتمال تحويل أرمينيا الكبرى إلى ولاية فى الفقرة التالية[٣] ، وأن السجلات

---

(١) أثر أنقرة (Monumentum Ancyranum) نقش لاتينى مع الترجمة اليونانية عثر عليه أول مرة عام ١٥٥٥ فى أنقرة (أنجورا Angora قديماً) بتركيا (مكان ولاية جلاتيا Galatia الرومانية) . وقد نقل نقلا علمياً صحيحاً فى ١٨٦١ ، وبصورة أدق فى عام ١٨٨١ ، ونشره العلامة مومسن (Mommsen) فى طبعة ثانية فى موسوعة النقوش اللاتينية (C.I.L.) عام ١٨٨٣ . وقد عثر على صورة أخرى يونانية (غير كاملة) من هذا النقش فى بلدة أبولونيا بإقليم بيسيديا بآسيا الصغرى (Monumentum Apolloniense) ، وعلى صورة ثالثة لاتينية (غير كاملة) فى بلدة أنطاكية بنفس الإقليم المذكور (Monumentum Antiochenum) . وأما الأصل الذى أمر أغسطس بحفره على عمودين مكسوين بالبرونز وإقامتهما أمام ضريحه (Mausoleum) فى ساحة مارس (Campus Martius) خارج روما ، فلم يعثر عليه . ويحتوى هذا النقش على موجز بأعمال أغسطس فى الناحيتين العسكرية والمالية .

وقد أشار إليه المؤرخان سويتونيوس (Div. Aug. CI, 6) وديون كاسيوس (LXI, 33) ويتبين من كل ذلك أن عنوان الوثيقة الصحيح هو Res Gestae Divi Augusti ، أى « أعمال أغسطس المؤله » . وقد بلغ من أهمية هذا النقش أن العلامة الألمانى مومسن أطلق عليه إسم « غرة النقوش اللاتينية titulus inter Latinos primarius » . وأحسن طبعة حديثة تشمل النص اللاتينى والترجمة اليونانية ومزودة بشروح وتعليقات هى :

J. Gagé, *Res Gestae Divi Augusti*, 2e édition (Publ. Fac. Lett. Univ. Strasb. Textes d'Etudes 5), Paris, 1950.

وآخر طبعة للوثيقة فى صورتيها اللاتينية واليونانية ظهرت فى كتاب :

V. Ehrenberg — A.H.M. Jones, *Documents illustrating the Reigns of Augustus and Tiberius*, Oxford (1949), No. 1.

(٢) *Mon. Ancyr.* 27, 1: Aegyptum imperio populi Romani adieci.
ضممت مصر الى سلطان الشعب الرومانى

(٣) *Mon. Ancyr.* 27, 2: Armeniam maiorem interfecto rege eius Artaxe cum possem facere *provinciam*, malui maiorum nostrorum exemplo regnum id Tigrani regis Artavasdis filio... tradere: : ومع أنه كان فى وسعى ان اجعل من ارمينيا الكبرى ولاية بعد مقتل ملكها ارتاكسيس فقد آثرت ، اقتداء بسنة اسلافنا ، ان اسلم تلك المملكة لتجرانيس ، ابن الملك ارتافاسديس .

الرسمية المعاصرة لاتذكر اسم مصر مقروناً بكلمة ولاية[١] ، وأنه إذا كان المؤرخ ديون كاسيوس يذكرها بين الولايات التي أسندت إدارتها للامبراطور في عام ٢٧ ق . م[٢] . فإنها لم تتأثر في الواقع بالتسوية التي تمت في ذلك العام ، بل ظلت النظم التي وضعت لها عند الفتح على ماهي عليه ، وهي نظم تختلف اختلافاً جوهرياً عن نظم سائر الولايات[٣] . ويستشهد فريق آخر بنفس عبارة أغسطس في

---

(١) Macrobius, *Saturn*. I, 12, 35: cum... Aegyptus hoc mense in potestatem populi Romani redacta sit.

لان مصر اخضعت في هذا الشهر لسلطة الشعب الروماني (وهو يردد قرار السناتو بتسمية الشهر السادس بشهر أغسطس) .

— *C.I.L.* VI, 701, 702 = Dess. *I.L.S.* 91 = Barrow, *A Selection of Latin Inscriptions*, Oxford (1934), No. 5: Imp. Caesar divi f. Augustus, pontifex maximus, imp. XII, cos. XI, trib. pot. XIV, *Aegypto in potestatem populi Romani redacta* Soli donum dedit: الامبراطور قيصر : اغسطس ابن المؤله الكاهن الاعظم والنادى به قائدا اعلى اثنتى عشرة مرة (عقب انتصاراته) والقنصل للمرة الحادية عشرة ، وحامل السلطة التريبونية للمرة الرابعة عشر ، قدم (هاتين المسلتين) هدية منه لاله الشمس (شكرا على) اخضاع مصر لسلطان الشعب الروماني (١٠ـ٩ ق . م . ٤ قارن (Plin, *Nat. Hist.*, XXXVI, 71

— *Not. Scav. Ant.* 1897, 421: [Aegypt]us in potestatem po[puli Romani redacta]
نفس المعنى

... Censorinus, *de die Nat.* XXI, 9: Aegyptii... in potestatem dicionemque populi Romani venerunt:

خضع المصريون لسلطة الشعب الروماني وحكمه(او سيادته)

— Eutropius VII, 7: Aegyptus per Octavianum Augustum imperio Romano adiecta:

ضمت مصر على يد اكتافيانوس اغسطس الى ممتلكات الشعب الروماني (وهو ترديد لعبارة اغسطس في اثر انقره)

وحتى في المسكوكات تذكر مصر غير مقرونة بكلمة ولاية ، راجع :

— H. Cohen, *Description historique des monnaies frappées sous l'empire romain*, 2e éd. Paris (1800-1892), Nos. 1-4; H. Mattingly, *British Museum Catalogue of Coins of the Roman Empire*, vol. I (1923), No. 650: Aegypto capta: (ذكرى) سقوط مصر

(٢) LIII, 12, 7.

(٣) *Cf.* A. Stein, *Untersuchungen zur Geschichte und Verwaltung Aegyptens unter roemischer Herrschaft*. Stuttgart (1915), p. 92, n. 1; Darin liegt nur die Tatsache, dass durch diese Teilung die schon bestehenden Einrichtungen in Aegypten nicht geändert wurden. Denn dass es sich von den kaiserlichen Provinzen wesentlich unterschied, braucht an dieser Stelle nicht nochmals betont zu werden. *Cf.*, *op. cit.*, p. 95: Aegypten war also keine Provinz in dem bei den Römern gebrauchten Sinne des Wortes.

الوثيقة المذكورة « لقد ضممتُ مصر إلى سلطان الشعب الرومانى » ، لأنها — فى رأيهم — من الوضوح بحيث لاتحتمل سوى تأويل واحد ، وهو أن مصر كانت ولاية استغلت مواردها — كغيرها من الولايات — لمصلحة الشعب الرومانى . فقد وصفها أكثر من مؤرخ قديم بأنها ولاية (provincia) (١) واحتلها جيش رومانى ، أمدت فرقه الأصلية وقواته الإضافية بكثير من الجنود ، ولم يحكمها وكيل مالى (procurator) من وكلاء الإمبراطور الذين كان يعهد إليهم بإدارة بعض الولايات الصغيرة التى لاترابط فيها سوى حاميات ضئيلة(٢) ، بل حكمها وال تدرب فى سلك وظائف « الفرسان » ، العسكرى والمدنى ، وتدرج فيه حتى أن منصبه كان فى أول الأمر أرقى مناصب ذلك السلك . وكانت إيراداتها

---

(١) Suetonius, *Div. Aug.* XVIII, 2: Aegyptum in provinciae formam redactam

بعد ان جعل مصر (فى شكل) ولاية

— Id. *Epit. de Caes.* I, 4: Regionem Aegypti... in provinciae formam redegit

(نفس المعنى)

— Id. *Div. Iul.* XXX, 1.

— Tacitus, *Hist.* I, 11: Aegyptum... equites Romani obtinent loco regum: ita visum expedire, provinciam aditu difficilem... domi retinere

تولى مصر فرسان رومان فى منزلة الملوك . وهكذا رؤى من المصلحة ان يضع تحت سيطرته المباشرة (او الشخصية) ولاية عسيرة المدخل .

— Id. *Hist.* I, 76: simul Aegyptus omnesque versae in Orientem provinciae nomine eius tenebantur

كذلك حكمت مصر والولايات الشرقية باسمه (باسم اوتو) .

— Id. *Ann.* II, 59: seposuit Aegyptum ne fame urgeret Italiam quisquis eam provinciam... insedisset

وعزل مصر خوفا من ان اى شخص .. يحتل تلك الولاية قد يقهر ايطاليا بمجاعة .

— Id. *Ann.* XV, 36: Nec multo post omissa in praesens Achaia, urbem revisit, provincias Orientis, maxime Aegyptum... agitans

وبعد ذلك بقليل انصرف (نيرون) مؤقتا عن آخيا وعاد الى المدينة (روما) منشغلا بالتفكير فى الولايات الشرقية ولا سيما مصر .

— Strabo XVII, 12: (eparchia = provincia)

ومصر الان ولاية تدفع جزية كبيرة القدر .

(٢) من رأي الفقيه اولبيانوس في : Ulpianus, Dig. I, 17

انظر ص ١٧٦ فيما بعد .

تحول إلى الخزانة المركزية فى روما لكى تنفق مع الأموال الأخرى المحصلة من بقية الولايات فى إطعام الشعب الرومانى وسد حاجات الإمبراطورية[١] . و يستبعد هذا الفريق أن عاهلا كأغسطس — اتسمت سياسته بالحذر والحرص على أن لا يزاول سلطات دون تفويض من السناتو والشعب — كان يستأثر بمصر وجميع مواردها . وثمة فريق ثالث يرى أن مصر ، التى تقول النصوص والوثائق إن أغسطس أخضعها لسلطة الشعب الرومانى ، كانت ولاية ، غير أن الشعب فوض الإمبراطور فى إدارتها باسمه وفقاً لتقاليدها الخاصة ومقتضيات ظروفها السياسية[٢] . ومع هذا

— Rufius Festus, *Brev.* XIII, 3: provinciae formam = شكل ولاية

— Hieronymus, *Chron.* 162 (ed. Helm): Aegyptus fit Romana provincia أصبحت مصر ولاية رومانية

— Ammian. Marcell. XXII, 16, 24: Aegyptus... provinciae nomen accepit ab Octaviano Augusto possessa

وقعت مصر فى حوزة اغسطس وحملت اسم ولاية .

— *P. Gnom.* 102 = S. Riccobono jr., *Il Gnomon dell'Idios Logos.* Palermo (1950), p. 68:

اذا احتاج مديرو معاهد التربية فى المدينة (الاسكندرية) الى شىء (من الزيت) لدهن الاجسام فيجوز لهم استيراد الزيت الى الولاية (eparchia = provincia) وبيع الفائض منه بالسعر الجارى فى المدينة .

(٢) *Cf.*, however, A. Piganiol, "Le Statut Augustéen de l'Egypte et sa Destruction", *Museum Helveticum* X, 3-4 (1953), p. 195 f.: Si nous essayons de définir les pouvoirs du préfet, nous retrouvons la même équivoque. Le préfet n'est pas autre chose qu'un intendant du prince, un procurateur. Suétone [*Nero* XIX, 2] nous dit que, sous Néron, Caecina Tuscus était *in procuratione Aegypti*

وفى رأى الأستاذ بيجانيول أن الغموض لا يكتنف وضع مصر وحدها بل سلطات واليها التى يتعذر تحديدها . فبينما هو لا يعدو أن يكون وكيلا ماليا عن الإمبراطور ، فقد زود بسلطة عليا (Imperium) لممارستها إزاء الرومان المقيمين فى مصر وجنود الفرق ، وفى إجراء التعداد وتصريف العدالة ... الخ ؛ وعن الوالى ووضعه وسلطاته ، انظر الفصل الخامس فيما يلى

(١) H.I. Bell, "Egypt under the Early Principate", *C.A.H.* X (1934), p. 284; *cf.*, however, Piganiol, *Mus. Helv.* X, 3-4 (1953), p. 200.

(٢) B.A. van Groningen, "L'Egypte et l'Empire: Etude de Droit public romain", *Aegyptus* 7 (1926), pp. 189-202; *cf.* P. Jouguet, *La Domination romaine en Egypte aux deux premiers siècles après Jésus-Christ*, Alexandrie (1947), p. 5.

الاختلاف فى تحديد وضع مصر إزاء الحكومة المركزية ، فإن الرأى الراجح الآن هو أنها كانت ولاية ، ولكنها من طراز فريد ، فى الإمبراطورية[١] .

لقد أدرك أغسطس أهمية مصر كمستودع للقمح لا غناء عنه لإطعام الشعب الرومانى فقد كان محصول إيطاليا منه لا يكفى لسد رمقه[٢] ، وأدرك أهميتها كورد

---

(١) Bell, "Roman Egypt from Augustus to Diocletian", *Chron. d'Eg.* 13 (1938), p. 247; idem, *Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest*. Oxford (1948), p. 67; *cf.* Piganiol, "Le Statut Augustéen de l'Egypte et sa Destruction", *Mus. Helv.* X, 3-4 (1953), p. 195:

حيث يجد القارىء ملخصاً قيا للمشكلة المحيرة ويتبين له مدى الابهام الذى يكتنف وضع مصر:

Si l'Egypte n'est pas un royaume, gouverné par un Roi, si elle n'est pas non plus une province, gouvernée par un magistrat, il ne reste qu'une solution: l'Egypte est un domaine particulier du prince, administré pour son compte par un homme à lui. Mais cette solution implique des difficultés graves.

(٢) Tacitus, *Ann.* II, 59: seposuit Aegyptum ne fame urgeret Italiam quisquis, etc...:

وضع (اغسطس) مصر على حدة خشية ان (يحتلها اى شخص) فيهدد ايطاليا بمجاعة

— Id. *Ann.* XII, 43: At hercule olim Italia legionibus longinquas in provincias commeatus portabat, nec nunc infecunditate laboratur, sed Africam potius et Aegyptum exercemus, navibusque et casibus vita populi Romani permissa est:

ومع هذا فان ايطاليا كانت ـ وايم الحق ـ تنقل فى الماضى الامدادات التموينية الى فرقهـا العسكرية فى الولايات النائية ، وهى لا تعانى الان من جدب الارض ، غير اننا نفضل ان نزرع اراضى افريقيا ومصر ، وحياة الشعب الرومانى قد ارتهنت بالسفن وما قد يصيبها من حوادث .

— Id. *Hist.* I, 11: Aegyptum..: annonae fecundam مصر غنية بالقمح
— Id. *Hist.* III, 48; eo properantius Alexandriam pergit, ut fractos Vitellii exercitus urbemque externae opis indigam fame urgeret.

ولذلك زحف (فسبسيان) الى الاسكندرية بسرعة بعد انكسار جيوش فيتلليوس لكى يرهق المدينة (روما) بمجاعة لاحتياجها الى الموارد الاجنبية .

— Josephus, *Bell. Iud.* IX, 10, 5: مصر اقيم جزء فى الامبراطورية بسبب القمح الذى تمون به (روما) .

— *Cf.* id. *Bell. Iud.* II, 386:

وفضلا عن الاموال فان مصر تمد روما بقمح يكفيها اربعة اشهر .

— Dio Cassius LI, 17, 1: ونظرا لوفرة قمحها وثروتها
— Plinius, *Paneg.* XXX, 2: urbem nostram nisi opibus Aegypti ali sustentarique non posse;

ان مدينتنا (روما) لاتستطيع ان تطعم نفسها او تقيم اودها بدون ثروة مصر

— Id. *Paneg.* XXX, 3: Discat igitur Aegyptus credatque experimento non alimenta se nobis, sed tributa praestare, sciat se non esse populo Romano necessariam et tamen serviat!

لتعرف مصر اذن وتؤمن عن تجربة بانها لا تمدنا بالطعام بل تؤدى لنا الجزية . ولتعلم انها لاتمت للشعب الرومانى بصلة ومع هذا فهى مسخرة فى خدمته .

فالمال لا بد منه لتدعيم الخزانة التى نضبت من جراء الحروب الأهلية . لذلك وضع فى مصر من الفرق الرومانية (legiones) والقوات المساعدة (auxilia) أكثر مما تستلزمه حاجة الدفاع حتى يضمن تماماً عدم وقوعها فى يد عدو من أعداء روما ، قد يمنع عنها المؤونة أو يقطع عليها طريق الاتصال بالشرق . كما أدرك ميزة موقعها الاستراتيجى ، لأن مصر بلد من السهل الدفاع عنه ، وفى وسع من يتحكم فى مدخليها أو مفتاحيها ، بيلوزيون فى الشرق ، وفاروس فى الغرب ، اللذين يوصفان بأنهما النقطتان الرئيسيتان للدفاع عنها من البر والبحر[1] ، فى وسعه أن يصد بسهولة أى هجوم عليها و يستقل بها و يناوىء روما منها[2] . كما كانت مصر بلداً كثيف السكان ، اشتهر أهلها ، و بخاصة أهل الإسكندرية ، بالميل إلى

=

— Aelius Aristides, *Or. de Rom.* 12 (ed. J.H. Oliver, The Ruling Power, *Trans. Am. Philos. Soc.* N.S. pt. 4, 1953, p. 983):

ان مزارعكم هي مصر وصقلية والجزء الخصيب (لا المتحضر كما يقول المترجم) من ليبيا .

— *O.G.I.S.* 669 = *I.G.R.R.* 1263 = *S.B.* 8444 = Evelyn White — James Oliver, *The Temple of Hibis in El Khârgeh Oasis. Part II Greek Inscriptions*, New York (1938), No. 4, Text B (Edict of Tiberius Julius Alexander, 6 July 68 A.D.), lines 4-5:

حيث انني مهتم اهتماما شديدا بان تظل الحال في مصر هادئة حتى تسهم بنشاط في التموين السنوى (euthēnia = annona) وفي الرخاء العظيم للعصر الراهن .

(١) *Bell. Alex.* XXVI: namque tota Aegyptus maritimo accessu Pharo, pedestri Pelusio velut claustris munita existimatur.

لان مصر كلها تعتبر محصنة بفاروس ، طريق الوصول اليها من البحر ، وبيلوزيون ، طريق الوصول اليها من البر ، وهما بمثابة نقطتي الدفاع الرئيسيتين عنها .

(٢) Tacitus, *Ann.* II, 59: seposuit Aegyptum ne fame urgêret Italiam quisquis eam provinciam claustraque terrae ac maris quamvis levi praesidio adversum ingentis exercitûs insedisset.

عزل مصر مخافة ان يحتل احد تلك الولاية ونقطتي الدفاع الرئيسيتين عنها برا وبحرا (يعني بيلوزيون وفاروس) ، ولو بحامية بسيطة ضد جيوش ضخمة فيهدد ايطاليا بمجاعة .

— Tacitus, *Hist.* II, 82: Titum instare Iudaeae, Vespasianum obtinere claustra Aegypti placuit.

وتقرر ان يشن تيتوس هجوما على بلاد يهوذا بينما يستولى فسبسيان على مفتاحي الدخول الى مصر .

الفوضى والشغب[1]. لذلك حرص أغسطس أشد الحرص على تأمينها من الوقوع في يد المنافسين ، فلم يقم عليها ، كما هو الحال في سائر الولايات ، والياً من هيئة السناتو ، وهي الهيئة الأرستقراطية ذات الميول الجمهورية التي لم يكن ليطمئن إليها كل الاطمئنان ، بل أقام عليها والياً من هيئة الفرسان (ordo equester) ، وهي في الأصل هيئة رجال الأعمال الذين اكتسبوا من ممارسة التجارة والتزام جباية الضرائب خبرة بالشئون المالية . ولم يكن هذا الوالي مسئولا أمام أحد سواه . ولم يحمل لقب مندوب أغسطس (legatus Augusti) ، كما هو الحال في ولايات الإمبراطور ، ولا لقب **قنصل بديل** (pro consule) أو **بريتور بديل** (pro praetore) ، كما هو الحال في الولايات السناتورية ، بل حمل لقباً من ألقاب سلك الفرسان بمعنى حاكم أو وال (praefectus) . وقد أسندت إلى هــذا الوالي ، الذي عرف رسمياً باسم « والي الإسكندرية ومصر

(١) Tacitus, *Hist.* I. 11: Aegyptum... provinciam... superstitione ac lascivia discordem et mobilem.

لأن مصر متنافرة الاهواء سريعة الهياج لايمانها بالخرافات وميلها للفوضى .

نظرا للكثافة سكان مدنها وريفها واستهتار اهلها وتقلب طباعهم

— Dio Cassius LI, 17, 1:

— Josephus, *Bell. Iud.* II, 385:

الاسكندرية معرض خطير على الثورة بسبب كثرة سكانها وثروتها وضخامتها

وعن سكان الاسكندرية خاصة ، راجع :

— Polybius XXXIV, 14 (cited by Strabo XVII, 12).

— Dio Chrysostomos, *Or.* XXXII, esp. 69 ff.:

والخطبة الأخيرة لديون « فم الذهب » الخطيب والفيلسوف الذي عاش بين ٤٠ ، ١١٢ م جديرة بالقراءة في الأصل اليوناني أو في أي ترجمة . غير أنها خطبة طويلة لا يتسع لها المقام . وحسبي هنا أن أقول إن ديون يهاجم فيها الإسكندريين ويندد بحدة لسانهم واستهتارهم وسوء سلوكهم ، وينعى عليهم ميلهم الشديد للفكاهة والمجون والعبث ونزوعهم إلى الشغب والفوضى والثورة لأتفه الأسباب ، وشغفهم بالمؤامرات مما يثير ريبة الحكام (الرومان) . ويعدد الحوادث التي تؤيد كلامه وبخاصة جنونهم بسباق الخيل وما يأتونه في حلباته من حماقة وصخب . ويحذرهم من مغبة الفوضى التي تسود حياتهم . والقصد هو حثهم على التزام الهدوء والسكينة في ظل الحكم الروماني .

(praefectus Alexandreae et Aegypti) [(١)] — لأن مصر كانت شيئاً والإسكندرية شيئاً آخر [(٢)] — أسندت إليه قيادة جيش قوامه من الفرق الرومانية

(١) O.W. Reinmuth, *The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian*. Klio, Beiheft XXXIV, N.F., Heft 21. Leipzig (1935), p. 9; idem, *RE* XXII, 2, s.v. "Praefectus Aegypti", col. 2353; A. Stein, *Die Präfekten von Aegypten in der römischen Kaiserzeit*. Diss. Bern. Ser. I, Fasc. I. Bern (1950), p. 179.

ولقب الوالى فى الوثائق اليونانية الصادرة من جهات رسمية هو (eparchos = praefectus) ولكنه يلقب فى أغلب الوثائق غير الرسمية (hegemôn = praeses) ، وأحياناً قليلة بكلمة diepôn (اسم فاعل فى اليونانيــة بمعنى المتصرف أو المدير) . ويلقب فى النصوص التاريخية بلقب (epitropos = procurator) [راجع أيضاً الوثيقة الرسمية . *P. Lond.* 1912, 42 f. (41 A.D.) وكذلك *P.S.I.* 1611, col. ii, 9 التى يرجح أنها ترجع إلى حوالى نفس التاريخ] وقد عرف عند قليل من المؤرخين بلقب archôn (حاكم) .

(٢) لم تكن الاسكندرية فى العصر الرومانى تعتبر رسمياً فى مصر (in Aegypto) بل متاخمة لمصر (ad Aegyptum) ، وعرفت فى الوثائق اللاتينية باسم Alexandrea ad Aegyptum وفى اليونانية Alexandreia hê pros Aiguptô أى « الاسكندرية المتاخمة لمصر » . ولدينا عدد قليل من النصوص التاريخية ونقش واحد من خارج مصر (I.L.S. 2696 = C.I.L. 6809) توصف فيها الاسكندرية بأنها « فى مصر » .

وقد أثبت الأستاذ « بل » بما لا يدع مجالا للشك بأن المدينة لم تكن فى نظر السلطات الرومانية أو حتى فى نظر الأفراد ، جزءاً من مصر بل « متاخمة لمصر » وفند حجج المعارضين فى مقاله :

H.I. Bell, "Alexandria ad Aegyptum", *J.R.S.* 36 (1946), pp. 130-132.

راجع أيضاً :

A. Stein, *Untersuchungen zur Geschichte und Verwaltung Aegyptens unter roemischer Herrschaft*. Stuttgart (1915), pp. 85-90.

وأضيف إلى الأدلة التى ساقها الأستاذ « بل » فى مقاله المذكور دليلاً آخر هو *P. Lond.* 1912, 46-49 حيث يقول الامبراطور كلوديوس للاسكندريين :

وأوافق على أن يقام واحد (من بين تماثيل ثلاثة تصوره واقفا فى عجلة حربية) عنـــد تابوسيريس ، البلدة الليبية التى تحمل هذا الاسم ، والاخر عند فاروس بالاســكندرية ، والثالث عند بيلوزيون فى مصر . وكذلك تحذيره اليهـود بان لا يسـتقدموا او يستدعوا يهودا ممن يفدون (الى الاسكندرية) من سوريا او من مصر عن طريق النهر

P. Lond. 1912, 96-97

ولعل الاسكندرية كانت تعتبر كذلك فى العصر البطلمى وإن كانت الأدلة ما تزال طفيفة (أنظر : O.G.I.S. 193) . على أنه يوجـد نقش من جزيرة ديلوس قد يرجع إلى القرن الثالث ق . م (I.G.R.R. 4, 588) توصف فيه الاسكندرية بأنها من مصر ، راجع : =

التى لم يكن يتولى قيادتها خارج مصر سوى رجال من طبقة السناتو . وزيادة فى الحيطة استن أغسطس قاعدة حرم بمقتضاها على أعضاء السناتو (بل والفرسان اللامعين من ذوى نصاب أعضاء السناتو) دخول مصر إلا بعد الحصول على إذن خاص من الإمبراطور (١) . وسواء أكان هذا التحريم يشمل هيئة السناتو بمقتضى قانون

— P.M. Fraser, "*Alexandria ad Aegyptum* again", J.R.S. 39 (1949), p. 56; *Cf.* D. Clarke, "Alexandria ad Aegyptum", *Bull. Fac. Art. Farouk I Univ.* V (1951), pp. 99-102.

وينبغى التنبيه إلى أن بعض الكتاب القدامى كان يعنى بالاسكندرية كل مصر . فشيشرون مثلا ، وإن ميز فى مواضع كثيرة بين الاثنين (ad. Att. 5, 1; ad fam. I, 7, 4) قد تكلم عن الملك الاسكندرى أو ملك الاسكندرية (de rege Alexandrino) ويقصد بطلميوس ملك كل مصر ، وكذلك الحال عند المؤرخ أبيانوس . يقول بلينيوس (Nat. Hist, IX, 122) Alexandrea in dicionem redacta أخضعت الاسكندرية للسيادة (الرومانية) ويعنى بداهة كل مصر .

(١) Tacitus, *Ann.* II, 59: nam Augustus inter alia dominationis arcana, vetitis nisi permissu ingredi senatoribus aut equitibus Romanis inlustribus, seposuit Aegyptum ne fame urgêret Italiam quisquis eam provinciam claustraque terrae ac maris quamvis levi praesidio adversum ingentis exercitus insedisset:

لانه من بين أسرار الحكم الاخرى أن اغسطس عزل مصر مانعا اعضاء مجلس الشيوخ والفرسان الرومان اللامعين من دخولها الا باذن خشية ان يحتل احد تلك الولاية ومفتاحي البر والبحر (بيلوزيون وفاروس) ولو بحامية بسيطة ضد جيوش ضخمة فيصيب ايطاليا بمجاعة .

وعن معنى هذا النص وغموض كلمتى arcana ، instituta السابقة فى النص ، راجع :

— P. Piganiol, "Le Status Augustéen de l'Egypte et sa Destruction' *Museum Helveticum* X, fasc. 3/4 (1953), p. 193.

— *Cf.* Tacitus, *Hist.* I, 11.

— Dio, LI, 17, 1: لانه نظرا لكثافة كل من مدنها وريفها واستهتار اهلها وتقلب طباعهم ونظرا لوفرة امدادات قمحها وثروتها ، فانه (اى اغسطس) لم يجرؤ على ان يعهد بها (اى مصر) لاى عضو من مجلس الشيوخ ، بل انه لم يمنح اى عضو من الشيوخ تصريحا بالاقامة فيها ، إلا من أذن له هو نفسه بالاسم .

— *Cf.* id. LIII, 13, 2:

وبعد ذلك عين أولا الشيوخ انفسهم لحكم الولايات (ethna) بنوعيها التابعة للامبراطور والتابعة للسناتو ماعدا ولاية المصريين ، فتلك الولاية عهد بها الى الفارس المذكور (بمعنى كورنيليوس جاللوس أول وال على مصر) للاسباب التى شرحناها (فى كتاب LI, 17, 1 المشار اليه فى الحاشية نفسها) .

وعن سياسة عزل مصر التى قررها أغسطس منذ البداية وتراخت منذ أيام نيرون وأسرة فلافيوس وانتهائها تقريباً فى عهد أسرة سفيروس ، راجع :

— Piganiol, *ibid.*, pp. 200-202.

خاص أم تحريماً يشمل أعضاءه وغيرهم بمقتضى السلطة العليا (imperium maius) التى فى يد الإمبراطور[1]، فإن خلفاءه احتذوا هذه القاعدة التى غدت بمثابة سر من أسرار توطيد السيادة (arcana)، ولم يخرجوا عنها إلا بعد أن تدهورت أحوال مصر الاقتصادية وفقدت مركزها الفريد فى الإمبراطورية .

٢ — تأمين الحدود وطريق التجارة مع الشرق :

وكانت مصر البطلمية قد قامت بدور هام فى سياسة العالم الهلينستى عند ما كانت دولة مستقلة قوية فى القرن الثالث قبل الميلاد . وقد شهد ذلك العالم كثيراً من الحروب التى استعر أوارها بين الممالك الكبرى : مصر وسوريا ومقدونيا . ولم تستفد الإنسانية شيئاً من هذه الحروب التى استنفدت موارد تلك الممالك وأنهكت قواها وانتهت بسقوطها الواحدة تلو الأخرى فى يد الجمهورية الرومانية . ولم تلبث روما — بعد فترة أخرى من الحروب الأهلية — أن بسطت سيادتها على الأقطار المطلة على حوض البحر المتوسط ، ولم يأت أغسطس حتى انتشرت فى ربوعها ألوية السلم ، الذى يعرف أحياناً باسم « السلم الأغسطى » (Pax Augusta) . وكان من الطبيعى أن يتضاءل دور مصر السياسى بعد أن أصبحت ولاية رومانية . غير أن هذا الدور لم يتضاءل إلى الحد الذى يذهب إليه العلامة شوبارت حين يقول إن زيارات الأباطرة لمصر صارت أهم أحداث ذلك القطر[2]. لقد كانت مصر من أكثر الولايات كثافة فى السكان وأوفرها ثراء

---

(١) *Cf.* A. Stein, *Untersuch. Aegyptens under roemisrher Herrschaft* (1915), p. 104 f. & n. 1; M.A. Levi, "L'esclusione dei senatori romani dall'Egitto Augusteo", *Aegyptus* 5 (1924), pp. 189-202; S. Solazzi, "Di una pretesa legge di Augusto relativa all'Egitto", *Aegyptus* 9 (1928), pp. 296-302; P. Jouguet, *La Domination romaine en Egypte* (1947), p. 5 & n. 2.

(٢) W. Schubart, *Einführung in die PapyrusKunde*. Berlin (1918), p. 235: Fast darf man sagen, die Besuche der Kaiser seien die wesentlichen politischen Ereignisse im Laufe dieser Jahrhunderte.

لذلك احتفظت بمركز هام بين هذه الولايات . ومع أن مصيرها ارتبط بمصير الإمبراطورية ، فإنها لم تفقد شخصيتها ، فأثرت فى مجرى تاريخ الإمبراطورية مثلما تأثرت به .

ولما كانت حدود مصر الجنوبية هى أيضاً حدود الإمبراطورية الرومانية ، فقد حرص أكتافيانوس ، والأباطرة من بعده ، على تأمين هذه الحدود ضد الغزو الأجنبي . ولم يمض عام على الفتح الرومانى ، حتى هبّت منطقة طيبة ثائرة فى وجه الرومان إما لتعسف جباتهم أو محاولتهم فرض ضرائب جديدة أو لمجرد الثورة فى وجه الحكام الجدد . و بلغ من خطورتها أن كورنيليوس جاللوس ، وهو أول والٍ على مصر ، اضطر إلى أن يقود القوات الرومانية بنفسه و يزحف جنوباً لقمعها . وقد أشار استرابون إشارة عابرة إلى هذه الثورة قائلا « وقمع (أى كورنيليوس جاللوس) فى زمن وجيز ثورة قامت فى طيبة بسبب الضرائب »[1] . و يشاء الحظ أن تصلنا عنها معلومات أوفى سجلها هذا الوالى على حجر من الجرانيت وجدناه فى جزيرة فيلاى أو فيله Philae (أنس الوجود) . وهذا الحجر مكتوب بلغات ثلاث : المصرية واللاتينية واليونانية . و يحمل النص الهيروغليفى تاريخ ٢٠ برمودة من السنة الأولى من حكم قيصر (أكتافيانوس) الموافق ١٥ أبريل من عام ٢٩ ق . م . يقول الوالى مفتخراً بانتصاراته[2] :

---

(١) XVII, 53.

(٢) *C.I.L.* 14147⁵ = *I.L.S.* 8995 = Barrow, *Selection of Latin Inscriptions*, No. 7 = Ehrenberg-Jones, *Documents Illustrating the Reigns of Augustus and Tiberius*, No. 21 (النص اللاتينى واليونانى) .
= *O.G.I.S.* 654 (النص اليونانى مع تعليق واف والنص اللاتينى فى الحاشية)
= *Sitzungsb. Kgl. Akad. Wiss.* (1896), pp. 469-482 (النص الهيروغليفى واللاتينى واليونانى)
= *I.G.R.R.* 1293 (النص اليونانى)
Cf. Lesquier, *L'Armée romaine d'Egypte*, p. 464 f.

جايوس كورنيليوس جاللوس بن جنايوس ، الفارس الرومانى ، أول وال على الاسكندرية ومصر بعد اندحار الملوك على يد قيصر بن المؤله ، وقاهر ثورة طيبة فى ١٥ يوما ، هزم خلالها العدو مرتين فى معركة عامة ، واستولى عنوة على ٥ مدن : بوريسيس وكبتوس وكراميكى وديوسسبوليس مجالى واوفيون ، وأسر زعماء تلك الثورات ، وقاد الجيش الى ماوراء شلال النيل ، وهو مكان لم تبلغه من قبل قوات الشعب الرومانى أو ملوك مصر ، وأخضع طيبة ، مصدر الذعر لجميع الملوك ، واستمع الى سفراء ملك الاثيوبيين عند فيلاى ، وقبل ذلك الملك تحت الحماية ، وعينه حاكما على ترياكنتاسخوينوس الاثيوبية ، وقد قدم (هذا النصب) هدية للآلهة القومية وللنيــــل الذى أعانه

C. Cornelius Cn. f. Gallus eques Romanus post reges a Caesare deivi f. devictos praefectus Alexandreae et Aegypti primus, defectionis Thebaidis intra dies XV quibus hostem vicit, bis acie victor, V urbium expugnator Boreseos Copti Ceramices Diospoleos megales Ophieu, ducibus earum defectionum interceptis, exercitu ultra Nili catarhacten transducto, in quem locum neque populo Romano neque regibus Aegypti arma ante sunt prolata, Thebaide, communi omnium regum formidine, subacta legatisque regis Aethiopum ad Philas auditis eoque rege in tutelam recepto, tyranno Triacontaschoenundi Aethiopiae constituto, dieis patrieis et Nilo adiutori d.d.

وتحتاج هذه الوثيقة إلى بعض التفسير . فكاتبها هو كورنيليوس جاللوس [١] الذى كان أحد قواد أكتافيانوس وقد أسدى هذا القائد خدمة جليلة له عندما استولى على برايتونيوم (مرسى مطروح) ورد الهجوم البرى والبحرى الذى قام به أنطونيوس على المدينة لاسترداد فرقه العسكرية التى تخلت عنه [٢] . ولا مراء فى أنه كان مقربا من أكتافيانوس لأنه كان أحد رسله إلى كليوبطرة فى أيامها

(١) عن أصل كورنيلوس جاللوس ، أنظر :
R. Syme, "The Origin of Cornelius Gallus", *Act. V. Congr. Int. Pap* Bruxelles (1938), pp. 459-470.

(٢) Dio Cassius LI, 9, 1-4; *Cf.* Stein, *Untersuch. Aegyptens unter roemischer Herrschaft*, p. 49 f.

الأخيرة[١] . وقد كوفىء بعد الفتح بتعيينه والياً على مصر (أغسطس ٣٠ ق . م — ٢٧ أو ٢٦ ، ق . م)[٢] . ويصف جاللوس نفسه بأنه فارس رومانى أى أحد أعضاء هيئة الفرسان (ordo equester) التى كان الانتماء إليها يتطلب امتلاك نصاب لا يقل عن ٤٠٠٫٠٠٠ سسترتيوس رومانى (sestertius)[٣] . وتؤيد عبارته « أول وال على الإسكندرية ومصر » ماذكرناه آنفاً ، من أن الإسكندرية لم تكن تعتبر فى العصر الرومانى جزءاً من مصر على الأقل من الناحية الرسمية[٤] ويقصد هنا بالملوك ، ملوك البطالمة ، وإن كان قيصر لم يدخر فى الواقع سوى كليوبطرة . لكن لعل المقصود بالجمع هنا أن اندحارها كان خاتمة حكم البطالمة أو لعل المقصود به كليوبطرة وأبناؤها[٥] . وأما قيصر فهو أكتافيوس الذى حمل اسم أبيه جايوس يوليوس قيصر الذى تبناه فسمى جايوس يوليوس قيصر أكتافيانوس أو بالاسم الأخير فقط ، وإن عرف بين القدماء باسم « قيصر » واشتهر بلقب « أغسطس » . ويستطرد جاللوس قائلا إنه أخمد ثورة طيبة ، وهى أحد الأقسام الثلاثة الكبرى التى انقسمت إليها مصر إدارياً منذ الفتح الرومانى ، إن لم يكن منذ عصر البطالمة ، وتقابل مصر العليا[٦] . وليس بين المدن الخمس التى استولى عليها : بوريسيس (غير معروفة) وكبتوس (قفط) ، وديوسپوليس مجالى (مجنا فى اللاتينية) أى مدينة زيوس الذى شبه بآمون ، وهى طيبة (الأقصر الحالية) ، وأوفيون (أو أوفيس) — وهى الكرنك الآن —

(١) Holmes, *The Architect of the Roman Empire*, I (1928), p. 164.

(٢) Stein, *Die Praefekten von Aegypten*, p. 14 f.

(٣) عن هيئة الفرسان التى أصبحت بمرور الزمن طبقة اجتماعية فى روما ، راجع : عبد اللطيف احمد علي : « التاريخ الروماني : عصر الثورة » (١٩٦٧) ص ٢٧ هامش ٤ ، ص ٢٠ هامش ١ .

(٤) راجع ص ٥٥ فيما تقدم .

(٥) أو كليوبطرة وأنطونيوس ؟ راجع :
W. Dittenberger, *Orientis Graeci Inscriptiones Selectae* (O.G.I.S.) II. No. 654. l. 2 note (p. 361 f.).

(٦) راجع فيما سبق ص ٤٥ هامش ١

وكيراميكى (ميدامود أو البلاّت) ، ليس من بينهـا ما هى جديرة باسم مدينة سوى طيبة ، بل إن المسكانين الأخيرين لم يكونا فى حقيقة الأمر سوى قريتين أو حيين تابعين لها . ولعله أسر فعلا زعماء تلك الثورات . وقد يستدل من صيغة الجمع على قيام أكثر من ثورة فى بلاد مصر العليا ضد الرومان . وفى الحق أن الثورات لم تقتصر على مصر العليا وحدها ، بل قامت أيضاً فى الطرف الشرقى من الدلتا إذ يحدثنا استرابون بأن كورنيليوس جاللوس « هاجم هيرونپوليس Heroônpolis (تل المسخوطة) التى كانت قد ثارت وأخذها بنفر قليل[١] » .

ولنتتبع الوالى الذى يقول إنه قاد جيشه إلى ما بعد شلال النيل ، وهو الشلال الأول . و إذا صدق قوله فى أن هذه المنطقة لم تسبقه إليها قوات رومانية فهو مدع حين يزعم بأن قوات البطالمة لم تبلغها من قبل . وهو صادق فى وصفه طيبة بأنها مصدر ذعر لجميع الملوك (الملوك البطالمة) لأن طيبة بوصفها مركز عبادة آمون كانت معقلا للحركات القومية بزعامة الـكهنة المصريين ضد الغزاة الأجانب وكثيراً ما هبت ثائرة فى وجه البطالمة حتى أنها كادت تستقل فى أواخر عهدهم ، مما أوغر صدر بطلميوس(سوتير الثانى) عليها فدمرها فى عام ٨٨ ق. م . فلا عجب أن سبقت غيرها من المدن إلى شق عصا الطاعة فى وجه الغزاة الجدد[٢] . ولعلها نـكلت بالجباة الذين جاءوا لتحصيل الضرائب باسم الرومان . و يستطرد جاللوس قائلا إنه استقبل عند جزيرة فيله (قصر أنس الوجود) سفراء ملك الأثيو بيين (النو بيين) . ولعل هذا الملك هو تيريتيكاس (Tireteqas) ، زوج كنداكى (Kandakê) الملـكة الشهيرة[٣] ، التى حكمت النو بة من بعـده[٤] . و يزعم

---

(١) XVII, 53.

(٢) *Cf.* C. Préaux, "Esquisse d'une histoire des révolutions egyptienne sous les Lagides", *Chron. d'Eg.* 11 (1936), pp. 548-552.

(٣) يبدو من نصوص مروى (Meroe) أن كنداكى كان لقباً بمعنى الملـكة ، راجع : J.G.C. Anderson, *C.A.H.* X, p. 242, n. 1.

(٤) *Cf.* Jouguet, *La Domination romaine en Egypte* (1947), p. 31.

جاللوس أن ملك النوبة قبل الحماية الرومانية وأنه عينه حاكما على تريا كنتاسخوينوس[1]، وهي منطقة نعلم أنها خضعت مرة للحكم البطلمي وربما كانت تمتد من الشلال الأول حتى الشلال الثاني عند وادي حلفا ، أي بين حدود مصر وحدود النوبة الأصلية[2] . ويختتم الوالي سجل انتصاراته بأنه أهدى هذا النصب التذكاري للآلهة الوطنية وللنيل بوصفه نهراً جباراً أثار دهشته أو إلهاً أظهر له بعض آياته ، كفيضانه أو غيضانه فجأة أو هدوء مائه الذي يسر لمراكب الرومان الملاحة فيه ، وأعان قائدهم أثناء حملته على قمع الثورة .

وهذا النقش على جانب كبير من الأهمية ، لا لأنه من أقدم الوثائق التي وصلتنا من الفترة الرومانية فحسب ، بل لأنه يبين لنا أيضاً مدى اهتمام الحكومة الرومانية بتأمين الحدود الجنوبية للإمبراطورية ، ويلقي ضوءاً على سياسة أكتافيانوس الخارجية في عدم توسيع رقعتها والاكتفاء بخلق مناطق حرام ، تعترف فقط بالسيادة الرومانية الإسمية متاخمة لحدود الإمبراطورية تجنباً للنزاع مع الدول القريبة منها . على أن النقش يتسم أيضاً بطابع المغالاة ويشبه البلاغات العسكرية التي تجنح عادة إلى التهويل . وليس أدل على ذلك من حملة جاللوس التي وإن كانت قد قمعت ثورة طيبة ، فإنها لم تؤمن حدود مصر الجنوبية ، على نحو ما سنرى بعد قليل . ولقد روى أن هذا الوالي أسكرته خمر الانتصارات السهلة فسجل أخبارها على الأهرام وتملكه الزهو فنصب تماثيله في جهات كثيرة من الوادي وطفق يتفاخر بأعماله متفوهاً بكلام فيه مساس بالإمبراطور . واستنكر أكتافيانوس مسلكه وتوجس خيفة من أطماعه فعزله من منصبه وجرده من

(١) الكلمة يونانية ومعناها ثلاثون اسخوينوس (schoinos) ، والأخير يساوي ستين استاديون (stadion) ، والاستاديون ١٨٥ متراً ؛ اي ان الكلمة تؤدي معنى مسافة طولها حوالي ٣٣٣ كيلومتراً .

(٢) Anderson, *C.A.H.* X, p. 241.

حقوق المواطن ونفاه . ويروى ديون كاسيوس — وروايته لا تخلو من الاضطراب — أن أصدقاء جاللوس أنفسهم كالوا له التهم أمام المحاكم وقرر السناتو بالإجماع إدانته — أكبر الظن بتهمة الخيانة العظمى (maiestas) — ونفيه ومصادرة ضيعته وضمها إلى أملاك أغسطس . واشتد الحزن بجاللوس فانتحر فى عام ٢٦ ق . م[1] . ومن العسير التيقن من صحة الأسباب التى أغضبت أغسطس على صديقه المقرب[2]، وأول والٍ على مصر ، وصديق فرجيل ، الذى رثاه كشاعر مثله . وعلى أى حال فإن حادثة عزله تنهض دليلا على مدى حذر الإمبراطور من والى مصر الذى قد تغريه انتصاراته على تجاوز الحد المرسوم له والتفكير فى التمرد عليه والاستقلال بالولاية الغنية .

وقد رأى أغسطس — كما رأى البطالمة من قبله — أن يحول طريق التجارة فى البحر الأحمر إلى الموانى المصرية الواقعة على هذا البحر مثل برنيق وميوس هرموس[3]. وكانت القبائل العربية التى تقطن بـــلاد العرب السعيدة Arabia Eudaemon = Ar. Felix (اليمن) والقبائل التى تقطن بتروجلوديتيس

---

(١) Dio Cassius. LIII, 23; *cf.* Amm. Marcell. XVII, 4; Suetonius, *Div. Aug.* LXVI, 2; Ovidius, *Amores* III, 9, 63.

(٢) *Cf.* Syme, *Roman Revolution*, p. 309 f. & notes.

(٣) عن الطرق التجارية بين النيل وموانى البحر الأحمر والتجارة مع الهند ، راجع :

— J. Lesquier, *L'Armée romaine d'Egypte* (1918), pp. 417-458.
— G.W. Murray, "The Roman Roads and Stations in the Eastern Desert of Egypt", *J.E.A.* 11 (1925), pp. 138-150.
— D. Meredith, "The Roman Remains in the Eastern Desert of Egypt", *J.E.A.* 38 (1952), pp. 94-111 (esp. the bibliography on p. 98, n. 4).
— L.A. Tregenza, *The Red Sea Mountains of Egypt*. Oxford, 1955.
— M.P. Charlesworth, *Trade Routes and Commerce of the Roman Empire*. Cambridge, 2nd ed. (1926), pp. 16-34.
— E.H. Warmington, *The Commerce between the Roman Empire and India*. Cambridge, 1928.
— J.G. Tait, *Greek Ostraca in the Bodleian Library at Oxford*, vol. I (1930), Nos. 220-304 (The Petrie Ostraca from Berenice and Myos Hormos found at Coptos, pp. 110-125); see now Tait-Préaux, *Greek*

Troglodytis (الصومال) تحتكر التجارة فى سلع هامة كالعطور والتوابل والأخشاب والأحجار الكريمة الواردة من الشرق الأقصى والهند وأواسط أفريقيا[(١)] ولذلك حاد أغسطس عن سياسة عدم التوسع لتحقيق هدف اقتصادى هام ، فعهد إلى آيليوس جاللوس (Aelius Gallus) ، ثانى ولاة مصر (٢٦—٢٤ ق . م .) بتجريد حملة على اليمن[(٢)]. وحشد هذا الوالى جيشاً كبيراً قوامه عشرة آلاف جندى : فرقة رومانية (مجهولة الإسم) و بعض وحدات مساعدة من الحامية المرابطة فى مصر ، وألف رجل من الأنباط بعثهم الملك عبادة (الثالث) مع وزيره سُلاّيوس ليكون دليلاً للحملة ، وخمسمائة مقاتل يهودى أرسلهم هيرود . وأعد آيليوس جاللوس فى ميناء كليوباتريس (أرسينوى) — قرب السويس الحالية — أسطولاً من ثمانين سفينة ومائة وثلاثين حاملة للجنود . وأقلعت الحملة من هـذا الميناء فى عام ٢٥ ق . م . واتجهت إلى ليوكى كومى Leukê Komê (الحوراء) ، وهو ميناء نبطى على الساحل الشرقى للبحر الأحمر . وليس من المعروف لماذا نقل جاللوس

=

Ostraca in the Bodleian Library at Oxford, vol. II (Ostraca from the Roman and Byzantine Periods). London, 1956.

— H. Kortenbeutel, *Der aegyptische Süd- und Osthandel in der Ptolemaeer und römischen Kaiser*. Inaug. Diss. Berlin (1931), p. 63 f.

— P. Jouguet, "Dédicace grecque de Médamoud", *B.I.F.A.O.* 31 (1931), pp. 12-26.

A. Fuks, "Notes on the Archive of Nicanor", *J.J.P.* V (1951), pp. 207-214.

— M.P. Charlesworth, "Roman Trade with India: A Resurvey", *Stud. Rom. Econ. & Soc. Hist. in Honor of A.C. Johnson*. Princeton (1951), pp. 131-143.

— M. Rostovtzeff, *Social and Economic History of the Roman Empire Oxford*, 2nd ed. (1957), vol. I, pp. 53, 94; vol. II, p. 576, n. 18.

(١) راجع : Plinius, *Nat. Hist.* VI, 101; XII, 63-65.

(٢) المصدر الرئيسى لهذه الحملة هو الجغرافى استرابون :

(XVI, 4, 22-24; *cf.* XVII, 1, 53).

الذى جاء إلى مصر بدعوة من صديقه آيليوس جاللوس فى عام ٢٥ ق . م . وزار معه مصر العليا ثم عاد إلى الإسكندرية حيث مكث حوالى خمس سنوات (٢٥ — ٢٠ ق . م) أى أنه لم يغادر البلاد حتى بعد إعفاء صديقه من منصبه فى عام ٢٤ ق.م . وعن هذه الحملة راجع أيضاً : Dio Cassius, LIII, 29; Plinius, *Nat. Hist.* VI, 28, 159; Horatius, *Od.* I, 29, l. 2; Lesquier, *L'Armée romaine d'Egypte*, p. 9 ff.

قواته إلى مكان يبعد عن هدفه (أرض سبأ) بمسافة لا تقل عن ٩٠٠ ميل بدلاً من أن يحشدها فى ميناء جنوبى مثل برنيق (مدينة الهرّاس) و ينقلها بعدئذ عبر البحر إلى الساحل العربى تحت حراسة أسطول صغير بينما تحمى سفنه الحربية مواصلاته مع الساحل المصرى [1] . وقد بلغت الحملة ليوكى كومى بعد خمسة عشر يوماً تكبدت أثناءها خسائر جسيمة فى الأرواح والسفن . فإلى جانب أن أسطوله الكبير كان عديم الجدوى ضد قوم لا يملكون أى سفن حربية ، لم يقدر جاللوس خطر الشعاب المرجانية المنبثة قرب ساحل خليج السويس ولا الجزر الصخرية المتناثرة فى البحر الأحمر أو المياه الضحلة عند الشواطىء التى لا تصلح لرسو ناقلاته . ولم يكد يستقر فى ذلك الميناء حتى فتكت الأمراض الناجمة عن سوء التغذية وقلة المؤونة والقيظ والإعياء بعدد كبير من جنوده . واضطر إلى أن يقضى فيه بقية الصيف الحار والشتاء التالى كله ولم يتابع زحفه إلا فى ربيع عام ٢٤ ق . م . و بلغ نجران بعد حوالى خمسين يوماً عانى فيها مشاق جمة بسبب جهله بحرب الصحراء . ثم تقدم نحو مريابا Mariaba (مأرب ؟) [2] ، عاصمة السبئيين ، وحاصرها ولكنه لم يتمكن

---

(١) *Cf.* Anderson, *C.A.H.* X (1934), p. 250.

(٢) يشير أغسطس فى « أثر أنقرة » إلى هذه الحملة وحملة أخرى إلى أثيوبيا سيأتى ذكرها بعد قليل :

Mon. Ancyr 26, 5: Meo iussu et auspicio ducti sunt duo exercitūs eodem fere tempore in Aethiopiam et in Arabiam, quae appellatur Eudaemon, maximaeque hostium gentis utriusque copiae caesae sunt in acie et complura oppida capta. In Aethiopiam usque ad oppidum Nabata perventum est, cui proxima est Meroe; in Arabiam usque in fines Sabaeorum processit exercitus ad oppidum Mariba.

« بأمرى وتحت رعايتى اقتيد (أى سار) جيشان فى نفس الوقت تقريبا ، احدهما الى أثيوبيا (النوبة) ، والآخر الى بلاد العرب ، التى تسمى « بالسعيدة » : وقد هلكت قوات ضخمة من كلا الشعبين فى المعركة ، وسقطت بلدان عديدة . ففى أثيوبيا تقدم (الجيش) حتى بلدة نباتا ، وهى اقرب مكان من مروى [انظر النص اليونانى] ، وفى بلاد العرب تقدم (الجيش) حتى بلدة ماريبا فى اراضى السبئيين .

ويثير هذا النص بعض المشاكل . يلاحظ أولا أن أغسطس يذكر الحملة الأثيوبية قبل الحملة العربية مع أن الأبحاث الحديثة تؤيد عكس ذلك ، فضلا عن أنهما لم يحدثا فى وقت واحد كما =

من الاستيلاء عليها . وأخيراً نفد الماء فرفع عنها الحصار وانسحب نهائياً من تلك البلاد . وقد عاد فى هذه المرة عن طريق ميناء غاز (ميناء المدينة) وركب البحر إلى ميوس هرموس (أبو شعر القبلى) واجتاز الصحراء الشرقية و بلغ قفط ، ومنها سار إلى الدلتا والإسكندرية . ومع أن هـذه الحملة أخفقت من الناحية العسكرية فـإنها حققت جانباً من الهدف الاقتصادى المنشود منها . فقد بدأت هذه المنطقة تستشعر قوة الرومان وتحوّل جانب من تجارة الشرق من ميناء ليوكى كومى النبطى إلى ميناء ميوس هرموس المصرى ، كما أتيحت للتجار الرومان فرصة استخدام موانٍ جيدة وهم فى طريقهم من مصر إلى موانى الهند[1] . ولم يتخل خلفاء أغسطس عن سياسة الاهتمام بطريق التجارة فى البحر الأحمر ، وسرعان ما انتزعوا السيطرة من القبائل العربية . ويحدثنا مؤلف « دليل الملاحة فى البحر الأحمر » Periplus Maris Erythraei[2] — وهو كتاب من القرن الأول الميلادى يصف للملاحين والتجار الطرق الساحلية من مصر إلى الهند — بأن ملوك سبأ

= يقول . لعل السبب هو انتصار الرومان فى الأولى وانكسارهم فى الثانية ، راجع :
E.G. Hardy, *The Monumentum Ancyranum*, Oxford (1923), pp. 121-125.

وتبعد نباتا (جبل برقل) عاصمة الأثيوبيين (النوبيين) الشمالية ، عن مروى (البجراوية) عاصمتهم الجنوبية ، بحوالى ٣٠٠ كيلو متر ، راجع :

Gagé, *Res Gestae Divi Augusti*, p. 130, n.

ويسمى أغسطس أبعد نقطة بلغتها القوات الرومانيـة فى اليمن ماريبا ، وكذلك بلينيوس (Nat. Hist. VI, 28, 159) ؛ وأما استرابون فيسميها مريابا (XVI, 4, 24) . فهل هى مأرب ؟ فى رأى الأستاذ أندرسون (C.A.H.X, p. 877) أن المقصود ليس مأرب ، عاصمة السبئيين ، بل المقصود بلدة مريامه (Maryama) فى جنوب شرق مأرب . ويتفق هذا مع قول بلينيوس (Nat. Hist. VI, 28, 69) بأن أقصى مكان بلغته الحملة هو كاريبتا (Caripeta) الذى يقابل حريب ، وهو مكان لايبعد كثيراً عن مريامه .

(١) Rostovtzeff, *Social and Economic History of the Roman Empire*, 2nd ed., vol. I, p. 53.

(٢) Cf. M.P. Charlesworth, "The Periplus Maris Erythraei" *Class. Quart.* 22 (1928), pp. 92-100.

وحمير صاروا أصدقاء للأباطرة . ولم تلبث أدانا Adana (عدن) — وهى مركز هام للتجارة العابرة — أن وقعت تحت سيطرة الرومان ، و إن كان تاريخ ذلك لا يزال موضع خلاف[1] .

وقد انتهز الأثيوبيون (النوبيون) فرصة غياب جانب كبير من القوات الرومانية فى الحملة على بلاد العرب ونقضوا اتفاقهم مع كورنيليوس جاللوس وأغاروا تحت قيادة الملكة كنداكى (Kandakê) على المراكز العسكرية الرومانية فى جنوب الوادى وتغلبوا على الحامية المؤلفة من ثلاث كتائب ونهبوا جزيرتى فيله و إلفانتين وأسوان ثم حملوا معهم تماثيل أغسطس وأسروا بعض الأهالى . وقد أزعجت هذه الغارات السلطات الرومانية فى مصر فزحف جايوس پترونيوس (C. Petronius) ، ثالث الولاة (٢٤—٢١ ق . م .) ، صوب الجنوب على رأس قوة كبيرة قوامها ١٠٫٠٠٠ جندى من المشاة و ٨٠٠ فارس ليصد هجمات النوبيين و يكبح جماحهم . وقد ردهم على أعقابهم وتعقب فلولهم ودحرهم عند بسلكيس (الدكه) ، وتابع زحفه واستولى على حصن بريميس Primis (قصر إبريم) . وتوغل جنوباً حتى بلغ نباته Napata (جبل برقل) ، العاصمة الشمالية للنوبيين على مقربة من الشلال الرابع فسقطت فى يده . وعندئذ أرسلت إليه كنداكى التى اعتصمت بمكان قريب تطلب المفاوضة : ورأى بترونيوس أن من الحكمة ألا يتوغل أبعد من ذلك فى منطقة وعرة مجهولة فاكتفى بأن استرد من النوبيين الأسرى الذين اختطفوهم من منطقة أسوان وكذلك تماثيل أغسطس . وعاد أدراجه شمالا إلى بريميس التى حصنها وترك بها حامية من أربعمائة جندى وزودها بمؤونة عامين . ومن ضآلة الحامية يتبين أن بترونيوس لم يعتزم احتلال المنطقة إلا بصفة مؤقتة . و بعدئذ قفل راجعاً إلى الإسكندرية . ولم تمض سنتان

---

(١) راجع ص ١٣٤ فيما يلى .

حتى عاد النوبيون إلى مهاجمة الحامية الرومانية المرابطة وراء الحدود . واضطر بترونيوس إلى العودة على رأس قوات جديدة استطاع أن ينتزع بها قلعة بريميس من أيدي النوبيين ويعزز حصونها[1] . وفي قصاصة بردية من مجموعة ميلان إشارة عابرة إلى هذه الحملة التي قام بها بترونيوس ضد الأثيوبيين . ولا تذكر البردية اسم الوالي بل تذكر فقط اسم ضابطين من مساعديه ، أحدهما روفوس قائد المشاة ، والآخر تروجوس قائد الفرسان[2] . وعندئذ كفت كنداكي عن القتال وجنحت للسلم وطلبت الصلح ، فأحال بترونيوس الوفد النوبي على الإمبراطور الذي كان يقيم وقتئذ بجزيرة ساموس (شتاء عام ٢١ — ٢٠ ق . م .) . وقد نص الصلح الذي عقد بين الطرفين على إعفاء النوبيين من دفع الجزية ، واحتلال الرومان دوديكاسخوينوس (Dôdekaschoinos) ، وهي المنطقة الممتدة بين سويني (أسوان) وهيراسيكامينوس Hierasykaminos (المحرّقة) . وقد ألحقها الرومان بإقليم إلفانتين الذي يقع في أقصى جنوب مصر ، وأنشأوا فيها بضعة مراكز عسكرية لا تزال آثارها تشاهد حتى اليوم في بسلكيس Pselkis (الدكه) وتالميس Talmis (كلابشة) وتزتزيس Tzitzis (كرتاسي) وپارمبولي Parembolê (دبود) . وبفضل هذه الاستحكامات القوية ، وولاء كهنة الربة إيزيس في جزيرة فيله ، التي اعتبرت المنطقة المفتوحة من أملاكها الخاصة ، استقر السلام فترة طويلة في الجزء الشمالي من النوبة . وفي نقش يوناني من الدكة يرجع إلى عام ١٣ ق . م ، نجد بعض السفراء النوبيين ممن يحملون أسماء يونانية يؤدون — بعد عودتهم (من عند أغسطس ؟)

---

(١) عن هذه الحملة راجع ص ٦٥ هامش ٧ أعلاه ، وانظر أيضاً :

Dio Cassius LIV, 5; Plinius, *Nat. Hist.* VI, 29, 181-182; Strabo XVII, 1, 54; Propertius IV, 6, 78; *Cf.* M.J. Leibovitch, "A propos de l'expédition militaire en Ethiopie par P. Petronius sous le règne d'Auguste", *Bull. Soc. Roy. Géogr. Eg.*, 19 (1937), pp. 270-7.

(٢) *P. Mil.* 40 = A. Vogliano, *Un Papiro storica della raccolta Milanese e le campagne dei Romani in Etiopia*, 1941; Cf. *Archiv Pap.* XIV, p. 131 f.; *cf.* however, Turner, *J.R.S.* 40 (1950), p. 57-9.

إلى الملكة كنداكى — فرائض العبادة لأحد الآلهة المحلية [١] . وبغض النظر عن الحالة التى أزمع الإمبراطور نيرون القيام بها فى النوبة ، فإننا لا نسمع أن هذه البلاد عادت إلى شهر السلاح فى وجه الرومان قبل منتصف القرن الثالث الميلادى .

وفيما عدا التعديلات التى أدخلها أغسطس على نظام الإدارة البطلمية ، والإصلاحات العاجلة التى قام بها لتحسين الزراعة وتنمية التجارة كتطهير القنوات وشق الترع وبناء صهاريج المياه على الطرق الصحراوية بين قفط وميوس هرموس مما أدى إلى انتعاش الحالة الاقتصادية فى البلاد بوجه عام ، لم تقع أى أحداث هامة تمس علاقة مصر بالإمبراطورية . وليس أدل على هدوء الأحوال واستتباب الأمن من أن تيبريوس (Tiberius) الذى خلف أغسطس على عرش الإمبراطورية (١٤م — ٣٧ م) سحب من مصر إحدى الفرق العسكرية الثلاث حوالى عام ٢٣ ، هذا إذا لم تكن قد سحبت من قبل فى عام ٧ م أثناء عصر أغسطس [٢] . وقد اشتهر هــذا العاهل بحزمه مع مرءوسيه وحرصه على إنصاف رعاياه فلم يتوان عن حمايتهم من تعسف الولاة وابتزازهم حتى لا تنشب اضطرابات تعكر صفو السلم . وعندما أرسل إليــه أحد ولاة مصر الجزية السنوية زائدة عن القيمة المقدرة ، لفت نظره قائلاً إنه إنما أوفده إلى مصر ليجز وبرها لا ليسلخ فراءها [٣] . ولعل

---

(١) *W. Chrest.* 4.

(٢) Cf. *C.A.H.* X, p. 245 and n. 2.

(٣) الترجمة الحرفية للفقرة اليونانية كما وردت عند المؤرخ ديون كاسيوس (LVII, 10, 5) هى : « أريد أن يُقص وبر أغنامى لا أن يجز كله جزاً » . غير أن الترجمــة الواردة أعلاه أدل على المعنى المقصود ويعتمدها القاموس اليونانى — الانجليزى : (L.S.J. *s.v.* keirō). والكلام موجه إلى آميلوس ركتوس (Aemilius Rectus). الذى لم يكن والياً على مصر إلا فى عصر كلوديوس . ولعل المؤرخ يقصد بتيبريوس الإمبراطور « تيبريوس كلوديوس قيصر » ، راجع :
Jouguet, *La Domination romaine en Egypte aux deux premiers siècles après Jésus-Christ*, Alexandrie (1947), p. 33, n. 2.

ذلك يفسر لماذا بدأ فى عهده يستبدل بنظام التزام الضرائب المباشرة نظام جبايتها على يد محصلين من قبل السلطة العامة (praktores) . غير أن عهده شهد أيضاً بداية نظام الخدمات الإلزاميـة (leitourgiai) ، ذلك النظام الذى أرهق الأهالى إرهاقاً شديداً وعاد تطبيقه بأوخم العواقب على اقتصاديات البلاد[1] .

٣ — زيارة جرمانيكوس :

وينبغى أن نذكر هنـا حادثة زيارة جرمانيكوس لمصر . كان جرمانيكوس ابناً لدروسوس ، شقيق تيبريوس[2] . وبعد موت أبيه فى عام ٩ . ق م . تبناه عمه فى سنة ٤ م تلبية لرغبـة أغسطس . فلما اعتلى تيبريوس العرش فى عام ١٤ م أصبح جرمانيوس بمثابة ولى للعهد . وبينما كان الإمبراطور رجلا مسناً عبوساً مقتراً سيىء الظن بالناس ، كان جرمانيكوس شابا بشوشاً كريماً لطيف المعشر محبوباً من الجماهير . وكان قد قمع حركة تمرد بين صفوف الجيش الرومانى المرابط

= غير أن الأستاذ شتاين لا يستبعد أن إميليوس ركتوس كان والياً فى السنة الأولى من حكم تيبريوس (١٤ م) ، وأن الوالى الذى حكم مصر فى عصر كلوديوس ، ويرد اسمه فى وثائق كثيرة ، هو ابن الأول ، أنظر .

A. Stein, *Die Praefekten von Aegypten in der römischen Kaiserzeit* Bern (1950), p. 23 f.

(١) أنظر الآن :

E.P. Wegener, "The *entolai* of Mettius Rufus", *Symbolae R. Taubenschlag dedicatae* = *Eos* 48, 1 (1956), pp. 331-353.

(٢) كان دروسوس وتيبريوس ابنى ليفيا زوجة أكتافيانوس (أغسطس) بعد طلاقها من تيبريوس كلوديوس نيرون . وقد خلع عليه السناتو بعد وفاته فى عام ٩ ق .م. وعلى ذريته لقب جرمانيكوس (Germanicus) أى قاهر ألمانيا لانتصاراته فى أراضى الرين . وجرمانيكوس الذى نروى قصته أعلاه هو والد كاليجولا الذى اعتلى العرش بعد تيبريوس (٣٧ — ٤١ م.) وشقيق كلوديوس الذى اعتلى العرش بعد كاليجولا (٤١ — ٥٤ م.) .

على الرين واسترد ولاءه ثم قاد هذا الجيش ، دون استئذان الإمبراطور ، عبر النهر حيث أنزل بالجرمان ثلاث هزائم ، ولكنه لم يستطع إخضاعهم إخضاعاً تاماً ، بل إن جيشه منى بخسائر فادحة وكاد مرة أن يقع كله فى كمين نصبه الأعداء (١٤ — ١٧ م) . ورأى تيبريوس ألا يطيل أمد الحرب فاستدعى ابن أخيه إلى روما ، إما لعدم ثقته فى كفايته أو قلقه من طموحه أو غيرته منه ، ولعله تذرع بالحاجة إليه فى ميدان آخر . فقد حدث أن اضطربت أحوال بعض الولايات الشرقية بآسيا الصغرى وبخاصة فى أرمينيا . ولما كانت مهمة تنظيم شئون كل هذه الولايات مهمة غير عادية ، فقد آثر تيبريوس أن يعهد بها إلى أمير من الأسرة المالكة . وحار الإمبراطور لأنه لم يكن فى وسعه أن يتجاهل جرمانيكوس الذى عاد من الرين على مضض منه . ولم يلبث السناتو أن منح الأمير سلطة بروقنصلية استثنائية (imperium proconsulare maius) أكبر من سلطة حكام الولايات الشرقية المحتاجة إلى التنظيم . وصادق الإمبراطور على قرار السناتو وإن لم يكن فى قرارة نفسه واثقاً فى مقدرة جرمانيكوس أو مطمئناً إلى سلوكه .

ورحل جرمانيكوس إلى الشرق فى رفقة رهط من كبار العسكريين والأدباء ، ومر فى طريقه ببلاد اليونان وآسيا الصغرى حيث زار أماكن تاريخية شهيرة . وكان يقابل أينما حل بحفاوة منقطعة النظير . فقد نظمت المدن مواكب فاخرة ترحيباً به ، واعتبرت يوم ميلاده عيداً قومياً وخلعت عليه ألقاباً إلهية وشبه إلهية كالظاهر والمنقذ والخير ، وشيدت له تماثيل تكاد لا يحصرها العد ، وسكت نقوداً تحمل اسمه ، وهو عمل فيه افتئات على حق الإمبراطور . وبعدئذ شرع جرمانيكوس ينظم شئون بعض هذه الولايات الشرقية مستعيناً بمساعديه فى تنظيم بعضها الآخر . وأرهق نفسه بالعمل فشعر بالحاجة إلى الاستجمام . وخطر له أن

يزور مصر فرحل إليها فى أول عام ١٩ لمشاهدة آثارها على نحو ما يفعل السواح فى وقتنا الحاضر . غير أن الحجة التى ساقها جرمانيكوس لتبرير زيارته هو اهتمامه الشديد بأمر الولاية أو رغبته فى تخليصها من أزمة اقتصادية ألمت بها بسبب القحط[١] . لقد كانت خطوة جريئة تتفق وما نعرفه عن استهتار جرمانيكوس وتكشف عن استخفافه بالجالس على العرش . ولندع المؤرخ تاكيتوس يروى لنا ما حدث[٢] :

٥٩ — «فى أثناء قنصلية ماركوس سيلانوس ولوكيوس نوربانوس[٣] ذهب جرمانيكوس الى مصر للتعرف على تاريخها القديم ، غير أنه تذرع بحجة الاهتمام بالولاية ، وقد خفض الاسعار بأن فتح صوامع الغلال واصطنع أشياء كثيرة محببة الى قلب الجمهور . فقد مشى دون حرس وانتعل صندلا وارتدى زيا كزى الاغريق مجاراة لبوبليوس سكيبيو الذى سمعنا أنه اعتاد أن يفعل عين الاشياء فى صقلية مع أن الحرب البونية كانت ما تزال مشتعلة . وقد انتقد تيبريوس (ارتداءه) الزى (الاغريقى) ومسلكه انتقادا هينا ولكنه وبخه توبيخا لاذعا لانه دخل الاسكندرية دون ارادة الامبراطور متخطيا قواعد أغسطس . ذلك ان أغسطس من بين الاسرار الاخرى الخاصة بتوطيد سيادته ، قد عزل مصر مانعا أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان الرومان اللامعين من دخولها الا باذن مخافة أن يصيب ايطاليا بمجاعة أى شخص قد يحتل تلك الولاية ونقطتى الدفاع عنها من البر والبحر[٤] ، ولو بحامية بسيطة ضد جيوش ضخمة .

---

(١) Suetonius, *Tib.* LII, 2: Quod vero Alexandream propter immensam et repentinam famem inconsulto se adisset, questus est in senatu:

بل انه (أى الامبراطور) شكا فى السناتو من ان جرمانيكوس ذهب الى الاسكندرية دون استشارته متعللا بمجاعة هائلة حدثت فجأة .

(٢) Tacitus, *Ann.* II, 59-61 (O.C.T. by C.D. Fisher).

(٣) أى فى عام ١٩ م ، راجع الآن :

A. Degrassi, *I Fasti consolari dell'Impero Romano.* Sussidi Eruditi. 3., Roma (1952), p. 8.

(٤) المقصود بيلوزيون وفاروس ، راجع صفحة ٥٣ هامش ١ — ٢ ، فيما تقدم .

LIX. M. Silano L. Norbano consulibus Germanicus Aegyptum proficiscitur cognoscendae antiquitatis. Sed cura provinciae praetendebatur, levavitque apertis horreis pretia frugum multaque in vulgus grata usurpavit: sine milite incedere, pedibus intectis et pari cum Graecis amictu, P. Scipionis aemulatione, quem eadem factitavisse apud Siciliam, quamvis flagrante adhuc Poenorum bello, accepimus. Tiberius cultu habituque eius lenibus verbis perstricto, acerrime increpuit quod contra instituta Augusti non sponte principis Alexandriam introisset. Nam Augustus inter alia dominationis arcana, vetitis nisi permissu ingredi senatoribus aut equitibus Romanis inlustribus, seposuit Aegyptum ne fame urgeret Italiam quisquis eam provinciam claustraque terrae ac maris quamvis levi praesidio adversum ingentis exercitus insedisset.

٦٠ — غير أن جرمانيكوس الذى لم يكن قد بلغه بعد أن رحلتــه تلك كانت موضع الهجوم ، صعد فى النيل (الى مصر العليـــا) بادئا من كانوب (١) ،وهى بلدة أسسها الاسبرطيون تخليداًلذكرى كانوبوس،ربان السفينة الذى دفن هناك عندما هبت عاصفة أثناء عودة مينيلاوس الى بلاد اليونان (٢) ،فجعلته ينحرف الى عرض البحر ثم قذفت به على ساحل ليبيا (أفريقيا) ، ومن هناك زار (جرمانيكوس) مصب النيل التالى ، وهو موقوف على عبادة هرقل (٣)

... وبعدئذ زار الآثار العظيمة فى طيبة القديمة (٤) ، وكانت لاتزال باقية على الصروح الضخمة كتابات مصرية (٥) تشرح قصة البذخ الغابر ..

٦١ — غير أن عجائب أخرى استرعت كذلك انتباه جرمانيكوس وعلى الأخص تمثال ممنون الحجرى الذى يرجع نغما موسيقيا عندما تمسه أشعة الشمس(٦) ، والاهرام التى شادها ملوك متنافسون بثرائهم فى ضخامة الجبال وسط رمال متناثرة من العسير اجتيازها ، والبحيرة التى حفرت فى الارض لتخزن ماء فيضان النيل (٧) ، وفى مكان آخر خوانق ضيقة وأعماق شديدة لاتستطيع أن تسبر غورها مسابر المستكشفين . وبعدئذ وصل الى الفانتين وأسوان ، وهما حصنا الدفاع قديما عن حدود الامبراطورية ، التى امتدت الآن الى البحر الاحمر (٨) .

---

(١) كوم سمعدى جنوبى أبى قير .

(٢) أى عودته من الحملة على طروادة . ومينيلاوس هو أمير اسبرطه وشقيق أجا ممنون وزوج هلينى التى أغواها باريس بن برياموس ،ملك طروادة وفرت معه فثارت من أجل ذلك الحرب الطروادية موضوع إلياذة هوميروس .

(٣) عن هرقل الذى يقارنه الأستاذ بروجش بخونسو — نفرحتب ، إله القمر وأحياناً إله الشمس فى طيبة ، أنظر : Herodotus II, 43 ff. ، وراجع :

— A. Erman, *La Religion des Egyptiens,* traduction de H. Wild, Paris (1937), p. 409.
— S.A.B. Mercer, *The Religion of Ancient Egypt.* London (1949), p. 154.

(٤) الأقصر والكرنك ومدينة هابو .

(٥) أى نقوش هيروغليفية

(٦) ممنون فى الأساطير اليونانيــة هو ابن ربة الفجر أيوس (Eos) من تيثونوس (Tithonos) الذى عاشرهامتقمصاً شكل الفراشة . وقد وفدالى طرواده من إثيوبيا ، بلاد =

LX. Sed Germanicus nondum comperto profectionem eam incusari Nilo subvehebatur, orsus oppido a Canopo. Condidere id Spartani ob sepultum illic rectorem navis Canopum, qua tempestate Menelaus Graeciam repetens diversum ad mare terramque Libyam deiectus est. Inde proximum amnis os dicatum Herculi,... mox visit veterum Thebarum magna vestigia. Et manebant structis molibus litterae Aegyptiae, priorem opulentiam complexae...

LXI. Ceterum Germanicus aliis quoque miraculis intendit animum, quorum praecipua fuere Memnonis saxea effigies, ubi radiis solis icta est, vocalem sonum reddens, disiectasque inter et vix pervias arenas instar montium eductae pyramides certamine et opibus regum, lacusque effossa humo, superfluentis Nili receptacula; atque alibi angustiae et profunda altitudo, nullis inquirentium spatiis penetrabilis. Exim ventum Elehpantinen ac Syenen, claustra olim Romani imperii, quod nunc rubrum ad mare patescit.

= الشمس الشرقية ، لمساعدة أسرة أبيه ولـكنه هلك على يد أخيليوس (أخيل) ، وهي حادثة مفجعة من أساطير البطولة أثارت لوعة ربة الفجر وأغرقتها في حزن عميق . وقد أطلق اليونان اسمه على تمثال أمنحتب (أمينوفيس) الثالث وزوجته تي (حوالي ١٤٠٥ ق. م.) في مدينة طيبة . وأول من وصف ظاهرة النغم الصادر من هذين التمثالين هو استرابون (XVII, 1, 46) الذي زار طيبة في رفقة صديقه آيليوس جاللوس والى مصر في عام ٢٥ ق. م. (راجع ما ذكر ص ٦٤ هامش ٢) . وسمع استرابون صفيراً خافتاً في الساعة الواحدة (بعد شروق الشمس ، أي الساعة ٥١ر٨ إذا كان الوقت شتاء ، ٤٠ر٥ إذا كان الوقت صيفا) ، راجع :
J.E. Sandys (editor), *Comp. Lat. Stud.*, 3rd ed. (1938), p. 201).
ولكنه لم يستطع أن يجزم إن كان الصوت قد صدر من القاعدة أم من التمثال أم من أحد الواقفين قرب القاعدة . ويضيف أنه ربما صدر من الحجارة المصفوفة على هذا النحو . وعن تمثال ممنون أنظر أيضاً جوفينال (Sat. XV, 5-6) . ومن بين الشخصيات الرومانية التي زارت هذا المكان فونيسولانا فيتولا زوجة الوالي تتيوس أفريكانوس في يوم ١٢ فبراير عام ٨١ م وسمعت الصوت (للمرة الثالثة !) في الساعة الواحدة والنصف أي الساعة ٤٥ر٨ صباحا
(I.L.S. 8759 C = Barrow, *Selection of Latin Inscriptions*, No. 152)
كما زاره أيضاً الإمبراطور هدريان في نوفمبر عام ١٣٠ م . مع رجال حاشيته وسجلت بالبيللا Balbilla ، إحدى الوصيفات ، بعض الأشعار (epigrammata) على أحد التمثالين : (C.I.G. III, 4725, 4727, 4729-4731) . وعندما جاء الإمبراطور سبتميوس سفيروس إلى مصر في آخر عام ١٩٩ م زار طيبة في عام ٢٠٠ وأمر بترميم التمثال المتصدع فلم يصدر عنه صوت منذ ذلك الحين ، راجع :
Milne, *A History of Egypt under Roman Rule*, 3rd ed. (1924), p. 61.

يتضح من هذا النص الهام أن القواعد التي وضعها أغسطس محرماً بها على أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان اللامعين دخول مصر إلا بإذن صريح من الإمبراطور ، كانت تنطبق أيضاً على أعضاء الأسرة المالكة . وفي الحق أن جرمانيكوس بوصفه پروقنصلاً (نائب قنصل) كان في عداد هيئة السناتو إن لم يكن بحكم مركزه عضواً في ذلك المجلس . وعلى أي حال فالنص دليل واضح على مدى حرص الأباطرة على تأمين مصر من أطماع الشخصيات الكبيرة حتى ولو كانت من أمراء أسرتهم . ولا ندري كيف اجترأ جرمانيكوس على اتخاذ مثل هذه الخطوة . لعله اعتقد أن « سلطته البروقنصلية الكبرى » تخوله — مثلما خولت لجايوس قيصر من قبله[1] — حق دخول مصر دون استئذان الإمبراطور ، أو لعله لم يفكر في الأمر إطلاقا . ومن العسير أن نعرف الباعث الحقيقي على

= (٧) المقصود هنا بحيرة موريس Moeris ، المعروفة الآن ببركة قارون بالفيوم .

= (٨) المقصود بالبحر الأحمر ، بحر العرب أو الخليج الفارسي الذي امتدت حدود الإمبراطورية إليه بعد فتوحات تراجان في عام ١١٥/١١٦ م .

(١) جايوس قيصر (C. Caesar) أكبر أبناء جوليا ، بنت أغسطس ، من أجريبا ، أخلص مساعديه . ولد في عام ٢٠ ق . م . وتبناه أغسطس في عام ١٧ ق . م . وعين عضواً في مجلس الشيوخ عام ٥ ق . م . وهو في سن الخامسة عشر ، ونادى به الفرسان زعيما للشباب (Princeps Iuventutis) ، وكان أغسطس ينتوي أن يستخلفه . وعندما طرد سكان أرمينيا بتحريض البارثيين الملك الموالي لروما قبيل عام ١ ق . م . أوفد أغسطس جايوس قيصر إلى أرمينيا لاسترجاع النفوذ الروماني وزوده بسلطة پروقنصلية (imperium proconsulare) أعلى من سلطة حكام الولايات الشرقية . وفي طريقه إلى الشرق زار جايوس قيصر جزيرة ساموس ومنها عرج على مصر ربما ليقف بنفسه على أحوال تلك الولاية ذات الأهمية الاقتصادية الحيوية ، وإن قيل إنه زارها ليبدأ الاستعدادات لحملة جديدة على اليمن عوضاً عن حملة جالاوس الفاشلة ، أو — في أغلب الظن — على بلاد العرب البتراء . ومن مصر أبحر إلى سوريا حيث بلغه نبأ اختياره قنصلا لعام ١ م . وقد مات متأثراً بجراح أصابته في إحدى معارك أرمينيا أثناء عودته إلى إيطاليا في ٢١ فبراير من عام ٤ م . بإقليم ليكيا . وقد حزن أغسطس عليه أشد الحزن وبخاصة أن أخاه لوكيوس قيصر (L. Caesar) الذي كان يصغره بثلاث سنوات لقي حتفه هو الآخر قبل ذلك بعامين في ٢ م .

تلك الزيارة التي أثارت قلق تيبريوس ، وإن كنا نستبعد أنها كانت تخفي وراءها أي هدف سياسي[١] .

وقد شاء القدر أن تصلنا بردية يونانية تحتوى على منشورين أصدرها هذا الأمير أثناء إقامته في مصر[٢] . ويثير ذلك السؤال التالي : هل كان من حق جرمانيكوس أن يصدر منشورات في مصر مع وجود الوالي الشرعي ، نائب الامبراطور ؟ من الواضح من رواية تاكيتوس أنه لم يكن يجوز له أن يدخل مصر دون تصريح ، ومن باب أولى أنه لم يكن يجوز له أن يصدر فيها أي منشورات، أو أن يأمر بفتح صوامع الغلال ، حتى ولو لم تكن هذه — حسبما يعتقد ڤيلكن[٣] — صوامع القمح المعد للتصدير إلى روما . لقد افتأت جرمانيكوس على حق الوالي لأن سلطته البروقنصلية التي خولت له في بعض الولايات لم تكن تسرى في مصر[٤] . غير أن جرمانيكوس ، وقد اعتقد أن مصر تدخل في نطاق هذه الولايات ، اعتقد بداهة أن سلطته — وهي سلطة أكبر (maius) من سلطة حكام الولايات — تجعله في مركز أعلى من الوالي . ومن ثم لم يعترف بسلطة الوالي ولم يستعن به . ولو أنه فعل ذلك لكان في هذا اعتراف رسمي منه بعدم دستورية وضعه في مصر . وفي رأي أحد الباحثين أن جرمانيكوس لم يدخل مصر بمقتضى سلطته الاستثنائية ، بل دخلها وتصرف فيها على هذا النحو بوصفه ولياً للعهد ، أي بوصفه ابناً للامبراطور الذي كان بمثابة أحد الفراعنة[٥] . وأياً كان الأمر فإن

---

(١) *Cf.* Stein, *Untersuchungen Aegyptens unter roemischer Herrschaft*, p. 107.

(٢) *S.B.* 3924 = *Sel. Pap.* II, 211 = Ehrenberg-Jones, *Documents illustrating the Reigns of Augustus and Tiberius*, No. 320 = Johnson, *Roman Egypt* (An Economic Survey of Ancient Rome, vol. II, ed. by T. Frank), No. 366 (p. 622 f.).

(٣) Wilcken, "Zum Germanicus Papyrus", *Hermes* 63 (1928), pp. 48-65; *Cf.* C.F. Lehmann-Haupt, "Germanicus' Getreideverteilung in Aegypten", *Klio* 23 (1929), pp. 140 ff.

(٤) Johnson, *op. cit.*, p. 623.

(٥) V. Burr *apud* Reinmuth, *R.E.* XXII, 2 Nachträge, s.v. "Praefectus Aegypti", col. 2356.

لمحة المنشورين توحى بأن جرمانيكوس اضطر إلى إصدارهما ، فقد أصدر الأول ليكبح جماح موظفى السلطة المحلية وأفراد حاشيته الذين استغلوا تعلق الناس به ففرضوا عليهم تقديم مختلف التبرعات والخدمات إرضاء للأمير وحرصاً على راحته ، وأصدر الثانى ليناشد الأهالى عدم المغالاة فى الترحيب به والكف عن مناداته بألقاب لا تليق إلا بالجالس على العرش . يقول جرمانيكوس فى المنشور الأول[١] :

« جرمانيكوس قيصر بن اغسطس حفيد اغسطس المؤله (٢) القنصل البديل ، يعلن : (بلغنى انه بمناسبة زيارتى) قد أكره الناس على تقديم مراكب ودواب وان منازل للضيافة قد اخذت بالقوة للاقامة وأن وسائل الارهاب قد استعملت مع الافراد . لذلك رأيت من الضرورى أن أعلن أننى لا اريد أن يستولى أحد على مركب أو دابة الا بأمر بايبيوس صديقى وأمينى ؛ ولا ان تغتصب منازل للضيافة . فان تكن هناك حاجة ، فان بايبيوس نفسه سيوزع منازل الضيافة بالعدل والقسطاس . وبالنسبة لما يلزمنا من المراكب أو الدواب فانى آمر بدفع الاجور وفقا للجدول الذى قدمته . وانى لأرغب فى احضار المخالفين الى أمينى الذى سيتولى هو نفسه منع الظلم عن الافراد أو يبلغنى الامر . وأمنع من يلتقون بالدواب أثناء مرورها بالمدينة من اغتصابها بالقوة ، لان ذلك عمل من أعمال اللصوصية الفاضحة » .

ومع هذا كله نجد السلطات فى طيبة التى يبدو أن هذا المنشور لم يبلغها إلا فى وقت متأخر ، تلزم مزارعاً بتقديم مقدار من القمح بمناسبة زيارة جرمانيكوس . فلما عجز عن ذلك ألزمته فى ٢٥ يناير عام ١٩ بتقديم ما يعادل قيمته نقداً[٣] .

وأما فى المنشور الثانى فيقول جرمانيكوس بعد الديباجة[٤] :

« اننى أرحب بالشعور الطيب الذى تبدونه دائما نحوى كلما رأيتمونى . غير أننى أستنكر استنكارا تاما مناداتكم اياى بألقاب تثير على البغضاء

---

(١) *S.B.* 3924 = *Sel. Pap.* II, 211, ll. 1-30.

(٢) المقصود بابن أغسطس ، بن تيبريوس (بالتبنى) الذى حمل كسائر الأباطرة من بعده لقب أغسطس . ومعنى حفيد أغسطس المؤله ، أى حفيد أكتافيانوس (أغسطس) الذى كان أبا (بالتبنى) لتيبريوس نفسه ، ابن زوجته .

(٣) *W. Chrest.* 413.

(٤) *S.B.* 3924 = *Sel. Pap.* 211 = Ehrenberg-Jones, *Documents illustrating the Reigns of Augustus and Tiberius*, No. 320, ll. 31-45. *Cf.* also Lewis-Reinhold, *Roman Civilization*, New York (1955), vol. II, p. 562 f. (The reference to the document is partially mistaken).

لانها كالقاب الآلهة ، ولا تليق الا بابي المنقذ الحقيقي للجنس البشري كافة ومسدي الخير له ، وبأمه التي هي جدتي ، فكل ما نملك لا يعدو أن يكون أثراً من آثار الوهيتهما ، واذا لم تمتثلوا لأمري فسوف ترغمونني على ان لا اظهر بينكم كثيراً » .

وينبغي أن نسأل أولا عن أسباب ذلك الحماس الشديد الذي استقبل به مواطنو الإسكندرية وسكان مصر جرمانيكوس وحفاوتهم البالغة به . لقد ذكر المؤرخ تاكيتوس في النص الذي تقدمت ترجمته بعض هذه الأسباب : كسلوك الأمير مسلكا من شأنه تحبيب الجماهير إليه وتودده إليهم ببساطته واختلاطه بهم دون حرس ، وانتعاله صندلاً يونانياً وارتدائه — مثلما فعل ماركوس أنطونيوس — قميصاً يونانياً ، ومخاطبته إياهم — وهذا ما نعرفه من مصدر وثيق آخر[1] — بلغتهم اليونانية التي كان يتقنها . كما أنه لم يترفع — على نقيض أغسطس — عن زيارة معبد أبيس[2] . وأهم من ذلك أنه أمر بفتح صوامع الغلال فهبطت أسعارها في السوق ، وبتوزيع القمح — إن صدقت رواية المؤرخ يوسف — على سكان المدينة دون اليهود[3] . وكان هذا وحده كفيلا بإلهاب حماس الإسكندريين له ورضائهم عنه . وفي وسعنا أن نضيف سبباً آخر . لقد كان جرمانيكوس —

---

(١) *P. Jews* = *P. Lond.* 1912, 26-27.

(٢) Plinius, *Nat. Hist.* VIII, 185; Ammianus Marcellinus, XXII, 14, 8.

(٣) Josephus, *c. Apion.* II, 63; Si vero Germanicus frumenta cunctis in Alexandria commorantibus metiri non potuit, hoc indicium est sterilitatis ac necessitatis frumentorum, non accusatio Iudaeorum.

لكن اذا كان جرمانيكوس لم يستطع ان يوزع القمح على جميع المقيمين في الاسكندرية ، فان هذا انما يدل على الجدب وعجز محصول القمح ، لا على ان اليهود كانوا موضع الاتهام .

[لاحظ أن النص اللاتيني هو ترجمة للفقرة اليونانية الضائعة ، وقد قام بهذه الترجمة القديمة مجهول بأمر كاسيدروس ، وزير الامبراطور تيودوريك ؛ راجع :
H. St. J. Thackeray, *Josephus* (L.C.L.) vol. I (1926), p. xviii.]

أنظر أيضاً : Stein, *Untersuchungen*, p. 107, n. 2; Bell, *C.A.H.* X, p. 309

بغض النظر عن جايوس قيصر ، حفيد أغسطس ، الذى قيل إنه زار مصر فى عام ١ م . ولكننا لا نعرف أى تفاصيل عن زيارته[١] — أول أمير رومانى يزور الإسكندرية منذ دخلها أغسطس غازياً فى عام ٣٠ ق.م ويطوف بأنحاء مصر سائحاً لمشاهدة آثارها . وكان هذا أيضاً خليقاً بإثارة حماس الإسكندريين الذين عرفوا بميلهم إلى الصخب والمظاهرات — أكبر الظن تنفيساً عما فى صدورهم من كبت وضيق من استبداد المحتلين — واشتهروا بالمغالاة فى مدح المحسنين وذم المسيئين . ومع هذا فنحن لا نستبعد أن يكون سبب تهافت مواطنى الإسكندرية على جرمانيكوس شيئاً آخر . لقد كانوا — فيما يبدو — على علم بما بين تيبريوس وجرمانيكوس من جفوة ونفور ، فبادروا إلى الترحيب بالأمير الشاب نكاية فى الإمبراطور ، صاحب السلطة الشرعية فى روما . وسنرى فى الفصول التالية كيف كانت الإسكندرية تسارع دائماً إلى تأييد أدعياء العرش المتمردين على الأباطرة .

وقد بدأ جرمانيكوس يشعر بما قد تجره عليه هذه الزيارة من عواقب وخيمة وأن زمام الموقف قد يفلت من يديه . وزاد من قلقه أن أهالى مصر نادوه بألقاب أشبه ما تكون بألقاب الآلهة ، بل هى ترفعه إلى مصاف الآلهة ، ولا تليق إلا بالإمبراطور وزوجته . فما هى هذه الألقاب ؟ إن سياق المنشور يوحى بأن هذه الألقاب لم تتعد المنقذ (sôtêr) والخيّر (euergetês) . غير أن هذين اللقبين كثيراً ما خلعا على من هم دونه مقاماً[٢] ، فضلا عن أن مدن آسيا الصغرى — كما قدمنا — قد خلعت عليه عين الألقاب ، بل إن بلدة پتارا (Patara) نادته هو وابن عمه دروسوس بالإلهين الظاهرين (theoi epiphaneis) [٣] . ومع هذا فلم نسمع أن جرمانيكوس صد أهالى تلك المدن أو زجرهم . لا بد إذن

(١) راجع فيما سبق حاشية ١ ص ٧٦ .

(٢) A.D. Nock, *C.A.H.* X, p. 495.

(٣) M.P. Charlesworth, *C.A.H.* X, p. 620.

— كما يعتقد أحد الباحثين — من أن أهالى مصر نادوه أيضاً بلقب معين آخر لا يجوز خلعه إلا على الإمبراطور وحده . هذا اللقب — فيما يرجح — هو لقب أغسطس (Augustus = Sebastos) الذى يتضمن معنى ذى الجلال أو صاحب الجلالة[1]. ولا بد أيضاً أن جرمانيكوس كان قد بلغه عندئذ نبأ انزعاج تيبريوس واستيائه منه وتنديده بسلوكه فى مجلس الشيوخ ، فبادر إلى نفى الشبهات عن نفسه . ونحن نعلم من مصادر أخرى أنه عاد إلى سوريا حيث تنازع مع واليها بيسو (Piso) ، وأنه مات فجأة فى أنطاكية . واتهم بيسو بدس السم له وحكم عليه بالموت فآثر الانتحار . غير أن أم جرمانيكوس اعتقدت — والشائعات راجت — بأن الإمبراطور نفسه كان ضالعاً فى المؤامرة التى أودت بحياة الأمير المحبوب .

(١) C. Cichorius, *Römische Studien* (1922), p. 380; *cf.* Abdullatif A. Aly, "The Letter of Claudius to the City of the Alexandrians", *Bull. Fac. Arts, Cairo Univ.*, vol. XVIII, pt. 2, 1956 (1959), p. 6.

الفصل الثالث

كاليجولا وكلوديوس ونيرون

١ — بدء النزاع بين اليهود والاغريق وفتنة عام ٣٨ :

لم يحدث فى مصر خلال السنوات الأخيرة من حكم تيبريوس ما يستحق الذكر سوى ذلك المنشور الذى أصدره الوالى أفيليوس فلاكوس **(A. Avillius Flaccus)** فى عام ٣٤/٣٥ ، محرما فيه على الأهالى حمل الأسلحة أو إحرازها ، وهدد فيه المخالفين بعقوبة الموت . هذا المنشور وصلنا فى شكل بردية أو بالأحرى قصاصة مهلهلة لا يتبين منها سبب ذلك الإجراء (١) . وعلى أى حال فهو يشير إلى توقع حدوث اضطرابات فى ذلك الحين . ولا مراء فى أن لهذا المنشور صلة وثيقة بما ورد عند فيلون ، الكاتب اليهودى ، الذى يذهب إلى أن فلاكوس كان متحاملا على اليهود فأمر فى عام ٣٧/٣٨ ؟ بتفتيش منازلهم ومصادرة الأسلحة المخفاة فيها ، ولكنه لم يعثر فيها على شىء ، بينما عثر — قبل ذلك بفترة غير طويلة — على أكداس منها مخبأة فى بيوت المصريين « الذين كثيراً ما ثاروا على السلطات التى ارتابت فى أنهم يدبرون ثورة جديدة» (٢) . لعل المصريين بدأوا يضيقون ذرعا بتعسف السلطات

---

(١) *W. Chrest.* 13; *cf.* O.W. Reinmuth, *The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian.* Klio, Beiheft XXXIV, N.F., Heft 21, Leipzig (1935), p. 121 f.; H. Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, Oxford (1939), pp. 108-110, nn. 92-93.

ويتبين من إحدى الوثائق (*W.O* 1372 = *W. Chrest.* 414) أن فلاكوس قام بجولة فى مصر وبلغ طيبة فى ٩ أغسطس عام ٣٣ م . ولعله قد راعه أن كثيراً من الأهالى فى حوزتهم أسلحة ، فلما عاد إلى الإسكندرية أصدر ذلك المنشور فى عام ٣٤/٣٥ .

(٢) *In Flacc.* 86-96 (ed. Cohn-Wendland-Reiter: *Philonis Alexandrini opera quae supersunt*, editio minor, vol. VI, pp. 86-120 (by Reiter) reproduced in Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*. Oxford 1939)

المحلية ووطأة الاحتلال الرومانى .. ومن المؤكد أن موجة التذمر بدأت تسرى فى الإسكندرية أيضاً ، لأنه من العسير ألا يقرن المرء بين هذا المنشور ورواية فيلون و بين الاضطرابات التى نشبت عقب اعتلاء كاليجولا العرش .

ولعل القارىء يذكر أن أغسطس اتخذ من التدابير ما يكفل رد الإسكندريين إلى صوابهم إذا ماخطر لهم أن يثيروا الشغب أو يقوموا بالثورة فى وجه الرومان ، وأنه وضع فرقة كاملة عند ضاحية نيقوبوليس تحذيراً لهم . غير أن هذه التدابير الصارمة لم تثن مواطنى المدينة عن مناصبة روما العداء ، مع أن ضم مصر إلى الإمبراطورية أفاد الإسكندرية من الناحية الاقتصادية . فقد ظلت ، كما كانت على أيام البطالمة ، عاصمة للبلاد ، ومقراً للوالى ، تتركز فيها الدور الحكومية الرئيسية والمحاكم العامة وتودع فيها السجلات الرسمية ، و يتردد عليها المتقاضون والتجار وأصحاب الحاجات ، وكذلك ضباط وجنود الجيش الرومانى المرابط بمعسكر نيقوبوليس الذين كانوا ينفقون فيها عن سعة .. لقد كانت بمثابة السوق المزدحمة التى تنبض بالحركة والنشاط ، وزاد من نشاطها الأساطيل الرومانية (كالأسطول الأغسطى الإسكندرى وأسطول ميسينوم) التى كانت تبحر منها بانتظام إلى إيطاليا محملة بالقمح غير متعرضة لخطر القراصنة الذين طهرت روما البحر منهم . جميع هذه العوامل روّجت الأعمال التجارية بأنواعها كافة وزادت من رخاء المدينة على الأقل فى صدر العصر الرومانى[1] . غير أن هذا الربح المادى أو الكسب التجارى لم يله الإسكندرية عن خسارتها الأدبية الجسيمة وأفول نجمها السياسى . فقد ساءها أن تفقد مكانتها القديمة كعاصمة لمملكة مستقلة قوية ، بل إمبراطورية واسعة ، بينما يصعد نجم روما التى كانت الإسكندرية — على حداثة نشأتها — تنظر إليها شزراً بوصفها مدينة حديثة النعمة . وحز فى صدر

---

(١) Bell, *C.A.H.* X (1934), p. 297; Idem, *J.J.P.* IV (1950), p. 20 f.

الإسكندريين أن يصبحوا رعايا عاهل لا يقيم بينهم ويتحكم فى مصائرهم عن طريق نائب يتمتع بسلطة تكاد تكون مطلقة . وقد زاد من شعورهم بالمرارة أن أغسطس استحدث فى عواصم الأقاليم (metropoleis) نظاماً قريب الشبه من نظام المجالس البلدية ، على غرار ما كان فى الإسكندرية ، طامساً بذلك الفارق بين هذه العواصم الريفية وبين مدينتهم . وأدهى من ذلك وأمر أنه رفض مطلباً عزيزاً عليهم ، وهو إنشاء مجلس للشورى (boulê) على غرار مجالس المدن اليونانية الحرة ، وهو مجلس يرجح — كما أسلفنا — أنه كان قائماً بالمدينة منذ تأسيسها ثم ألغى فى فترة من فترات الاضطراب فى أواخر عصر البطالمة[1] . ولم يشأ أغسطس أن

---

(١) راجع ص ٤٣ أعلاه وهامش ٣ . إن رفض أكتافيانوس يفهم من رواية المؤرخ ديون كاسيوس (LI, 17) وربما أيضاً من بردية البولى (P.S.I. 1160) . غير أننا لا نعرف فى الواقع من هو « قيصر » المذكور فى هذه البردية التى يرجح الأستاذ « بل » وغيره من الباحثين أنها ليست وثيقة بل قطعة شبه أدبية تنتمى إلى مجموعة « أعمال الإسكندريين » (راجع ص ١١٠ فيما بعد) . وعلى ذلك فليس من الضرورى أن يكون قيصر هو أكتافيانوس (راجع ما ذكر فى هامش ٢ ص ٤٤) لعله تيبريوس أو كاليجولا وإن تكن هناك قرائن قوية ترجح أنه كاوديوس . وإليك ترجمة ما بقى من هذه البردية التى ثار حولها جدل شديد :

[illegible] (أى دوسيه) رقم ٤٠ ، قرطاس (أى صفحة) رقم ٣٢ .

« [illegible] من الضرورى أن أتكلم فى شىء من التفصيل . فأنا أقول إنه (أى مجلس الشورى) سوف [illegible] على تعلم الثقافى الدخل جميع الذين يتعين إدراجهم فى سجل الخاضعين لضريبة الرأس من إدراج أسمائهم سنويا فى القائمة الرسمية بجانب (أسماء) أشبان (من أعضاء المنظمات اليونانية الذين هم فى سبيلهم الى أن يصبحوا مواطنين اسكندريين) ؛ وسيحرص على أن لا يلوث جالية المواطنين الاسكندريين النقية أناس يفتقرون الى التربية والتعليم . وإذا أثقل كاهل أحد بضرائب تعسفية يقتضيها منه مدير الحساب الخاص أو أى محصل عمومى يبتز أموال الناس بالإرهاب ، فإن مجلس الشورى ، بعد اجتماعه فى حضور نائبك الوالى قد يشد من أزر الضعفاء ويحول دون أن ينهب كائن من يكون من الناس ، بسبب الافتقار إلى المعونة (أو علاج الحالة ؟) ، ما يمكن حفظه لك من الدخل . وفضلا عن ذلك ، إذا نشأت حاجة إلى إيفاد سفارة إليك فإنه (أى المجلس) قد ينتخب اللائقين (للمهمة) فلا يسافر أحد وشيع الشأن ، ولا يتهرب شخص لائق من خدمة وطنه . كذلك نلتمس أن تأذن بأن ينعقد مجلس الشورى سنويا ويقدم حسابا عن أعماله فى ختام السنة . . . . (وهنا تجىء سطور ناقصة تتحدث — فيما يبدو — عن اللائحة التنظيمية للمجلس) .

قال قيصر : سوف أبت فى هذه المسائل ... (بعد عودتكم ؟) إلى الإسكندرية .

وعن الآراء المختلفة والمراجع الكثيرة فى مضمون هذه البردية الهامة ، أنظر الكتب والمقالات التالية :

=

يستجيب لهم لأن مجلس الشورى كان يتعارض والسلطة التي خولها لنائبه في مصر فعل أغسطس ذلك بينما أقر لليهود امتيازاتهم القديمة ، تاركاً لهم أمر تنظيم طائفتهم الدينية على شكل جالية مستقلة لها رئيس (ethnarchês, genarchês) ومجلس من المسنين أشبه ما يكون بمجلس الشيوخ (gerousia) ، ودار السجلات (archeion) ومعابد (synagôgai) يمارسون فيها شعائر دياناتهم (١) . وقد زاد الطين بلة عدم قناعة اليهود بامتيازاتهم ، فطمعوا في الظفر بحقوق المواطنة بالمدينة . وأثار ذلك حفيظة الإسكندريين فصبوا عليهم جام غضبهم بوصفهم من أنصار الغزاة عند دخولهم البلاد ، وتربصوا بهم الدوائر لأن مهاجمة اليهود كانت أسلم عاقبة من مهاجمة الرومان أنفسهم . وهكذا تحولت الكراهية العنصرية لليهود إلى كراهية سياسية أو أصبحت مزيجاً منهما .

وكان من الطبيعي أن يظهر في الإسكندرية أثر ضعف الحكومة المركزية . ففي ١٨ مارس عام ٣٧ ارتقى عرش الإمبراطورية جايوس قيصر المشهور باسم كاليجولا (Caligula) ، وهو ابن جرمانيكوس ، الأمير المحبوب الذي تقدم

=

J.H. Oliver, "The BOULE-Papyrus", *Aegyptus* 11 (1930-1), pp. 161-168; H.I. Bell, "The Problem of the Alexandrian Senate", *Aegyptus* 12 (1932), pp. 173-184; P. Jouguet, "L'Histoire politique et la papyrologie". Papyri und Altertumwissenschaft. *Münchener Beitraege zur Papyrusforschung und antiken Rechtsgeschichte.* Heft XIX. München (1934), p. 88, n. 103; idem, *Trois Etudes sur l'Hellénisme.* Publ. Fac. Lett. Univ. Farouk Ier. Le Caire (1944), p. 119, n. 2; idem, *La Domination romaine en Egypte.* Publ. Soc. Roy. Arch. Alex. (1947), p. 24, n. 1; *idem*, "Les Assemblées d'Alexandrie à l'époque Ptolémaïque", *B.S.A.A.* 37 (1948), pp. 7 ff. and notes (du tirage à part); Bell, "The Acts of the Alexandrines", *J.J.P.* IV (1950), pp. 25-27; I.D. Amusin, "K voprosu o datirovke florentyskogo papirusa *PSI* X 1160", *Vestnik Drevnej Istorii* 4 (1951), pp. 208-219 (in Russian, summarized in *J.J.P.* VI, 1952, p. 281); H.A. Musurillo, S.J., *The Acts of the Pagan Martyrs* (Acta Alexandrinorum). Oxford (1954), No, 1 and pp. 83-88; M. Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Roman Empire,* 2nd ed. (revised by P.M. Fraser). Oxford (1957), vol. II, p. 560, n. 11.

(١) *Cf.* Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum* (1939), p. xxvi-xxvii; Bell, *J.J.P.* IV (1950), p. 21

الكلام عن زيارته لمصر . واستبشر سكان إيطاليا والولايات بتقدم العاهل الجديد وتوقعوا على يديه الخير العميم . لكن سرعان ما انحرف عن الطريق السوى وخيب أملهم فيه . فقد تكالبت عليه عدة عوامل حولته إلى حاكم شبه مجنون ، وكان من بينها مرض شديد أو لوثة لم يبرأ منها تماماً ، ووفاة أخته ، أحب الناس إليه ، فضلا عن حداثة سنه ، وتزلف رجال حاشيته ، وهلعه الشديد من المؤامرات على حياته ، ذلك الهلع الذى انقلب إلى قسوة متناهية . وقد زينت له أوهامه أنه فوق البشر فطالب رعاياه بتأليهه و إقامة تماثيله فى مختلف المعابد . ولعله قد تأثر فى حداثته بفكرة تأليه الملوك الأحياء ، وهى فكرة كانت شائعة فى ممالك الشرق الهلينستى ولا سيما فى مصر ، ولكنها كانت غريبة على الرومان فلم تلق بينهم رواجاً كبيراً[1] .

واتفق أن وفد أجريبا (Agrippa) ، حفيد هيرود الأكبر على الإسكندرية فى أوائل أغسطس من عام ٣٨ . وكان هذا الأمير اليهودى قد قضى شطراً من صباه بالقصر الإمبراطورى فى روما مع أبناء الأسرة المالكة فتوثقت صلته بكاليجولا . وقد مر بالإسكندرية يرافقه حرس شخصى وهو فى طريقه إلى فلسطين ليرتقى عرش مملكة صغيرة على حدود بلاد يهوذا (Iudaea) . وكان أجريبا قبل أن يبتسم له الحظ قد بدد ثروته بإسرافه و بذخه حتى أثقلت الديون كاهله ففر إلى الإسكندرية يلتمس المعونة من بنى جلدته ، وبخاصة من الإسكندر ليسيماخوس ، اليهودى الثرى — شقيق الفيلسوف فيلون — الذى كان يشغل منصب مدير الضرائب الجمركية (arabarchês) . ولما سددت ديونه وتحسنت أحواله عاد إلى روما حيث نال الحظوة لدى كاليجولا الذى منحه مملكة

---

(١) Cf. Abdullatif A. Aly, "The Conflict between Caligula and Judaea", *Ann. Fac. Arts, Ibrahim Univ.*, vol. II (1953), pp. 99 ff. .

صغيرة فى فلسطين . ولذلك دهش إغريق الإسكندرية من أن يصبح هـذا المفلس ملـكاً بين يوم وليلة ، وتذكروا مجيئه بالأمس خاوى الوفاض هارباً من دائنيه . وساءهم أن يستقبله اليهود استقبالاً ملـكياً فخماً ، بل ساورتهم الظنون أن لا يكون قدومه آنئذ بمحض المصادفة . ولهذا قرروا أن يعكروا عليه صفو الزيارة المريبة وأن يتخذوا منها تُـكأة لمهاجمة اليهود فى شخصه . فأحضروا معتوهاً يعرفه سكان المدينة باسم كراباس Karabas [1] (أى الـكرنب !) ، وأحاطوه بحرس هزلى واقتادوه إلى الجيمنازيوم (ناديهم الرياضى الثقافى) حيث عصبوا رأسه بإكليل من لحاء نبات البردى ودثروه بسجادة بالية كأنها العباءة ، ووضعوا فى يده صولجاناً من ساق البردى ، ثم ساروا به عبر شوارع المدينة هاتفين « مارَنْ ، مارَنْ » ، وهى كلمة سريانية معناها المولى أو الملك . وكان القصد مداهنةً من هذا الموكب الهزلى هو السخرية من أجريبا والاستهزاء به [2]

ولـكنهم سرعان ماندموا على فعلتهم تلك عندما تذكروا ما تسود فى غمرة حماسهم . لقد تذكروا أن أجريبا صديق حميم للإمبراطور وأنه سوف يشكوهم إليه وأن كاليجولا لابد من أن يقتص منهم لإهانتهم صديقه . وتدبروا الأمرَ ملياً فتفتق ذهنهم عن حيلة تخلصهم من ورطتهم . لقد تراءى لهم أن يوقعوا بين كاليجولا واليهود فراحوا يزعمون أنهم لم يدبروا المظاهرة العدائية إلا لأن اليهود رفضوا الامتثال لأمر الإمبراطور الخاص بإقامة تماثيله فى جميع المعابد . ولم يكن من المعقول أن يقبل اليهود تدنيس معابدهم بتماثيل البشر ، مهما جل قدرهم ، وهم يؤمنون بإله واحد . لذلك اقتحم الإسكندريون معابدهم عنوة ونصبوا فيها تماثيل

---

(١) أو Barabas (= Barabbas) وكلا الاسمين آرامى الأصل بمعنى واحد ، لعله « الـكرنب » ؛ راجع :

Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, pp. xlii, 89, n. 36.

(٢) Philo, *in Flacc.* 25-39.

كاليجولا بالقوة[١] . فلما قاومهم اليهود اتهموهم بعدم الولاء للامبراطور[٢] وأسقط فى يد الوالى فلا كوس ولم يدر ماذا يفعل . فقد أحرجه الإسكندريون عندما تذرعوا بحجة أنهم ينفذون أمر قيصر . وزاد موقفه حرجاً أن الإمبراطور انقلب على أوليائه فى روما فخشى أن يتخذ خطوة تضاعف سخطه عليه . وأخيراً لم يجد مناصاً من أن ينحاز إلى الإسكندريين على أمل أن يقربه ذلك من سيده . ولم يلبث أن أصدر منشوراً بأن اليهود أجانب دخلاء[٣] . وسحب منهم الامتيازات التى اكتسبوها عرفاً بطول إقامتهم فى المدينة تاركاً لهم فقط ما اكتسبوه منها بطريق القانون[٤] . ولم يتح لهم فرصة الدفاع عن أنفسهم وأدانهم دون محاكمة ، وأقام من نفسه « مدعياً وخصماً وشاهداً وقاضياً وجلادا[٥] » . وعندما اطمأن الإسكندريون إلى وقوف الوالى فى صفهم انطلقوا إلى مساكن اليهود . وكان بالمدينة خمسة أحياء مرقومة بالحروف الأولى من الأبجدية اليونانية ، وإن صدقت رواية فيلون فإن معظم اليهود كانوا محتشدين فى حيين غير أنهم انتشروا بمضى الزمن فى أربعة من هذه الأحياء . انطلق الإسكندريون إليها وطردوا اليهود منها وساقوهم جميعاً إلى حى واحد ، أكبر الظن هو حيهم الأصلى ، المرقوم بحرف دلتا "Delta" ، أى الحى الرابع ، وحصروهم فى قطاع منه وتنكلوا بهم تنكيلا[٦] . ومع أن الحوانيت كانت مغلقة بمناسبة الحداد على وفاة دروسيلا[٧] ،

---

(١) *Cf.* Philo, *Legat.* 16-20; Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, pp. LVII-LXI.

(٢) *In Flacc.* 41-42.

(٣) *In Flacc.* 54.

(٤) *Cf.* Box, *op. cit.*, p. XLIV.

(٥) Philo, *in Flacc.* 54.

(٦) *In Flacc.* 55.

(٧) توفيت دروسيلا (Drusilla) فى ١٠ يونيو عام ٣٨ ، راجع :
Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, p. 100, n. 56.

أخت الإمبراطور ، إلا أن الإسكندريين لم يتورعوا عن اقتحام هذه الحوانيت ونهب ما فيها من بضائع وسلع[١] . وتحولوا إلى دورهم وخربوها و إلى معابدهم ودمروا بعضها وأضرموا النيران فى بعضها الآخر . وعندما عض الجوع بطون اليهود واضطروا إلى الخروج إلى سوق المدينة لشراء ما يقيم أودهم ، انقض دهماء الإسكندريين عليهم وأوسعوهم ضرباً ورجموهم بالحجارة وانهالوا عليهم بالهراوات أو قتلوهم بالسيوف أو أحرقوهم أحياء . ولم يرحموا النساء والأطفال والشيوخ . لقد انقلبت المظاهرات الصاخبة إلى معارك حامية بل إلى مذابح رهيبة[٢] . وأفلت زمام الموقف من يد الوالى ، الذى كان واجبه يقتضى منه أن يأمر الفرقة المرابطة عند ضاحية نيقوبوليس بالنزول إلى المدينة لإقرار النظام . ولكنه بدلا من ذلك ألقى القبض على ثمانية وثلاثين عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ اليهودى (gerousia) البالغ عدده واحداً وسبعين عضواً ، وهم قوم كانوا يتمتعون بمكانة كبيرة بين قومهم ، واقتادهم عبر السوق مقيدين بالحبال أو بالأغلال من خلاف إلى المسرح[٣] ، حيث جلدوا بالسياط مثلما يجلد المذنبون من «المصريين»[٤] وزاد من بشاعة هذه العقوبة أن اليهود كانوا معفيين منها عرفاً كالمواطنين ، وأنها نفذت فى يوم ٣١ أغسطس ، وهو عيد ميلاد الإمبراطور[٥] . ولم يقف مواطنو الإسكندرية عند هذا الحد بل ساقوا كثيرات من نساء اليهود عنوة إلى المسرح حيث أرغموهن على أكل لحم الخنزير على مرأى من الجمهور المحتشد[٦] . وما إن هدأت العاصفة حتى كان اليهود فى حالة يرثى لها .

(١) *In Flacc.* 56.

(٢) *In Flacc.* 62-71.

(٣) *In Flacc.* 74-75.

(٤) *In Flacc.* 78-80.

(٥) *In Flacc.* 81-83.

(٦) *In Flacc.* 96.

ومن محاسن الصدف أن وصلتنا برديتان إحداهما من البهنسا والأخرى من الفيوم يرجح أن لها صلة بهذه الأحداث . وما تبقى من البردية الأولى المشوهة يشير إلى مقابلة بين شيخ (geraios) وديونيسيوس وإسيدوروس وامرأة تدعى أفروديسيا وبين فلاكوس فى معبد سرابيس بالإسكندرية . وأما فلاكوس فهو والى مصر (٣٢ — ٣٨) الذى سلف الكلام عن موقفه من اليهود أثناء فتنة أغسطس عام ٣٨ . وإسيدوروس وديونيسيوس قطبان إسكندريان يصفهما فيلون فى كتابه الذى هجا فيه فلاكوس (in Flaccum) بأنهما كانا من متزعمى الحركة ضد اليهود[1] . ولا نعرف ما هو دور أفروديسيا فى هذا الاجتماع وهل كان وجودها فيه من قبيل المصادفة أم حضرته بوصفها على صلة بإسيدوروس وإليك مايحتويه الجزء السليم (وهو النهر الثانى) من البردية اليونانية[2]

« وعلى ذلك صعد فلاكوس الى معبد سرابيس بعد أن أمر بتسوية الموضوع (أو اتمام الصفقة) سرا . وصعد اليه أيضا اسيدوروس مع افروديسيا وديونيسيوس . وبعد دخولهم حرم المعبد سجد اسيدوروس وديونيسيوس لتمثال الاله . وعندئذ ألقى الشيخ بنفسه (على الارض) ، وتعلق بديونيسيوس وهو جاث على ركبتيه ، قائلا : انظر ، يا سيدى ديونيسيوس ، الى ، وأنا شيخ فى مواجهة سرابيس . لا تستعمل العنف مع فلاكوس ، بل اجلس مع الشيوخ (وشاورهم الامر ؟) . فاذا سافرت (؟) ... فلتعدل ، يا ولدى ديونيسيوس ، عن رأيك . وأجابه (ديونيسيوس) : اننى سأسوى الموضوع ، ولكنك لا تريدنى أن أرفض فلاكوس (أو لا تريد أن يرفضنى فلاكوس) ثانية ؟ فان اقتضى الامر أن التقى به مع القمر الجديد فسأذهب عن طيب خاطر . وأقبل فلاكوس وعندما رأى اسيدوروس قال : ان الموضوع قد سوى .. »

---

(١) *In Flacc.* 135-137; *cf.* 20.

(٢) *P. Oxy.* 1089 = Musurillo, *Acta Alexandrinorum*, No. II (Text, p. 4; Comment. p. 93), col. ii.

وعلى الرغم مما يكتنف النص من غموض شديد حار فيه الباحثون ، فإنه يكشف على الأقل عن واقعة ثابتة وهى أن ديونيسيوس كان ينتوى القيام بعمل لا يقره عليه « الشيوخ » ، وأن أحد هؤلاء «الشيوخ» كان يناشده أن لا يفعله . وإذ كان النص يشير أيضاً إلى رحلة ، فقد يستخلص من ذلك أن ديونيسيوس كان ينتوى السفر إلى روما ، وفى هذه الحالة كان لا بد من الحصول على موافقة الوالى لمغادرة البلاد(١). وبعد هذا الحديث يدخل الوالي فلاكوس فجأة وكأنه كان مختبئاً فى مكان قريب . ويدور حوار بينه وبين إسيدوروس وديونيسيوس . ويقطع هذا الحوار موظف لا نعرف إن كان رئيس سدنة المعبد أو رئيس « مجلس الشيوخ » (٢). ويستحلف الوالى بالرب سرابيس ألا يلحق أى أذى بإسيدوروس أو بديونيسيوس . ويستجيب إليه فلاكوس . وبعد هذه النقطة يتعذر استجلاء أى معنى متسلسل لكثرة الفجوات . وأخيراً يأتى ذكر خمسة تالنتات كلها من الذهب ، وأنها تحصى أو تدفع فى وسط المعبد ، مع الإشارة إلى الفائدة . وقد أثار ذكر هذا المبلغ الضخم فى البردية نقاشاً طويلاً بين الباحثين . ففريق يرى أنه رشوة يتقاضاها فلاكوس لكى يمنح ديونيسيوس إذناً بمغادرة الإسكندرية إلى روما — وهو أمر ضعيف الاحتمال ؛ وفريق آخر يرى أن المبلغ المشفوع بالفائدة ينم عن أعمال ربوية يمارسها الوالى نفسه ، بينما يرى فريق ثالث أن المبلغ رشوة يتناولها الوالى خفية إما لكى يعيد فتح جمعيات ونوادى الإسكندريين التى أغلقها فى بدء ولايته أو لكى يتغاضى عن اضطهاد الإسكندريين

---

(١) Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum* (1939), p. 110, n. 96; Bell, "The Acts of the Alexandrines", *J.J.P.* IV (1950), p. 28; *cf.* Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs* (1954), p. 102, n. 56 f.

وعن ضرورة الحصول على إذن من الوالى لمغادرة البلاد ، راجع الفصل الخامس فيما بعد .

(٢) Bell *apud* Musurillo, *op. cit.*, p. 102, n. 46 f.

لليهود[١] وإن صح الرأى الأخير فإن البردية تشير إلى تقارب أو صلح مؤقت بين زعماء الإغريق وبين فلاكوس على حساب اليهود ، أكبر الظن أثناء عام ٣٨/٣٩[٢] . ولعل هذا التقارب هو الذى دفع الوالى إلى أن يقف موقفاً عدائياً من اليهود ، مما عجل بوقوع فتنة عام ٣٨[٣] . وفى الحق أن هذا الرأى يلقى تعزيزاً فيما ورد عند فيلون من أن تواطؤاً حدث بين فلاكوس وأقطاب الإسكندريين وأن الوالى — وإن بدأ حكمه بداية طيبة تدل على حزمه ونزاهته — قد انحرف فى أواخر عهده عن جادة الصواب وتدهورت أخلاقه وفسدت ذمته[٤] . وثمة حقيقة أخرى ربما تكشف عنها البردية وهى أنه كان هنالك انقسام فى الرأى بين زعماء الإسكندريين . وسنرى بعد قليل كيف كان اليهود منقسمين إلى فريقين ، فريق متزمت ، وفريق متحلل بعض الشىء من قيود الشريعة الموسوية ، ومتأثر بأساليب الحياة اليونانية . لعله كان هنالك أيضاً حزبان بين الإسكندريين : حزب المتهورين أو المتطرفين وحزب المتزنين أو المعتدلين فى موقفهم من السلطات الرومانية[٥] . لكن ينبغى أن نلاحظ أن هذه البردية — وإن عُدّت من ضمن مجموعة « أعمال الإسكندريين » التى سيأتى الكلام عنها بعد قليل — تختلف عنها فى أنها ليست محضر جلسة قضائية ، وأنها تصطبغ بصبغة روائية واضحة . ولا مراء فى أن الكاتب الذى أعاد تدوينها فى القرن الثالث لم يشوه الحقائق ويظهر فلاكوس بمظهر المرتشى إلا بقصد الدعاية ضد الحكم الرومانى .

ولعل القارىء لم ينس الإشارة إلى الشيخ (geraios) الذى حاول أن يثنى

---

(١) Musurillo, *op. cit.*, p. 96 f.

(٢) *L.c.; cf.* also *ibid.*, p. 102, n. 57.

(٣) Bell, *J.J.P.* IV, p. 29.

(٤) *In Flacc.* 2 ff.; 8; 18.

(٥) Bell, *l.c.*

ديونيسيوس عن عزمه فى معبد سرابيس . وقد ظل الاعتقاد سائداً فترة أن هذا الشيخ لا بد أن يكون أحد أعضاء مجلس الشيوخ (gerousia) ، الذى كان أحد امتيازات اليهود . وكان هذا الاعتقاد يزيد النص إبهاماً ، ولم يفهم أحد دور اليهودى فى هذا اللقاء بين فلاكوس وقادة الإسكندريين ، بل ارتاب كثيرون فى أنه كان يجوز ليهودى أن يدخل معبد سرابيس[١] . وأخيراً أمدتنا بردية من برديات مكتبة جامعة جيسن بقبس بدد بعض هذا الغموض[٢] . هذه البردية التى ترجع إلى أواخر القرن الثانى أو أوائل القرن الثالث الميلادى مشوهة كغيرها من برديات « أعمال الإسكندريين » ، بل هى أكثر منها تشويهاً إذ لا يكاد يوجد بها سطر واحد كامل . وقد بذل الأستاذ بريمرشتاين — الذى درسها ثم نشرها زميل له بعد وفاته — كل ما فى وسعه لملء ثغراتها العديدة وربط شذراتها المشوهة[٣] . غير أنه — على علمه الغزير — قد أطلق لخياله العنان فى ترميم النص حتى يستخرج منه معنى متصلا ، فكانت النتيجة أن جاءت معظم تفسيراته خاطئة لقيامها على قراءات ليست تخمينية وحسب بل مجافية لقواعد اللغة اليونانية أيضاً . ومع هذا فإن جهده لم يضع كله سدى . فقد أثبت أن البردية تشير إشارة — لا يرتاب فيها أحد — إلى مجلس للشيوخ (gerousia) يتألف من ١٧٣ عضواً من مواطنى الإسكندرية[٤] . وتلك حقيقة لم نكن نعرفها قبل

---

(١) Bell, *ibid.*, p. 28; Musurillo, *op. cit.*, p. 100, n. 32.

(٢) *P. bibl. univ. Giss.* 46: The Gerousia Acta = Musurillo, *Acta Alexandrinorum*, No. III (Text, p. 8; Comment, p. 105).

(٣) A. von Premerstein, *Alexandrinische Geronten vor Kaiser Gaius: Ein neues Bruchstück der sogenannten Alexandrinischen Maertyrer-Akten* (P. bibl. univ. Giss. 46), Mitteilungen aus der Papyrussammlung der Giessener Universitätsbibliothek V Jhg. 1936. Giessen, 1939.

(نشر النص بعد وفاة بريمرشتاين الأستاذ K. Kalbfleisch ، مضيفاً إلى التعليق بعض ملاحظاته ، وأسهم الأستاذ H. Eberhart فى تنقيح قراءاته) .

(٤) *Op. cit.*, pp. 57-61.

نشر هذه الوثيقة ، وهى ترجح أن « الشيخ » الذى شهد اجتماع ديونيسيوس وإسيدوروس مع فلاكوس فى معبد سرابيس كان أحد أعضاء مجلس الشيوخ الإسكندرى[١]. إذن فقد كان لمراطنى الإسكندرية الإغريق — مثلما كان للجالية اليهودية — مجلس شيوخ . وليس من المعروف متى أنشىء هذا المجلس ، وإن كانت الأدلة الطفيفة التى لدينا تشير إلى أنه يرجع إلى أيام البطالمة[٢] وتتزايد الأدلة على قيامه فى الإسكندرية فى صدر عصر الأباطرة[٣]. ولا ينبغى أن يفهم من اسمه أنه كان مجلساً دستورياً يتمتع بسلطة تشريعية ، بل كان — فى أكبر الظن — هيئة اجتماعية ، وثيقة الصلة بمعهد التربية (gymnasium) ، تتمتع عرفاً بنفوذ أدبى كبير فى الشئون البلدية[٤]. لقد كان بمثابة حلقة الاتصال أو أداة التفاهم بين روما وجالية المواطنين الإغريق (politeuma) ، ولعله هو الذى كان يختار السفراء المبعوثين من قبل المدينة إلى الأباطرة لعرض شكاوى المواطنين أو الدفاع عن قضاياهم فى بعض الأحيان ، ويصدر أيضاً القرارات الخاصة بتكريم القياصرة (psêphismata)[٥]. ويرد فى البردية ذكر الرقم ١٨٠٫٠٠٠ مرتين ، ولكننا لا نعرف إن كان يدل على مبلغ من النقود أو على عدد من الأشخاص[٦]. ويرى بريمرشتاين — ويتبعه فى ذلك قلة من الباحثين —

---

(١) Bell, "The Acts of the Alexandrines", *J.J.P.* IV (1950), p. 28.

(٢) Premerstein, *Alexandrinische Geronten vor Kaiser Gaius.* Mitteil. aus d. Papyrssammlung der Giess. Universitätsbibliothek V (1939), p. 57 f.; Jouguet, "Les Assemblées d'Alexandrie à l'époque ptolémaïque", *B.S.A.A.* 37 (1948), pp. 15 ff.; Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs* (1954), p. 108

(٣) Musurillo, *op. cit.*, p. 109.

(٤) *Op cit.*, p. 109 f

(٥) *Op. cit.*, p. 110

(٦) *Op. cit.*, pp. 106 f., 114, n. 15.

أن هذا العدد يمثل مجموعة مواطنى الإسكندرية من الذكور البالغين الذين يتألف منهم ما يشبه الجمعية الشعبية[١] . على أن هذا لا يعدو أن يكون مجرد افتراض ، وما يزال يفتقر إلى قرائن أخرى لتأييده .

وفيما عدا هذه الحقيقة الخاصة بمجلس الشيوخ يتعذر أن يستخلص المرء من البردية شيئاً آخر مؤكداً . ومع هذا فليس من المستبعد أن يكون لفحواها صلة ببردية البهنسا التى سبق الكلام عنها و بأحداث فتنة عام ٣٨[٢] . فهى تتحدث — مثلا — عن رحلة قام بها (سفراء الإسكندريين) إلى أوستيا ، ميناء روما ، حيث اضطروا للبقاء مدة لا تقل عن شهر . وأخيراً جاءهم حاجب تيبريوس وحياهم . فهل معنى هذا أن البردية تتكلم عن مقابلة بين الوفد الإسكندرى والإمبراطور تيبريوس؟ إن هذا أمر جائز ، غير أن التفسير الراجح هو أن الحاجب جاء إلى أوستيا ليبلغ الوفد الإسكندرى خبر وفاة تيبريوس فى ١٦ مارس عام ٣٧ . وقد يعزز ذلك أن البردية لا تلبث أن تشير إلى الإمبراطور جايوس (كاليجولا) الذى نودى به فى ١٨ مارس عام ٣٧ ، ولكنه لم يستطع مقابلة الوفد إلا بعد يوم ٣ أبريل عام ٣٧ ، أى بعد يوم الاحتفال الرسمى بجنازة تيبريوس[٣] . وتعقب هذه الإشارة سلسلة من التحيات ، ثم إشارة إلى رجل يدعى يولايوس ، ومدع (katêgoros) ، وشخص ثالث يدعى أريوس ، لعله من سلالة أريوس (ديديموس) الفيلسوف الرواقى ، ومربى أكتافيانوس (أغسطس) الذي قيل إن الأخير عفا عن

---

(١) *Alexandrinische Geronten vor Kaiser Gaius*, pp. 42–57.

وعن احتمال وجود مثل هذه الجمعية الشعبية (ekklêsia) فى العصر البطلمى ، راجع مقال جوجيه المشار اليه فى هامش ٢ على الصفحة السابقة ، وكذلك كتابه :

Trois Etudes sur l'Hellénisme. Publ. Fac. Lett. Univ. Farouk Ier, I (1944), p. 119, n. 1.

(٢) Bell, "The Acts of the Alexandrines", *J.J.P.* IV (1950), p. 30; *cf.*, however, Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, p. 111.

(٣) Musurillo, *l.c.*

الإسكندريين من أجله[(١)] . وثمة إشارة أخرى طريفة إلى عدد من السنين يبلغ ٦٣٠ ، يفسره الناشر تفسيراً مقنعاً بأنه يمثل عدد السنوات التي انقضت منذ نزول الإغريق ، في شكل حامية مرتزقة وضعها أبسمتيك الثاني ، أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٥٩٥/٥٩٤ — ٥٨٩ ق . م .) ، بالطرف الشمالي الغربي من الدلتا ، أي عند قرية راكوتيس (راقوده) التي شيدت عليها مدينة الإسكندرية ، لتقوم بحراسة الساحل من إغارة قراصنة البحر[(٢)] . ولعلها حجة يسوقها الوفد الإسكندري على قدم استيطان اليونان الإسكندرية أو بقدمهم على ولائهم للملوك والأباطرة منذ ذلك الحين[(٣)] .

ويلي ذلك خطبة يلقيها أرتوس ويشيد فيها بكاليجولا واصفاً إياه بنقد السكون والخير ، وهما صفتان تجافيان ما نألفه من روح عدائية ضد الرومان في مثل هذه البرديات . ويفهم من الوثيقة أيضاً أن محاكمة جرت وأن المدعى ثبت بطلان دعواه فأمر كاليجولا إما بكيه بالنار أو بحرقه حياً[(٤)] . وبعدئذ يقول النص إن كاليجولا كتب رسالة إلى مدينة الإسكندريين ، ويرد فيها اسم إسيدوروس ، الذي يقول إن ثمة أشخاصاً لا ينبغي أن يحصلوا على إكليل التفوق

---

(١) Musurillo, *op. cit.*, p. 115, n. 33.

راجع أيضاً ص ٤٢/٤٣ حاشية ١ أعلاه .

(٢) Premerstein, *Alexandrinische Geronten vor Kaiser Gaius*, Mitteil. aus d. Papyrussamml. d. Giess. Universitätsbibl. V (1939), pp. 40-42.

وعن تاريخ حكم ابسمتيك الثاني ، راجع أيضاً :

F.K. Kienitz, *Die politische Geschichte Aegyptens vom 7. bis zum 4. Jahrhundert vor der Zeitwende*, Berlin (1953), p. 157; *cf.* R.A. Parker, "The Length of the Reign of Amasis", *Mitteil. Deutsch. Arch. Inst. Kairo* XV (1957), pp. 208-214.

(٣) Premerstein, *op. cit.*, p. 42; Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, p. 107 and n. 1.

(٤) عن عقوبة المدعي بالباطل (calumniator) في القانون الروماني ، راجع :

Musurillo, *op. cit.*, pp. 107 and n. 2, 112-114.

أو البسالة . و إذ كان الجزء التالى من البردية (النهر الرابع) يتحدث عن اضطرابات والقبض على أشخاص و إعدامهم ، فمن المحتمل أن يكون للبردية صلة بالتهم التى كالها إسيدوروس لفلاكوس فى روما بعد عزل الأخير من منصبه نتيجة لسوء تصرفه فى فتنة عام ٣٨[١] .

وكان من البديهى ألا يسكت اليهود على ما أصابهم من هوان تجاوز حد الاحتمال فى تلك الفتنــة . و يروى فيلون أن بنى قومه كانوا قد سلموا للوالى قراراً بتهنئة الإمبراطور غداة ارتقائه العرش ، ووعدهم برفعه إليه ولــكنه احتجزه فى مكتبه[٢] . لذلك حرصوا فى هذه المرة على إبلاغ شكواهم لــكاليجولا على يد صديقه أجريبا[٣] . وكان طبيعياً أن تنصب هذه الشكوى على مسلك فلاكوس الذى وقف من النزاع فى أول الأمر مكتوف اليدين حتى سادت الفوضى و بعدئذ انحاز جهاراً إلى جانب الإسكندريين . وأحيط كاليجولا علماً بما حدث فأرسل إلى الإسكندرية قوة عسكرية تحت إمرة قائد سرية يدعى باسّوس . وحرصت القوة على أن تنزل بالميناء ليلاً ثم تسللت إلى داخل المدينة واتجهت أولاً إلى بيت قائد الجيش الرومانى ، وأبلغته أمر القبض على الوالى . و بعدئذ بحثت عن فلاكوس فعرفت أنه مدعو فى وليمة عند أحد أصدقائه فاقتحمت المــكان وألقت القبض عليه و نقلته إلى روما فى أكتوبر من عام ٣٨[٤] . وهناك تعرض فلاكوس

---

(١) Musurillo, *op. cit.*, p. 111.

(٢) *In Flacc.* 97-101.

(٣) *In Flacc.* 103.

(٤) *In Flacc.* 108-116.

ولعل فيلون يقصد بقائد الجيش (stratarchês) قائد الفرقة (praefectus legionis) وهى فرقة ديوطاروس الثانية والعشرون التى كانت ترابط فى نيقوبوليس ، راجع :
J.G.C. Anderson, *C.A.H.* X (1934), p. 743, n.3; *cf.* however, Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, p. 112, n. 111.

للهجوم ، لا من جانب أنصار اليهود وحدهم بل من جانب زعماء الإسكندريين : (ديونيسيوس) ولامبون وإسيدوروس[1] . ذلك أن فلاكوس كان قد أمر فى عام ٣٣ ، أى فى بداية حكمه ، بحل النوادى والجمعيات اليونانية وحرّم إحراز الأسلحة مثيراً بذلك غضب مواطنى الإسكندرية . واحتدمت الخصومة بينه و بين إسيدوروس ، أحد أقطاب المدينة ، والمسيطر على هذه الجميات والنوادى ، الذى ساءه أن لا يعامله الوالى باحترام فشن عليه حملة شعواء . وقدمه فلاكوس للمحاكمة وأرغمه على الخروج من المدينة[2] . ولا نستطيع أن نجزم ، إزاء غموض فيلون فى هذه النقطة ، بأن إسيدوروس قد عاد إلى الإسكندرية قبل اضطرابات عام ٣٨[3] . غير أن بردية أكسيرنخوس (البهنسا) التى سبق شرحها ترجح — إن صح تأريخها — أنه عاد إلى المدينة حيث تم بين الأقطاب الإسكندريين و بين فلاكوس تفاهم مؤقت أو صفقة مريبة على حساب اليهود فى معبد سرابيس . ولم تلبث العلاقة أن ساءت من جديد بين الطرفين و بخاصة بعد غضب كاليجولا على الوالى . وعجل بعض زعماء الإغريق بالسفر إلى روما بعد انتهاء الفتنة للتشهير بفلاكوس وتوجيه تهمة الخيانة ضـــده . وانتهى الأمر بإدانته وقضى كاليجولا بمصادرة أملاكه ونفيه إلى جزيرة أندروس حيث أعدم فيما بعد[4] . وهكذا انتقمت العدالة الإلهية — كما يقول فيلون — من الرجل الذى نكل باليهود ، إذ قبض عليه فى يوم ميمون ، هو يوم « عيد المظال » عند بنى

---

(١) *In Flacc.* 125-126.

(٢) *In Flacc.* 135-139.

وعن هذه النوادى والجمعيات فى ذلك العصر ، انظر :

Robert-Skeat-Nock, "The Gild of Zeus Hypsistos", *Harv. Theol. Rev.* 29 (1936), pp. 39-88; Rostovtzeff, *Social and Economic History of the Hellenistic World*, *Oxford* (1941), vol. III, pp. 1590-1592.

(٣) *Cf.* Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, p. 96.

(٤) *In Flacc.* 147 ff.

إسرائيل[١]. ولكن معابدهم ظلت مغلقة فلم يتمكنوا من ممارسة شعائرهم الدينية.

وفى شتاء عام ٣٨/٣٩[٢] أو ٣٩/٤٠[٣] على الأرجح أوفد اليهود إلى روما سفارة من خمسة أعضاء على رأسهم فيلون. وأوفد الإسكندريون سفارة مثلها على رأسها أبيون[٤]، لكى يعرض كل من الفريقين قضيته على الإمبراطور. وقد وصف لنا فيلون نفسه فى كتاب « السفارة إلى جايوس » ما حدث وصفاً مسهباً شائقاً[٥]. لقد عاد كاليجولا من حملته الفاشلة على الرين فى أول يونيو عام ٤٠، والتقى بالسفارتين فى ساحة مارس خارج أسوار روما وحياها تحية رسمية عابرة ثم انصرف عنهما على عجل واعداً بتحديد موعد للمقابلة فيما بعد. ولم يلبث أن غادر العاصمة إلى مصيفه فى كمپانيا. وتبعته السفارتان إلى بلدة پوتيولى على أمل أن يدعوها للمثول بين يديه فى أية لحظة. و إذا صدق أن اليهود حاولوا الاتصال بكاليجولا عن طريق هليكون، أحد المقربين إليه، فإن الإسكندريين قد تمكنوا من شراء ذمة هذا الرجل حتى لا يسبقهم خصومهم إلى مقابلة الإمبراطور. وشاء حظ اليهود التعس أن يتلقى كاليجولا وقتئذ نبأ تدمير الجالية اليهودية لمعبد أقامه له الإغريق فى بلدة يامنيا على ساحل فلسطين، فتثور ثائرته و يبعث إلى پترونيوس حاكم

---

(١) *In Flacc.* 116; 191.

(٢) Bell, *Juden und Griechen im Römischen Alexandreia*: Beihefte zum "Alten Orient", Heft 9. Leipzig (1926), p. 23; *idem*, "Anti-Semitism in Alexandria", *J.R.S.* 31 (1941), p. 8, n. 11; Musurillo, *The Acts of the Papan Martyrs* (1954), p. 111, n. 4.

(٣) J.P.V.D. Balsdon, "Notes concerning the Principate of Gaius", *J.R.S.* 24 (1934), p. 13 f.; Abdullatif A. Aly, "The Conflict between Caligula and Judaea", *Ann. Fac. Arts*, Ibrahim Univ. II (1953), p. 117 (8).

(٤) Balsdon, *The Emperor Gaius*. Oxford (1934), p. 135.
وإن كان المؤرخ يوسف (Ant. Iud. XVIII, 257) يقول فقط إن أبيون كان أحد أعضاء السفارة. ولا شك فى أن إسيدوروس كان أحد السفراء (Philo, *Legat.* 355) راجع:
Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, p. xlix, n. 4.

(٥) *Legatio ad Gaium*, 349-373.

سوريا ، يأمره بصنع تمثال له وتنصيبه فى معبد اليهود الكبير بأورشليم[١] .

وفى آخر أغسطس من عام ٤٠ عاد الإمبراطور إلى روما . وعبثاً حاولت السفارتان أن تحظيا بمقابلته ، إذ انشغل عنهما بأمور تافهة . وأخيراً مثلت السفارتان بين يديه بعد عناء ولأى فى أوائل أكتوبر من نفس العام . وقد تضمنت مطالب اليهود — فيما يبدو — حرية العبادة وفقاً للشريعة الموسوية وتحديد وضع جاليتهم فى المدينة أو بالأحرى اكتساب حقوق المواطنة السكندرية . لكنهم صدموا عندما ابتدرهم كاليجولا بأنهم قوم كفرة لايؤمنون بألوهيته التى آمن بها غيرهم من الناس . وابتهج الإسكندريون عند سماع هذا التقريع واغتنموا الفرصة لإيغار صدره واستثارته عليهم . قال رئيسهم مخاطباً الإمبراطور : إن كرهك لليهود قد يزداد إذا علمت أن البشر جميعاً ما عداهم قدموا لك القرابين . فأجاب اليهود بأنهم نحروا الثيران من أجل الإمبراطور : مرة عند اعتلائه العرش ، ومرة أخرى بعد شفائه من مرضه ، ومرة ثالثة ابتهالاً بانتصاره فى حملته على الرين . وعندئذ قال كاليجولا : قد يكون صحيحاً أنكم قدمتم القرابين من أجلى ، ولكنكم قدمتوها لإله آخر ، فما فائدة ذلك ؟ إنكم لم تقدموا القرابين لشخصى[٢] . ثم انصرف ليتفقد أحد المبانى الجديدة ، وتبعه السفراء وهم يلهثون وراءه من طابق إلى طابق ومن حجرة إلى حجرة . وفجأة استدار موجهاً السؤال لليهود : لماذا لاتأكلون لحم الخنزير ؟ وضج الحاضرون بالضحك وارتبك اليهود ووجموا . وأخيراً قطع سفير يهودى حبل السكوت قائلاً : إن هذا مرجعه اختلاف العادات ، فكثير من الناس لا يأكلون ، مثلا ، لحم الضأن . وعندئذ أجاب الإمبراطور ساخراً : لهم كل العذر فهو طعام غير شهى . ولم يفز اليهود منه بطائل ، إذ صرفهم قائلاً : يبدو لى أن من تبلغ بهم الغباوة إلى الحد الذى لايؤمنون معه

(١) *Cf.* Abdullatif A. Aly, *ibid.*, pp. 108 ff.

(٢) Philo, *Legat.* 355-6.

بألوهيتى ، هم أجدر بالرثاء منه بالعقاب . ولم ينقذ بنى إسرائيل من غضب كاليجولا المخبول سوى اغتياله فى ٢٤ يناير عام ٤١ .

٢ — رسالة كلوديوس إلى مدينة الإسكندريين :

وخلفه على العرش الإمبراطور كلوديوس (٤١ — ٥٤) الذى انتهج سياسة أكثر تسامحاً إزاء اليهود . ويروى المؤرخ يوسف أنه أصدر منشورين أقر فى أحدهما ليهود الإسكندرية الحقوق التى كانوا يتمتعون بها قبل أيام كاليجولا ، ومنح فى الآخر الحقوق نفسها لجالياتهم فى جميع أنحاء الإمبراطورية[1] . وجاء أجريبا نفسه الذى نال الحظوة لدى الإمبراطور الجديد ، إلى الإسكندرية وقرأ المنشور الأول على الناس فى اجتماع رسمى . وتراءى ليهود المدينة أن الفرصة قد حانت لتسوية حسابهم مع الإغريق . ولعلهم بادروا خلال فترة الهدوء التى أعقبت مذابح عام ٣٨ إلى جمع السلاح من كل مكان تأهباً للمعركة ، وسرعان ما نشب تطاحن جديد روى لنا يوسف أخباره[2] ، ويؤيد روايته ما ورد فى رسالة كلوديوس إلى الإسكندريين ، التى سيأتى الكلام عنها بعد قليل . ويلوح أن اليهود كانوا البادئين بالعدوان فى هذه المرة ، وقد شد من أزرهم بعض بنى جلدتهم الذين تسللوا إلى مصر من فلسطين . ولما احتدم النزاع واستفحل الخطر أمر كلوديوس نائبه فى مصر أن يقمع الفتنة بكل الوسائل .

ولم تكد الأحوال تهدأ حتى بادر كل من الفريقين بإرسال وفد إلى

(١) *Ant. Iud.* XIX, 280-286 = Charlesworth, *Documents illustrating the reigns of Claudius and Nero.* Cambridge (1939), Nos. 14-15.

وعن صحة هذين المنشورين ، أنظر الآن :

I.D. Amusin, article in Russian cited in *J.J.P.*, IV (1950), p. 350
E. Bickerman, 'Une question d'authenticité: Les privilèges juifs", *Ann. Inst. Philol. et Hist. Or. et Slav.* XII, Mélanges Isidore Lévy, 1953 (Bruxelles 1955), pp. 11-34.

(٢) *Ant. Iud.* XIX, 278 ff.

الإمبراطور لتهنئته بالجلوس على العرش ، والاعتذار عن الاضطرابات الأخيرة ، والتقدم ببعض المطالب . كما التمس منه الوفد الإسكندرى أن يقبل قراراً (psêphisma) أصدره مواطنو المدينة ، ربما عن طريق مجلس شيوخهم (gerousia) لتكريمه وتأكيد الولاء له . على أن أهم مطلب تقدم به الإسكندريون كان إنشاء مجلس شورى بالمدينة . وأما اليهود فقد طالبوا بحقوق المواطنة الكاملة بها . وفى الحق أن الجنسية السكندرية كانت ميزة كبيرة تكسب حاملها مكانة اجتماعية مرموقة وتعفيه من ضريبة الرأس ومن الخدمات الإلزامية ، وتمهد له طريق الحصول على الجنسية الرومانية . لهذا ألح اليهود فى المطالبة بها . غير أنهم تطلعوا إلى أزيد مما كان ينبغى لهم . ذلك أن المدينة اليونانية (polis) كانت مدينة وثنية تؤمن بأكثر من إله واحد ، وكان الدين فيها مرتبطاً بالحياة الاجتماعية والسياسية ارتباطاً وثيقاً ، فكان خليقاً باليهود إما أن ينأوا بأنفسهم عن هذه الحياة أو أن يتخلوا عن دعواهم بأنهم عبدة الإله الحق الأوحد . لقد كان مطلب اليهود يظهرهم بمظهر الطامع فى الظفر بنعيم الدنيوين وينطوى على الأثرة واشتهاء ما للغير والزج بأنفسهم فى حياة طالما تظاهروا باستهجان مقوماتها الروحية والمادية . وقد أقحم الشبان اليهود أنفسهم دون وجه حق فى مباريات معاهد التربية وفى منظمات الشباب اليونانية التى كانت مقصورة على المواطنين الإسكندريين أو من هم فى سبيلهم إلى أن يصبحوا مواطنين . فعلوا ذلك على الرغم من تحذير شيوخهم المتزمتين من أن الاشتراك فى هذه المباريات — التى قد يتجرد فيها اللاعبون من ثيابهم — رجس ينبغى اجتنابه . ويرجح كثير من الباحثين الآن أن اليهود كانوا منقسمين فلم يرسلوا إلى الإمبراطور بعثة واحدة كما فعل الإسكندريون بل أرسلوا بعثتين ، إحداهما تمثل الطائفة المحافظة ، والأخرى تمثل الطائفة المتحررة التى تأثرت بالثقافة وأساليب الحياة اليونانية[1]

---

(١) H. Willrich, "Zum Brief des Kaisers Claudius an die Alexan-

وقد شاء القدر أن يصلنا رد الإمبراطور كلوديوس على مطالب الإسكندريين واليهود في بردية وجدت عام ١٩٢٠ أو ١٩٢١ في قرية فيلادلفيا ، وهي جرزة الحالية بشمال شرق الفيوم ، وآلت إلى المتحف البريطاني ، ثم نشرها الأستاذ آيدرس بل في عام ١٩٢٤[1] . وقد أحدثت هذه البردية التي تعرف عادة باسم « رسالة كلوديوس إلى الإسكندريين » دوياً كبيراً في الأوساط العلمية ، وقلما ظفرت وثيقة أخرى بما ظفرت به هذه البردية من اهتمام بين الباحثين[2] . ومن

---

driner", *Hermes* 60 (1925), p. 486; H. Stuart Jones, "Claudius and the Jewish Question at Alexandria", *J.R.S.* 16 (1926), p. 21 f.; Bell, *Juden und Griechen im Römischen Alexandreia* (1926), p. 26.; *idem*, "Anti-Semitism in Alexandria", *J.R.S.* 31 (1941), p. 10; S. Davis, *Race-Relations in Ancient Egypt* (1951), p. 108.

(١) *P. Lond.* 1912 = H. Idris Bell, *Jews and Christians in Egypt: The Jewish Troubles in Alexandria and the Athanasian Controversy*, London (1924), pp. 1-37. : (المقدمة والنص والترجمة والتعليق)

Hunt-Edgar, *Select Papyri* II (1934), No. 212 : (النص مع الترجمة)

Charleworth, *Documents illustrating the Reigns of Claudius and Nero*. Cambridge (1939), Nos. 1-2. : (النص منقح بغير ترجمة)

David van Groningen, *Papyrological Primer*[2], Leyden (1946), No. 1. : (النص من سطر ١٤ — ١٠٤ دون الترجمة)

Lewis-Reinhold, *Roman Civilization* II, New York (1955), pp. 366-369 : (الترجمة دون النص)

(٢) لا يتسع المقام لذكر أسماء جميع البحوث والمقالات التي كتبت حول هذه الرسالة ، وأكتفي بإحالة القارىء إلى المراجع الآتية حيث يجد إشارات إلى مقالات كثيرة تعالج النقط الرئيسية في الرسالة :

— H.I. Bell, *Juden und Griechen im Römischen Alexandreia*, Beihefte zum "Alten Orient", Heft 9. Leipzig (1926), p. 49 f.

— H. Stuart Jones, "Claudius and the Jewish Question at Alexandria", *J.R.S.* 16 (1926), pp. 17-35.

— S. Lösch, *Epistula Claudiana: Der neuentdeckte Brief des Kaisers Claudius v. J. 41 n. Chr., und das Urchristentum*, Rottenburg (1930).

— A. Momigliano, *L'opera dell'imperatore Claudio*. 1932 (Eng. trans. by Hogarth: *Claudius: The Emperor and his Achievement*. Oxford. 1934).

— V.M. Scramuzza, *The Emperor Claudius*. Harv. Univ. Press, Cambridge (1940), pp. 245-257 (notes to chap. IV).

— P. Jouguet, "Les Assemblées d'Alexandrie à l'époque ptolémaïque", *B.S.A.A.* 37 (1948), pp. 3 ff. (offprint).

المرجح أن الرسالة حررت أولاً باللغة اللاتينية ثم تولى المترجمون فى الديوان الإمبراطورى نقلها إلى اليونانية . وأرسلت الصورة اليونانية إلى الإسكندرية حيث قرئت على الأهالى . ثم رأى الوالى أن ينشرها فى ١٤ من شهر هاتور (الموافق ١٠ من نوفمبر) عام ٤١ حتى يطلع عليها جميع السكان[1] . ويستهل الإمبراطور رسالته بالتحية :

« تيبريوس كلوديوس قيصر أغسطس جرمانيكوس الامبراطور ، الكاهن الأعظم ، حامل السلطة التريبونية ، المرشح قنصلا ، الى مدينة الاسكندريين سلاما » (٢) .

ثم يقول إنه تلقى من السفراء قرار الإسكندريين بتكريمه ويعقب على ذلك قائلا :

« انهم أوضحوا لى ما تكنونه من شعور طيب نحونا ، وهو شعور ادخرته لكم فى نفسى — كما تعلمون جيدا — منذ زمن طويل ، فانتم بطبيعتكم تجلون الأباطرة ، كما أعلم من أدلة كثيرة ، ولا سيما من اهتمامكم الشديد بأسرتى ، وهو اهتمام متبادل ، لعل أعظم شاهد عليه — ولأذكر أقرب مثل ضاربا صفحا عن الامثلة الاخرى — هو أخى جرمانيكوس قيصر الذى خاطبكم بلغة واضحة صريحة » (٣)

- H.A. Musurillo, S.J., *The Acts of the Pagan Martyrs:* (Acta Alexandrinorum). Oxford (1954), p. 85, n. 2.
— V.A. Tcherikover-A. Fuks, *Corpus Papyrorum Judaicarum*, vol. I. Harv. Univ. Press, Cambridge (1957), pp. 69, 73 ff.
— I.D. Amusin, "Ad P. Lond. 1912", *J.J.P.* IX-X (1955-56), pp. 169-209. (بحث مستفيض باللغة الروسية)

(١) *P. Jews* = *P. Lond.* 1912, 7-13 (= C P Jud. II, 153)

(٢) *P. Lond.* 1912, 14-16.

(٣) *P. Lond.* 1912, 21-27.
وعن زيارة جرمانيكوس لمصر ، راجع ما تقدم فى ص ٧٠ . والمقصود أن جرمانيكوس خاطب الإسكندريين شخصياً بلغتهم اليونانية بينما كتب كلوديوس إليهم باللاتينية التى كان لابد من ترجمتها إلى اليونانية لكى يفهموها .

وينقسم متن الرسالة إلى ثلاثة أقسام ، يتناول الأول منهما مقترحات الإسكندريين لتكريم الإمبراطور . ويقبل كلوديوس بعضها ويرفض البعض الآخر . فهو يقبل ، مثلا ، أن يكون يوم ميلاده عيداً رسمياً ، وأن تقام له ولأفراد أسرته تماثيل فى عدة أماكن . ومن بين تماثيل من الذهب يوافق على أن يقام أحدها — وهو ما يرمز إلى فكرة السلام الذى وطد أغسطس وكلوديوس دعائمه[١] — فى روما ، وإن كان قد أراد أن يرفضه حتى لا يثير استهجان الناس لولا أن ألح عليه صديقه الأعز بالبيللوس[٢] ، وأن يحمل الآخر فى مواكب أعياد الميلاد والجلوس الإمبراطورية فى مدينة الإسكندرية[٣] . ويستجيب لرغبة المواطنين فى إنشاء قبيلة تحمل اسمه ، وغرس أيك (غياض) مقدسة وفقاً للعادة المتبعة فى مصر ولا يعترض على أن تنصب له تماثيل يمتطى فيها صهوة جواده ، وأخرى تمثله واقفاً فى عجلات حربية تجر كل منها أربعة جياد وتقوم عند مداخل القطر : أحدها عند تابوسيريس (أبوصير) فى الصحراء الليبية ، والآخر عند فاروس (رأس التين) فى الإسكندرية ، والثالث عند بيلوزيون (الفرما) فى مصر[٤] . ولكن كلوديوس يستنكر تعيين كاهن أعلى وتشييد معابد له ، لأنه لا يريد أن يسىء إلى شعور معاصريه « إذ أن **المعابد وما شاكلها هى — فى رأيه — امتيازات خاصة تمنح للآلهة وحدهم فى كل زمان** »[٥]

---

(١) *Pax Augusta Claudiana.*

(٢) هو فيما يحتمل تيبريوس كلوديوس بالبيللوس (أو باربيللوس كما ورد فى الرسالة) ، والى مصر فى عصر نيرون (٥٥ — ٥٩) ، ولو أن الخلاف ما يزال قائما حول شخصيته ؛ راجع :

Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, pp. 130-131; Abdullatif A. Aly, "The Letter of Claudius to the City of the Alexandrians", *Bull. Fac. Arts, Cairo University*, XVIII, pt. 2, 1956 (1959), p. 10 & n. 4.

(٣) *Dies natalis et dies imperii.*

(٤) لاحظ التمييز بين ليبيا والاسكندرية ومصر ؛ راجع ص ٥٥ وهامش ٢ أعلاه .

(٥) *P. Lond.* 1912, 28-51.

وعن هذا القسم من الرسالة ، وهو خاص بتأليه الأباطرة أو ما يعرف بعبادة الإمبراطور ، أنظر الآن :

Abdullatif A. Aly, "The Letter of Claudius to the City of the Alexandrians", *Bull. Fac. Arts, Cairo Univ.*, vol. XVIII, pt. 2, 1956 (1959), pp. 1-27.

ويتناول القسم الثانى مطالب الاسكندريين التى يوافق كلوديوس عليها ما عدا المطلب الأخير . فهو يؤكد حق الجنسية السكندرية لجميع من استوفوا شروط الاندماج فى منظمات الشباب (ephêboi) [1] حتى وقت اعتلائه العرش مع تمتعهم بكل الامتيازات والإعفاءات التى تتمتع بها المدينة ما عدا من اندسوا خلسة فى هذه المنظمات مع أنهم ينحدرون عن آباء أرقاء . ويرغب الإمبراطور فى أن يختار المشرفون (neokoroi) على معبد أغسطس المؤله بالإسكندرية عن طريق الاقتراع على نحو ما هو متبع فى حالة المشرفين على معبد أغسطس المؤله بكانوب . ويقر للإسكندريين بالمثل جميع الامتيازات التى منحها إياهم من سبقوه من الأباطرة والملوك والولاة وعلى نحو ما أقرها أغسطس المؤله نفسه . ويحبذ كل التحبيذ اقتراح الإسكندريين بأن تحدد مدة المناصب البلدية بثلاث سنوات « لأن حكامكم سوف يسلكون أثناء فترة توليهم مناصبهم مسلكاً حذراً خشية أن يتعرضوا للحساب على إساءة استعمال السلطة » [2] .

وأما المطلب الأخير فيروغ منه كلوديوس ويرجىء البت فيه حتى يتحقق من فائدته :

« وأما عن مجلس الشورى ، فليس فى وسعى أن أقول [3] ما هى

(١) فى سن الرابعة عشرة .

(٢) P. Lond. 1912, 52-66.

(٣) أى لا أعرف . وفى رأى آخر أن الجملة اليونانية ouk echô legein (P. Lond. 1912, 67) تعنى « ليس لدى ما أقوله » ، وهو معنى آخر ، يترتب عليه اختلاف كبير فى تفسير هذا الجزء الهام من الرسالة ، ومن أنصار الرأى الأول :

H.I. Bell, *Jews and Christians* (1924), p. 10 ; Idem, « The Problem of the Alexandrian Senate », *Aegyptus* 12 (1932), pp. 173-184 ; P. Viereck, « Noch einmal die *Boule* von Alexandreia », *Aegyptus* 12 (1932), p. 215 ; A.H.M. Jones, *Cities of the Eastern Roman Provinces* (1937), p. 471, n. 7 ; P. Jouguet, *Journ. de Sav.* (Jan.-Févr. 1925), p. 13 ; *le tour est évasif* ; cf. however, *idem*, « Les Assemblées d'Alexandrie à l'époque ptolémaïque », *B.S.A.A.* 37 (1948), pp. 6, 10, n. 22 (offprint).

ومن أنصار الرأى الثانى :

M.I. Rostovtzeff *apud* Bell, *Jews and Christians*, p. 9 f. ; J.G. Milne, *A History of Egypt under Roman Rule*, 3rd ed. (1924), p. 283 ; M. Engers, *Klio* XX (1925), p. 172 ; W. Otto, *Philol. Wochenschr.* (Jan. 1926), col. 9-10 ; H.A. Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs* (1954), p. 87, n. 2.

السنة التي درجتم عليها في عهد الملوك القدماء . ولكنكم تعلمون جيداً أنه لم يكن لديكم مجلس في عهد من سبقوني من الأباطرة . وحيث ان هذا مقترح جديد يثار الآن للمرة الأولى ، ولا يتضح ما اذا كان سيعود بالفائدة على المدينة وحكومتي ، فقد كتبت الى أميليوس وكتوس (الوالي) ليبحث الموضوع ويخبرني عما اذا كان من الضروري انشاؤه أصلا ، وكيف ستكون طريقة انشائه اذا تبين أنه ضروري »[(١)] .

والقسم الثالث والأخير من رسالة كلوديوس أكثر من سابقيه طرافة إن لم يكن أكثر أهمية لأنه يتناول النزاع بين اليهود ومواطني الإسكندرية الإغريق[(٢)] وقد ثار حول تفسيره — مثلما ثار حول سابقه — جدل شديد وتشعبت فيه الآراء وبخاصة حول موضوع الجنسية السكندرية وهل كان اليهود يتمتعون بها كالإغريق من المواطنين . ولا يعنينا الآن أن نخوض في وجهات النظر المتضاربة ، تاركين للقارىء أن يستخلص لنفسه ما يشاء من رد الإمبراطور :

« وأما عن الفريق المسئول عن الشغب والنزاع — وان شئتم الصدق — عن الحرب مع اليهود ، فعلى الرغم من أن سفراءكم ، ولا سيما ديونيسيوس بن ثيون ، قد دافعوا (عن قضيتكم) دفاعاً مجيداً عندما ووجهوا (بخصومكم) ، فإنني لم اشأ أن أقوم بتحقيق دقيق ، مختزناً في صدري سخطاً دفيناً على من يبدأون (العدوان) من جديد . وانبئكم بصراحة أنه ان لم تكفوا عن تبادل العداوة المستحكمة القاتلة فسوف أضطر الى أن أظهر لكم كيف يصير العاهل الشفوق عندما يتملكه غضب هو محق فيه . ولهذا فانني ، من ناحية ، أناشد الاسكندريين مرة أخرى ، أن يبدوا روح

---

(١) P. Lond. 66-72.

وعن هذه الفقرة من الرسالة الخاصة بمجلس الشورى (Boule) أنظر الآن :

L.A. Yehya, "On the Question of the Alexandrian Senate in Ptolemaic Egypt", *Bull. Fac. Arts, Alex Univ.*, vol. XII (1958), pp. 78-82.

(٢) ليس أدل على ذلك من أن البردية كلها نعرف أحيانا باسم بردية اليهود *P. Jews*

التسامح والود لليهود الذين يعيشون في المدينة نفسها منذ زمن طويل ، وألا ينتهكوا شعائر عبادتهم الدينية ، بل أن يدعوهم يمارسون عاداتهم التي مارسوها أيام أغسطس المؤله ، والتي أقررتها أنا كذلك بعد أن سمعت أقوال الطرفين . ومن ناحية أخرى فاني آمر اليهود صراحة ألا يضيعوا جهدهم في السعي وراء (حقوق) أكثر مما حصلوا عليه من قبل ، وألا يرسلوا بعد اليوم سفارتين كأنهم يعيشون في مدينتين ، فذلك أمر لم يحدث قط من قبل ، وألا يقحموا أنفسهم في مباريات معاهد التربية أو منظمات الشباب (١) ، بل أن ينتفعوا بما في حوزتهم (من امتيازات) ، ويتمتعوا في مدينة ليست مدينتهم بوفرة من الخيرات الجمة ، وعليهم ألا يستقدموا أو يستدعوا يهودا ممن يفدون (الى المدينة) من سوريا أو من مصر عن طريق النهر (٢) ، مثيرين في نفسي مزيدا من الريبة . ولئن لم يمتثلوا لأنتقمن منهم بكل الوسائل بوصفهم قوما ينشرون الوباء الشامل (٣) في أنحاء المعمورة . فان كف كل منكما عن هذه الاعمال ورضي أن يعيش في تسامح وود مع الآخر ، فسوف أولي من جانبي اهتماما للمدينة التي تربطها بنا صداقة تقليدية قديمة »(٤) .

---

(١) هناك خلاف حول قراءة وتفسير معنى الفعل في هذه الجملة (P. Lond. 1912, 92) فالأستاذان « هنت وإدجار » يقرآن (epispaiein) بمعنى يقحمون أنفسهم (في المباريات) — وهو المعنى الذي أخذنا به أعلاه ، بينما يرى الأستاذ « بل » أن القراءة الصحيحة هي (epispairein) بمعنى يتنافسون (في المباريات) ويقر الأستاذ « رادين » القراءة الأخيرة ولكنه يفسرها بمعني يسخرون من المباريات (Class. Phil. XX, 1925, p. 370) راجع :

S. David, *Race-Relations in Ancient Egypt*, London (1951), p. 106 f.

(٢) هكذا دليل آخر على التفرقة بين مصر والإسكندرية ، راجع ص ٥٥ وهامش ٢ فيما تقدم .

(٣) أي « يثيرون الفتنة » .

(٤) *P. Lond.* 1912, 73-104.

ينعكس أثر هذا النزاع الذي نشب بين اليهود والإغريق قبل نوفمبر من عام ٤١ في بردية تحمل تاريخ ٤ أغسطس عام ٤١ وتعتبر من أقدم الوثائق التي تشير إلى العداوة نحو اليهود والتحذير من الوقوع في براثن مرابيهم :

هذه الرسالة المتزنة التي تنم عن فطنة ولباقة دبلوماسية ، والتي أنصفت كلوديوس من المؤرخين وغيرت رأيهم فيه ، لم ترض اليهود لأنها قضت على أملهم في الحصول على مزيد من الامتيازات ؛ ولم ترض كذلك الإسكندريين لأنها أقرت لليهود حقوقهم وامتيازاتهم القديمة . وأدهى من ذلك أنها أرجأت البت في طلب إنشاء مجلس الشورى ، وهو إرجاء لم يقصد به سوى التخلص من الحرج والتهرب من مطلب لم يكن يتفق ومصلحة الإمبراطور . وقد ظلت الإسكندرية بغير مجلس شورى حتى عام ٢٠٠ . وأيقنت الحكومة الرومانية بعد هذه الاضطرابات الدامية أن الإسكندرية هي منبع الخطر الحقيقي في البلاد ، فنقلت في عصر كاليجولا[١] أو في أوائل عصر كلوديوس[٢] فرقة قورينة الثالثة (leg. III Cyr.)

=

B.G.U. 1079 = *W. Chrest.* 60 = *Olsson, Papyrusbriefe* 30 = Milligan, *Selections* 15 = Hunt-Edgar, *Sel. Pap.* I, 107.

حيث يكتب سرابيون إلى هيراكليديس المقيم بالإسكندرية رسالة فيها نقط غامضة ، ولكن بعضها (سطور ١٣ — ٢٦) واضح كل الوضوح :

قل له ... إن دانيناكنيرون ، لا تخرب بيوتنا ، توسل اليه كل يوم ، فربما يشفق عليك فان لم يفعل ، فلتاخذ حذرك أنت ايضا من اليهود كما يفعل سائر الناس .

(١) — P.M. Meyer, *Das Heerwesen der Ptolemäer und Römer in Aegypten*. Leipzig (1900), p. 152 (قبل عام ٣٨ م)

— Ritterling, *RE* XII, pt. 2 (1925), *s.v.* "legio", col. 1507, 1792 (السنة الأولى من حكم كاليجولا) .

(٢) — J. Lesquier, *L'Armée romaine d'Egypte d'Auguste à Dioclétien*. I.F.A.O. Mem. XLI. Le Caire (1918), p. 126 f.

— Abdullatif A. Aly, "A Latin Inscription from Nicopolis", *Ann.* Fac. *Art. Ain Shams Univ.* III (1955), p. 132,

(أوائل حكم كلوديوس في عام ٤٢) .

— *Cf.* Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, p. 112, n. 111.

— H.M.D. Parker, *The Roman Legions*, Oxford (1928), p. 194.

أوائل عصر كلوديوس) .

التى كانت ترابط — على ما يرجح — عند قفط أو طيبة ، نقلتها إلى الإسكندرية حيث رابطت مع فرقة ديوطاروس الثانية والعشرين (leg. XXII Deiot.) فى معسكر نيقوبولس بضاحية المدينة[1].

٣ — أعمال الإسكندريين وأدب الشهداء :

ولعل هذا الإجراء العسكرى ، إلى جانب تحذير كلوديوس الشديد ، قد ردع الفريقين وكبح جماحهما إلى حين . ولكن لم تمض سنوات قليلة حتى تجددت الاضطرابات فى الإسكندرية . ولم تصلنا أخبار هذه الاضطرابات عن طريق المؤرخين ، بل وصلتنا فى شكل برديات ، هى فى الغالب قصاصات ، تؤلف مجموعة طريفة يسميها العلماء الآن « أعمال الإسكندريين » (Acta Alexandrinorum) أو « أعمال الشهداء الوثنيين» نظراً لما بينها وبين « أعمال الشهداء المسيحيين » من تشابه . ولعل أوجه الشبه تنحصر فى كتابة كل منهما فى شكل محاضر الجلسات القضائية[2] ، وتبادل الألفاظ القارصة بين المتهمين والإمبراطور ، و إلقاء الشهداء خطباً طويلة وتجسيم عيوب الحكم الرومانى . بيد أن هذا الشبه ظاهرى أكثر منه حقيقى[3]

(١) J.G.C. Anderson, *C.A.H.* X (1934), p. 743.

(٢) ظهرت « أعمال الشهداء المسيحيين » فى صورتين أدبيتين إحداهما هى صورة الرسائل (كاستشهاد پوليكاربوس الأزميرى فى عام ١٥٥) والأخرى صورة محاضر الجلسات القضائية (كأعمال شهداء سكيلِّى الذين حوكموا أمام مجلس البروقنصل ساتورنينوس فى قرطاجه فى أوائل أغسطس ، عام ١٨٠) والثانية هى التى راجت فيما بعد ؛ أنظر :

H. Lietzmann, "The Christian Church in the West", *C.A.H.* XII (1939), p. 518.

وعن أعمال شهداء سكيلِّى ، راجع :

هـ . ا . بل : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (ترجمة عبد اللطيف أحمد على) القاهرة (١٩٦٨) ص ١٢٩ ، ١٣٠ هامش

(٣) Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, (1954), p. 262.

وقد كتبت من وجهة نظر الإسكندريين و بالأخرى من وجهة نظر فريق معين أو طبقة اجتماعية بينهم . ومع أنها لا تعد من قبيل القصص التاريخية أو الروايات الخرافية ، فإنها لا تخلو من الطابع الخيالى الروائى . وقد أحرزت رواجاً واسعاً بين الإغريق فى الإسكندرية وفى أنحاء مصر الأخرى لأنها كانت تنفس عما فى صدورهم من حقد على الرومان و بغض لصنائعهم من اليهود . ولما كان كثير من هذه الأعمال يدور حول النزاع الذى احتدم أواره لفترة طويلة بين الإسكندريين واليهود ، فإنها توصف أحياناً « بالأدب المناهض لليهودية » . غير أن « أعمال الإسكندريين » كانت دعاية موجهة ضد الرومان بالذات ، ولم تكن مناهضة لليهود بقدر ما كانت مناهضة للرومان ، ولم يستخدم اليهود فيها إلا كوسيلة أو تكأة لمهاجمة الحكم الرومانى . لقد كانت بمثابة الأدب القومى الذى يهدف إلى إذكاء الشعور الوطنى فى الإسكندرية وغيرها من مواطن الإغريق فى مصر ، وتمجيد بطولة زعماء المدينة ، و إلهاب روح المعارضة ضد الحكم الأجنبى .

لكن ينبغى قبل أن نعرض نماذج لهذا الأدب الشعبى أن نذكر شيئاً عن أصله وتاريخه والهدف منه ، وهى مسائل قام حولها جدل بين الدارسين ، ومايزال هذا الجدل قائماً حتى اليوم . فلنتناول أولا مسألة تأليف هذه النصوص الأدبية أو شبه الأدبية . ففريق من الباحثين يرى أنها كتبت فى أوقات مختلفة بقلم مؤلفين مختلفين . وفريق آخر ، يتزعمه الأستاذ بريمرشتاين ، يرى أنها كلها تمثل كتاباً أدبياً واحداً وضعه مؤلف واحد فى مستهل القرن الثالث الميلادى ، ربما فى عصر الإمبراطور كراكلا ، عند ما بلغ عداء الإسكندرية للرومان ذروته وينبغى أن أنبه مرة أخرى إلى أن كثيراً من هذه النصوص مكتوب فى شكل محاضر جلسات قضائية حتى أن العلامة فيلكن يعتقد أنها ربما نقلت — بطريقة

أو بأخرى — عن مذكرات الإمبراطور (commentarii Principis) ثم ترجمت إلى اليونانية وأقحمت فيها عناصر خيالية لتخدم غرض الدعاية السياسية . ولا يقبل بريمرشتاين هذا التفسير ويرى أن هذه النصوص لا يمكن أن تكون صوراً محرّفة من المحاضر الرسمية ، ويذهب إلى أن كتابتها على هذا النحو لا تعدو أن تكون حيلة من الحيل الأدبية القصد منها إلباس هذه النصوص ثوب الحقيقة وإيهام القارىء بأنها صحيحة غير زائفة . غير أن رأى فيلكن — كما سنرى بعد قليل — هو الأقرب إلى الصواب لأن من يقرأ هذه البرديات لا يستطيع أن ينكر صلتها بمضابط الجلسات القضائية ولن يساوره الشك فى أن هذه المضابط كانت أحد المصادر التى استقى منها كتّاب هذه النصوص مادتهم . ويتضح من دراسة مجموعة « أعمال الإسكندريين » ومقارنة بعض نصوصها بالبعض الآخر أنها تختلف فيما بينهما اختلافاً بيناً سواء من ناحية الأسلوب أم الإنشاء ، ومن ثم لا يمكن أن تكون من تأليف كاتب واحد . فكل قطعة منها تتميز عن الأخرى بخواص لغوية معينة . ففى إحداها تغلب الأسئلة البلاغية ، وفى أخرى يغلب الأسلوب الروائى ، وفى ثالثة يظهر واضحاً أثر اللغة اللاتينية ، بينما تتكرر فى رابعة كلمة بعينها فى أول الجمل . وفى خامسة نلمس أسلوب المحاضر الرسمية ، وفى سادسة يغلب استعمال أداة العطف المألوفة ، وفى سابعة يغلب حذف أدوات الوصل . وأوجه الشبه طفيفة بين هذه القطع من ناحية الأسلوب اللهم إلا بصورة عامة كالتعقيد البلاغى فى بعضها أو المسحة الأدبية الواضحة فى بعضها الآخر . على أن القواعد النحوية فيها بسيطة وأسلوبها واضح لا التواء فيه وهو قريب الشبه من أسلوب المحاضر العادية فى الوثائق البردية .

ولعل ما أوحى إلى بريمرشتاين بنظرية المؤلف الواحد هو أن معظم برديات

« أعمال الإسكندريين » ترجع إلى نهاية القرن الثانى أو بداية القرن الثالث . على أنه يسوق تأييداً لنظريته حججاً أخرى متعلقة بالتفاصيل ، كتكرار نفس الأفكار أو الموضوعات، وتشابه طرائق التعبير وتصوير الأباطرة فى صورة تقليدية ثابتة ، الأمر الذى يوحى بأن المؤلف يكتب فى زمن بعيد عن زمن الأحداث نفسها . لكن يرد عليه بأن معظم هذه البرديات ، وإن كانت قد أرخت بعام ٢٠٠ على وجه التقريب ، فإن تأريخها استناداً إلى الخط وحده أمر يحتمل قدراً من الخطأ ، ولا بد من الافتراض بأنها كتبت فيما بين عامى ١٨٠ ، ٢٢٠ أى خلال فترة لا يقل مداها عن أربعين عاماً . وقد سلم بريمرشتاين نفسه بأن إحدى هذه البرديات ، وهى النسخة المطولة من « أعمال پاولوس وأنطونينوس » قد كتبت فى النصف الأول من القرن الثانى ، أى بعد مدة غير طويلة من وقوع الحادثة نفسها . وفضلا عن ذلك فإن اكتشاف بعض برديات من «أعمال الإسكندريين» فى السنوات الأخيرة تنتمى إلى القرن الأول أو مستهل القرن الثانى كفيل وحده بتجريح نظرية بريمرشتاين القائلة بأن كل هذه البرديات كتبت فى أوائل القرن الثالث . وإذا كان نص معين للدعاية من عصر هدريان قد أعيد نشره بعد تحويره فى نهاية القرن الثانى ، فليس ثمة ما يمنع من أن تكون نصوص أقدم منه على شاكلته قد عولجت بالطريقة عينها . وأما عن التشابه بين هذه النصوص فى الأسلوب أو طريقة التعبير أو الموضوع ، فإن ذلك لا يعدو أن يكون توافقاً طبيعياً بين نصوص من صنف أدبى واحد ، نابعة كلها من مصدر واحد أو بالأحرى من طبقة اجتماعية معينة ، وتستهدف غرضاً واحداً هو الدعاية .

وفى رأى الأستاذ « بل » أنه حتى إذا سلمنا جدلاً بأن معظم هذه البرديات يرجع إلى أوائل القرن الثالث ، ففى وسعنا أن نسوق تفسيرين أقرب إلى الواقع من تفسير بريمرشتاين . ذلك أن اشتداد عداوة الإسكندرية للحكم الرومانى ،

و بخاصة للامبراطور كراكلا فى أوائل القرن الثالث قد زاد من رواج هذا النوع من منشورات الدعاية بين الجماهير . وليس من المستبعد أن بعض المنشورات القديمة ظلت متداولة بين مواطنى الإسكندرية . أليس من الطبيعى إذن أن يؤدى ازدياد الطلب عليها إذ ذاك إلى بعثها من جديد ؟ ومن الجائز أيضاً أن كاتباً واحداً خطرت له فكرة جمع ونشر ما أمكنه العثور عليه من الكتابات الخاصة بمحاكمة زعماء الإسكندرية أمام الأباطرة بعد إدخال بعض تعديلات عليها سواء بالإضافة أو الحذف حسبما تراءى له . لعل ذلك يفسر ما بين قطع « أعمال الإسكندريين » من تباين شديد فى الأسلوب والإنشاء تفسيراً أفضل من نظرية العالم الألمانى القائلة بأنها كلها من كتاب واحد بقلم كاتب واحد[١] .

وأما عن نشأة وتطور هذا النوع من الأدب الذى يصور زعماء الإسكندرية فى صورة أبطال يتحدون القوة الغاشمة مضحين بأنفسهم فى سبيل رفعة مدينتهم ، والذى يوصف أحياناً « بأدب الشهداء » ، فحسبى أن أقول إن كلمة « شهيد » (martus = martyr) هى صفة أطلقت فى فجر المسيحية على كل من كان يلقى حتفه أيام الاضطهادات فى سبيل عقيدته الدينية . لكن بمضى الزمن اتسع مفهوم الكلمة فأصبحت تطلق أيضاً على كل من كان يضحى بنفسه دفاعاً عن فكرة أو مبدأ أو مثل أعلى . وفى وسعنا أن نرجع « بفكرة الموت » أو « الإصرار على الموت » فى الأدب اليونانى إلى إلياذة هوميروس ، وموضوع غضب أخيليوس (أخيل) . ونلمس نفس النزعة فى مأساة أنتيجونى لسوفوكليس . غير أن أفلاطون الذى عنى بمشكلة خلود الروح هو أول من نادى عنده فكرة الارتباط بين الفيلسوف والموت : « فالفلاسفة الحقيقيون هم من يروضون أنفسهم على

---

(١) H.I. Bell, "The Acts of the Alexandrines", *J.J.P.* IV (1950), p. 24 f.

الموت »[١]. ولعل أصدق مثل على ذلك قصة سقراط وإيثاره الموت على التخلى عن مبادئه[٢]. وقد كان لموت سقراط الذى أكتبه أفلاطون لمحة مثالية تأثير قوى على تطور فكرة الموت بوصفها مثلا أعلى البطولة[٣]. ومنذ القرن الرابع ق. م. كانت هذه الفكرة المثالية موضوعاً للجدل بين فلاسفة أثينا[٤]. يقول أرسطو فى إحدى فقرات كتابه « الأخلاق عند نيقوماخوس » إن الرجل الفاضل هو من يجود بنفسه عند الضرورة من أجل أحبائه ومدينته[٥]. وتطورت الفكرة عند الرواقيين إلى عقيدة الاستهانة بالموت[٦]. كما سمع اليونان عن التضحية بالنفس عند فلاسفة الهنود العراة (Gymnosophistai) الذين التقى بهم الإسكندر الأكبر. ولم يأت العصر الهلينستى حتى كانت قد جمعت فى الكتب كثير من القصص التى تروى مصارع الفلاسفة والأبطال (Teleutai). وكان من أبرزها قصة مصرع كاليستنيس على يد الإسكندر[٧]. ولما جاء العصر المسيحى أعاد آباء الكنيسة رواية هذه القصص. وقد راجت عند اليهود فى العصر الهلينستى قصص كثيرة عن الاستشهاد وإيثار الموت على أكل لحم الخنزير وبخاصة فى زمن اضطهادات الملك السليوكى، أنطيوخوس الرابع، الملقب بالظاهر (١٧٦ — ١٦٣ ق. م.)[٨]. فإذا عدنا إلى عالم الرومان الوثنى وجدناه حافلاً بحكايات عديدة

---

(١) *Phaedo* 67E

(٢) *Apol.* 29C; *Crit.* 52C & *passim*

(٣) *Cf.* A.D. Nock, *Conversion*, Oxford (1933), pp. 193-201.

(٤) F. Cumont, *Lux Perpetua*. Paris (1949), pp. 334 ff.

(٥) *Eth. Nic.* IX, 8, 9, 1169A.

(٦) *Cf.* E. Benz, *Das Todesproblem in der stoischen Philosophie* (*Tübing. Beitr.* VII) 1929.

(٧) Diog. Laert, V, 4.

(٨) *Macc.* II, 6, 18-31; 7, 2-39, *cf.* also *Macc.* IV, *passim*; H.A. Fischel, "Martyrs and Prophet", *Jew. Quart. Rev.* 37 (1947) pp. 265 ff., 363 ff.

عن مقاومة الرواقيين لطغيان بعض الأباطرة . وتزخر رسائل بلينيوس الأصغر وإيبكتيتوس وفيلو ستراتوس الأكبر بمثل هذه الحكايات . ولا ريب فى أن هذه الفكرة ، فكرة الموت والترحيب به دفاعاً عن مبدأ أو عقيدة وما نسج حولها من قصص أو أساطير ، كانت معروفة بين الأوساط المثقفة فى الإسكندرية . وليس من المستبعد أن تكون « أعمال الإسكندريين » أو « أعمال الشهداء الوثنيين » قد تأثرت بها . غير أن هذا الأثر كان بعيداً أو غير مباشر .

وقد حاول العلامة رستوفتزف[١] أن يثبت تأثر « أعمال الإسكندريين » بتعاليم فلسفة الكلبيين التى شهدت الإسكندرية كثيراً من أتباعها وهم يهيمون فى شوارعها على وجوههم من أمثال پريجرينوس المشهور باسم پروتيوس ، ممن كانوا يتسولون فى ثياب رثة وهيئة زرية ويأتون بأفعال منكرة ، أو يحضون الناس ، مثلما فعل ديوجينيس ، على انتهاج أسلوب معين فى الحياة ، يتخلون فيه عن بذخ الدنيا ، ويهبون أنفسهم للشظف والعناء ، ويفترشون الأرض ، ولا يشربون سوى الماء ، ويعزفون عن الزواج ويزهدون فى الأبناء وينكرون الوطن . ويبشرون بين الناس قائلين لمن يلتقون به «ينبغى أن تكون جريئاً وقحاً ، وأن تهين الناس جميعاً أمراء وسوقة ؛ ولتكن فظاً غليظ القلب ، ولا تدع التواضع أو الشفقة أو الاعتدال يتسرب إلى نفسك . ولا تتحرج عن أن تفعل فى العلانية ما قد يتحرج سواك عن فعله فى السر . . » . ونحن نعرف أن ديوجينيس هذا كان ينادى بالابتعاد عن الحياة السياسية ، وكان فى رأيه أن نبل الأصل وذيوع الصيت ، وما إلى ذلك إنما هى زخارف أو أقنعة زائفة تخفى تحتها روح الخسة واللؤم . وقد سئل مرة ما هو وطنه ، فأجاب بأن العالم وطن له (kosmopolitês) ، وبغض النظر عن

(١) Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Roman Empire*, 2nd ed. Oxford (1957), vol. I, pp. 117, 393; vol. II, p. 587, n. 10; p. 590, n. 33.

استهتاره الدينى و إباحيته الأخلاقية ، فقد سعى جاهداً إلى تحرير الناس مما أسماه أوهام الدين وخزعبلاته ، وقد ضرب المثل بازدرائه للآلهة ، ولم يسلم سرابيس من سليط لسانه . فكيف تتفق روح هذه الفلسفة و « أعمال الإسكندريين » التى تؤكد الاعتزاز بنبل الأصل ، وحب الوطن ، والتقوى للآلهة ؟ إن نظرية رستوفتزف عن تأثر أدب الشهداء بالفلسفة الكلبية لا يمكن ، على وجاهتها ، أن تكون صحيحة . ولا بد من أن نبحث عن مؤثرات أخرى تأثرت بها كتابة « أعمال الإسكندريين » .

إن هذه المؤثرات المباشرة يمكن حصرها فى ثلاث : التمثيليات الهزلية المعاصرة ، ومحاضر الجلسات القضائية ، والقصة اليونانية الطويلة ، وإن كانت « أعمال الشهداء الوثنيين » تتميز عنها جميعاً بخصائص فريدة . وقد راجت التمثيليات الهزلية (mimoi) فى العصر الهلينستى رواجاً كبيراً[1] . ونلحظ أثرها واضحاً فى تلك

---

(١) وبخاصة الشاعر هيرونداس (Herondas) . وعن سبق الإسكندريين فى هذا النوع من التمثيل الهزلى (mimos) ، أنظر :

Cicero, *Pro Rab. Post.* 35: Audiebamus Alexandriam: nunc cognoscimus: illinc omnes praestigiae, illinc, inquam, omnes fallaciae, omnia denique ab eis mimorum argumenta nata sunt: Nec mihi longius quicquam est, iudices, quam videre hominum voltus:

لقد كنا نسمع (من قبل) عن الاسكندرية ، والآن نحن نعرفها . انهـا منبع كل الخدع — أقول — انها مصدر كل الحيل ، وأخيرا فان سـكانها هم الذين ابتكروا كل موضـوعات التمثيليات الهزلية . وليس هناك شيء أتوق اليه — حضرات المحلفين — أكثر من أن أرى وجوه قومها .

وعن شغف الإسكندريين بهذا النوع من التمثيل دون تقدير للعواقب التى قد تنجم عنه ، راجع :
Dio Chrysost. *Or.* XXXII, 86, 89, & *passim*.

وعن طبيعته وانتشاره فى مصر وبعض نماذج منه ، أنظر :

— T. Grassi, "Musica, Mimica e Danza secondo i documenti papiracei greco-egizi", *Studi della Scuola Papirologica* III. Milan (1920), pp. 111-135.
— G. Manteuffel, *De Opusculis Graecis Aegypti e Papyris, Ostracis Lapidibusque Collectis*. Travaux de la Société des Sciences et des Lettres de Varsovie, No. 12 (Warsaw, 1930), pp. 41 ff.; *Idem*, "Zwei Bemerkungen zu den griechischen Mimen aus Aegypten", *Hermes* 65 (1930), pp. 123-128.

المسرحيات الفكاهية التى وضعت بتحريض زعيم مثل إسيدوروس للسخرية من الوالى فلاكوس عندما احتدمت بينهما الخصومة بسبب إغلاق نوادى المدينة وجمعياتها فى عام ٣٣/٣٤[١] ؛ وفى الموكب الملكى الهزلى الذى نظمه الإسكندريون للاستهزاء بأجريبــا اليهودى فى عام ٣٨[٢] ؛ والتمثيليات التى عرضت فى الإسكندرية للتفكه بمصائب اليهود إبان محنتهم[٣] ؛ والأراجيز التى نظمت والمسرحية الهزلية التى مثلت فى الاسكندرية للتعريض بلوكواس ملك اليهود الذى تزعم ثورتهم الكبرى فى برقة ومصر وقبرص (١١٥ — ١١٧)[٤] . وتوحى بعض فقرات فى « أعمال الشهداء الوثنيين » بأنها قد تأثرت بفن التمثيل المسرحى ، مثال ذلك : مخاطبة أبيانوس لجثة الميت فى روما ، ومواساة هليودوروس له ، وخطاب أبيانوس المؤثر بعد أن اتشح بأوسمة منصبه الرفيع كمدير لمعهد التربية ، ومخاطبة الموت لپاولوس ، والحوار العنيف بين الإمبراطور كلوديوس و إسيدوروس ، و بين تراجان وهرمايسكوس ، و بين كومودوس وأبيانوس ؛ وأخيراً تجسيم عيوب الأباطرة وتصويرهم فى صورة ساخرة كرجال خاضعين لزوجاتهم أو طغاة أجلاف لا يعرفون كيف يحكمون العالم الذى فتحوه ، والتنديد بافتقارهم إلى الحزم ، وتخوفهم من الشعب ، واستعانتهم فى آخر الأمر بالجلاد للتخلص من خصومهم . وعلى نقيض ذلك فإن « أعمال الشهداء الوثنيين » تنوه باستقامة خلق الإسكندريين وكريم أرومتهم وثقافتهم وشجاعتهم وتحديهم قوى الظلم واستهانتهم بالتعذيب .

— H. Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*. Oxford (1939), p. 88 f. n. 34.
— D.L. Page, *Greek Literary Papyri*. Poetry, vol. I (Loeb Classical Library) 1942, Nos. 73-79.
— A. Swiderek, "Le mime grec en Egypte", *Eos* 47 (1954), pp. 63-74.

(١) *Cf.* Philo, *in Flacc.* 139.

(٢) Philo, *in Flacc.* 34. وراجع ص ٨٧ أيضاً .

(٣) Philo, *in Flacc.* 72.

(٤) انظر الفصل الخامس فيما بعد .

إن جميع هذه العناصر المسرحية أو شبه المسرحية قد تعزى أصلاً إلى جمهور القراء في معاهد التربية أو النوادي أو الجمعيات السكندرية . غير أنه لا ينبغي أن نؤكد أثر التمثيليات الهزلية في « أعمال الإسكندريين » . فثمة فرق واضح بينهما وهو افتقار الثانية إلى عنصر الفكاهة والمزاح ، واتسامها بروح الجد التي نألفها في المآسي اليونانية .

والمصدر الآخر الذي اعتمدت عليه « أعمال الإسكندريين » وتأثرت به هو محاضر الجلسات القضائية . غير أن أثر محاضر الجلسات الرسمية لا يظهر فيها كلها أو يظهر فيها لكن بدرجات متفاوتة . فبعضها مكتوب فعلاً في شكل محضر قضائي مما يدل على أن مؤلفه اقتبس مادته من صورة وثيقة رسمية وصلت إليه بطريقة أو بأخرى . وبعضها الآخر يمثل محضراً رسمياً محرفاً أو ملفقاً قد أقحمت فيه عناصر روائية أو خيالية ليخدم غرض الدعاية . وبينما يصطبغ نص بصبغة بلاغية واضحة توحي بأنه مستمد من خطبة المحامي الذي تولى الدفاع في الجلسة الحقيقية ، يستقي نص آخر مادته جزئياً أو بصورة غير مباشرة من وثيقة مكتوبة ، ويستند ثالث إلى رواية شفوية ، ورابع أشبه ما يكون بالقصة الخيالية البحتة[1] .

والمصدر الثالث الذي يحتمل أن تكون « أعمال الإسكندريين » قد أخذت عنه بعض موضوعاتها الأدبية هو القصة الطويلة . وقد كان طبيعياً أن يتأثر كتاب هذه « الأعمال » ومن أعادوا تدوينها بصنف من الأدب الترويحي كان رائجاً في العصر اليوناني المتأخر والعصر الروماني . غير أن هذا الأثر كان سطحياً غير عميق .

---

(١) تتضمن قصاصة بردية جديدة (P. Mich. Inv. 4800) ، تنتمي فيما يبدو إلى « أعمال الإسكندريين » ، خليطاً من الأساليب المختلفة (أسلوب محاضر الجلسات القضائية ، والأسلوب البلاغي ، والأسلوب الروائي) ، أنظر :
Musurillo, "A New Fragment of the *Acta Alexandrinorum*", *J.R.S.* 47 (1957), p. 185.

ولا يتبين من المقارنة سوى تشابه طفيف بين أسلوب « أعمال الشهداء » وأسلوب بعض كتاب القصة من أمثال خاريتون وهليودوروس . ولعل ما بينهما من تشابه لا يظهر فى الأساليب بقدر ما يظهر فى بعض ملامح عامة عاطفية كتقوى الآلهة وحب الوطن والاعتزاز بالأصل اليونانى .

وفى رأى القس موسيريللو الذى عكف على دراسة هذا الموضوع مدة طويلة أن من الجائز أن تكون « أعمال الإسكندريين » قد نبعت أيضاً من مصدر آخر[1] . فقد استرعى انتباهه عند قراءة نصوصها تكرار أسماء ينتمى أصحابها إلى طبقة معينة ، هى طبقة الجيمنازيوم أى معهد التربية الرياضى الثقافى ، أسماء كإسيدوروس ولامبون وثيون وديونيسيوس وأپيانوس ، الذين شغلوا كلهم فى الإسكندرية أرفع المناصب البلدية ، وربما كانوا أعضاء فى مجلس شيوخها (gerousia) ، وغالباً ما كانوا يمثلون المدينة كرؤساء أو أعضاء فى السفارات الموفدة منها إلى الأباطرة . وفى « أعمال أپيانوس » ، التى وقعت حوادثها فى أواخر القرن الثانى إشارة إلى ثلاثة من هؤلاء الشهداء الذين لقوا حتفهم قبل منتصف القرن الأول ، وهى إشارة لها مغزاها كان القصد منها استثارة القراء الذين كانوا يعرفون هذه الأسماء عن ظهر قلب وربما كانوا من سلالتهم . لقد كانت « النوادى » ، و « معهد التربية » ، وربما أيضاً « مجلس الشيوخ » هى مركز الحياة الاجتماعية للطبقة اليونانية الميسورة . وقد رأينا كيف كان رجل مثل إسيدوروس يسيطر على هـذه النوادى فى أيامه وكيف كانت تأتمر بأمره . وقد استخدم نفوذه ، على الرغم من منشور الوالى بإلغاء النوادى ، لتسخير بعض الكتاب فى تأليف أراجيز ماجنة أو تمثيليات هزلية لاسخرية من فلاكوس . ولن نجانب الصواب كثيراً إذا قلنا إن هـذه النوادى والجمعيات كانت أشد الهيئات تنديداً

---

(١) Herbert A. Musurillo, S.J., *The Acts of the Pagan Martyrs* (Acta Alexandrinorum), Oxford (1954), p. 273 f.

بالحكم الرومانى لأنها كانت تمثل آخر مظاهر للحياة الهلينية القديمة ، تلك الحياة التى ازدهرت فى ظل المدن الحرة .

من الأجدى إذن أن نبحث عن مصدر « أعمال الإسكندريين » بين أسر أقطاب من أمثال إسيدوروس ولاميون وثيون وديونيسيوس ومحيط أصدقائهم أو على الأقل بين أعضاء طبقتهم ونواديهم . وقد كان فى وسع هؤلاء الأقطاب ، بفضل تربيتهم اليونانية المقترنة بالاعتزاز بالأصل اليونانى ، و بفضل نفوذهم القوى ، وربما أيضاً بفضل ثرائهم ، أن يوجهوا النوادى ، مثلما فعل إسيدوروس ، وجهة معينة ، ويستأجروا بعض الكتاب لتأليف هذه المقطوعات الأدبية بعد تزويدهم بتقارير السفارات أو صور محاضر الجلسات الرسمية . ولعل هذه المقطوعات لم توضع إلا للتداول الخاص والتوزيع فى دائرة محدودة أى لتلاوتها فى المنازل أو النوادى المحلية أو معاهد التربية . وفى هذه الحالة كانت نصوصها التى كتبت فى أوقات متباينة خلال القرنين الأول والثانى تتعرض للتحريف من وقت لآخر سواء بالحذف أو بالإضافة أو بالتغيير بأقلام عدة كتاب متفاوتين فى الكفاية الأدبية . ولا مراء فى أنه كانت توجد منها نسخ مختلفة خلال القرنين الأول والثانى وأنها كانت توزع بين الأصدقاء أو الأقارب المقيمين فى جهات مصر الأخرى . وأخيراً فإنه من الجائز أن بعض هذه المقطوعات قد نسخت من جديد بإيعاز أفراد من هذه الطبقة ، طبقة الجيمنازيوم ، فى مستهل القرن الثالث ، أى فى عصر كراكلا ، عند ما اشتدت عداوة الإسكندريين للحكم الرومانى .

وفى وسعنا أن نحصر الموضوعات الأدبية التى تميزت بها « أعمال الإسكندريين » تحت رؤوس ثلاث : الوطنية والاستشهاد والدعاية ضد الرومان . وتتلخص عناصر الموضوع الأول فى التنويه بنبل أصل زعماء الإسكندرية ، وتقواهم للآلهة ، وحبهم لمدينتهم ، وجرأتهم فى الحق ، واعتزازهم بمناصبهم البلدية ؛ وتتمثل عناصر الثانى

فى الإشارة إلى الموت أو القبر أو جثث الموتى بطريقة مؤثرة محزنة و إلى تعذيب الإسكندريين وترحيبهم بالموت وتحديهم الأباطرة ، و إن كان الزعماء يظهرون عادة الاحترام لهم إلى أن يستثيروهم فتنطلق ألسنتهم عندئذ بالسباب ؛ وأما عناصر الموضوع الثالث فأبرزها التنديد بظلم الرومان ، وضعة أصل أباطرتهم وجشعهم ، والطعن فى ذمة ولاتهم ، وجبن شعبهم ، وفساد حكومتهم ، والتدليل على ذلك بتدخل امرأة كأفلوطينا ، زوجة تراجان ، للتأثير على سير العدالة ، و بضعف الأباطرة وترددهم وتأجيلهم الأحكام أو تبديلها فجأة ، ورضوخهم لمتملقيهم وخضوعهم لزوجاتهم . ويقع تحت رأس هذا الموضوع ، موضوع الدعاية ضد الرومان ، تنديد أعمال الشهداء بوقوع الأباطرة تحت تأثير اليهود ، وامتلاء مجلسهم القضائى بهم أو تحيزهم لهم ، و بالتالى مهاجمة اليهود أنفسهم والتعريض بربهم يهوه أو الزراية بملكهم أجريبا ، ونعتهم بأنهم كفرة ، خاضعون كالمصريين لضريبة الرأس ، يسيئون معاملة الإسكندريين ، و يندسون خلسة دون وجه حق فى منظمات الشباب اليونانية .

وفى الحق أن هـذا الموضوع الأدبى الأخير ، موضوع الدعاية ضد الرومان واليهود ، هو الذى يميز « أعمال الإسكندريين » و يجعلها صنفاً من الأدب مستقلاً عن القصة الطويلة والتمثيلية الهزلية ومحاضر الجلسات القضائية [1] . ومع أن عنصر الكراهيـة لليهود ليس أبرز العناصر — ولا أقول ، كما يذهب البعض ، عنصراً ثانوياً — فإن « أعمال الإسكندريين » تعكس حالة التوتر التى كانت قائمة بينهم و بين مواطنى المدينة واحتدمت احتداماً شديداً فى بعض الأحيان . غير أن شعور الكراهية نحو الرومان ، الذى لا نظير له فى أى مؤلفات أدبية

(١) Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, p. 257.

يونانية أخرى ، هو ما حدا بالباحثين إلى وصف هذه « الأعمال » بأنها أعنف دعاية قامت ضد الرومان . ففى هذا الموضوع بالذات نلمس بسهولة التحوير الذى أحدثه قلم الكاتب فى النص عند تدوينه من جديد ، وإن كان من العسير التحقق من المرحلة التى ظهرت فيها عناصر هذا الموضوع لأول مرة . وبعض هذه العناصر حقيقية وإن كان كاتب الجلسة الرومانى قد أسقطها من المحضر الرسمى . وبعضها الآخر كان موجوداً على الأقل منذ أن دونت « أعمال الإسكندريين » المختلفة للمرة الأولى ؛ ولعل جانباً منها يعزى إلى التعديل الذى طرأ عليها فيما بعد عند إعادة تدوينها .

ويبقى سؤال هام : ما هو الهدف الأقصى من « أعمال الإسكندريين » ؟ إن هذه القطع البردية — كما رأينا — لا تمثل كتاباً واحداً صنفه أو ألفه كاتب واحد . ويتميز كل نص فيها بطابع خاص نظراً لتأثره بمؤثرات مختلفة عن النصوص الأخرى . ومن ثم قد يبدو من المستحيل أن تكون كلها قد كتبت لتحقيق هدف معين واحد . ومن الواضح أن موضوع الدعاية ضد الرومان يحتل فى معظم هذه القطع — وإن لم يكن فيها جميعاً — مكاناً أبرز من أى موضوع آخر ؛ غير أن البعض قد يجادلون فى أن مختلف هذه الجذاذات الحافلة بالفضائح والشائعات والطعون كانت كلها موجهة نحو غاية محددة .

إنه لأمر عسير فى أغلب الأحيان أن نحدد الغرض من العمل الأدبى : متى تكون الدعاية هى الغرض الأساسى من كتابته ، ومتى يكون هـذا الغرض هو الترويح ، وإن يكن مصطبغاً بصبغة سياسية واضحة . فهذه المشكلات لا توجد لحلها قواعد . ولا سبيل إلى الفصل فيها إلا بالاحتكام إلى الطابع العام الذى يتميز به العمل الأدبى ، وتحديد البواعث السياسية أو الاجتماعية التى دفعت إلى كتابته . إن الحقائق المتصلة «بأعمال الاسكندريين» ليست موفورة فحسب بل هى معروفة

للجميع . ومع هذا فقد توصل الباحثون فى هذه « الأعمال » إلى نتائج متضاربة على الرغم من استنادهم إلى معلومات ليس بينها أى تضارب ! لعل ذلك يرجع — كما يعتقد موسيريللو — إلى أن بعضهم عالجوها معالجة غير موضوعية . ففى رأيه أن ما تجمع لدينا من معلومات يحملنـا على التسليم بأمرين : أحدهما هو أن معظم برديات « أعمال الاسكندريين » هى « محاضر محوّرة » تستند أصلاً ، استناداً مباشراً أو غير مباشر ، إلى صور مضابط الجلسات القضائية أو صور «تقارير السفارات » . ومن ثم نجانب الصواب إذا وصفنا « شكل المحضر » فيها بأنه مجرد حيلة أدبية ؛ والآخر هو أن دراسة الموضوعات الأدبيـة التى ترد بكثرة فى هذه « الأعمال » تشير إلى أن المقصود منها كان تشجيع اتجاهات طبقة أو جماعة معينة ، وهى اتجاهات مناهضة للرومان واليهود ، وإذكاء روح الاعتزاز بأمجاد الماضى المنصرم بين أفرادها . ولا مراء فى أن إغريق الإسكندرية وأنحاء مصر الأخرى قد تقمصوا شخصيات أبطالهم الذين مجدوهم كضحايا لقوا حتفهم أثنـاء محاولتهم الاحتفاظ بنقاء حضارتهم الهلينية ووقايتها من عدوان حضارة (رومانية) متبربرة[(١)]

غير أن نظرة فاحصة إلى « أعمال الاسكندريين » قد تطلعنا على نتيجة أخرى بالغة الأهمية ، وهى أن الجماعة أو الطبقة الاجتماعية التى روجت هذه « المنشورات » كانت نفسها منقسمة إلى فريقين أو حزبين ، حزب متطرف فى عداوته للرومان يتزعمه رجال على شاكلة إسيدوروس وهرمايسكوس وأپيانوس ، وحزب محافظ معتدل فى شعوره نحوهم ، إن لم يكن يميل إليهم ، و يتزعمه رجال ممن اكتسبوا الجنسية الرومانية مثـل جايوس يوليوس ديونيسيوس وتيبريوس كلوديوس بالبيللوس . ومع أن هذين الحزبين ، حزب اليسار وحزب اليمين — ان جاز هذا التعبير — قد جاهر أحدهما الآخر بالعداوة فى بعض الأحيان ، فقد

(١) *Op. cit.*, p. 275.

كانا متفقين على شيء واحد ، هو حب الاسكندرية . و يتضح تعاون الفريقين من ذلك النشاط المشترك فى إرسال مختلف السفارات الدبلوماسية إلى الأباطرة ، وفى السياسة الموحدة إزاء يهود المدينة . وكان يعنى كلاً منهما أن يحتفظ بمحاضر جلسات المحاكمات أو تقارير السفارات و إعادة كتابتها بما يتفق وأغراضه . لكن مع هذا الفارق : وهو أن الحزب المتطرف فى عداوته للرومان هو الذى كان يروج القطع المقذعة الهجاء الزاخرة بالحقد والبغضاء ، على حين أن الحزب المعتدل أو الموالى للرومان هو الذى كان يروج القطع الأقل عداوة والتى تتناول مسائل عامة تهم الإغريق كافة .

لكن على الرغم من اختلاف هذين الحزبين فى موقفهما من روما ، فإنهما لم يختلفا على الأقل فى مسألة هامة . فمن المعروف أنه لم تصلنا أى بردية من برديات « أعمال الاسكندريين » اليقينية تشير إلى وقائع حدثت بعد عصر الإمبراطور كومودوس (١٨٠ — ١٩٢) . هذه الحقيقة تحملنا على الاعتقاد أن أحد الأسباب السياسية الرئيسية للسخط على الرومان ، والتى ساعدت على ترويج هذه المنشورات يتمثل فى رفضهم المستمر قيام مجلس شورى بالاسكندرية . و بدهى أن الاسكندريين ممن لم يكتسبوا الجنسية الرومانية كانوا أشد من سواهم إحساساً بالمرارة ، غير أن الحزبين ، حزب اليسار وحزب اليمين ، كانا يجدان هنا — فى المطالبة بمجلس الشورى — نقطة للالتقاء والتعاون . و بعد أن منح الإمبراطور سبتميوس سفيروس الاسكندرية (وجميع عواصم المديريات) الحق فى إنشاء مجلس للشورى عام ٢٠٠ ، فترت حركة المقاومة ضد روما بالتدريج ، وتضاءلت تبعاً لذلك قوة الحزب المناوىء للرومان . غير أن شغف الناس بقصة نضال الاسكندرية من أجل الاستقلال السياسى ظل على شدته ، ويؤيد ذلك أن فصولاً من هذه القصة كانت ما تزال تدون للاحتفاظ بها فى المكتبات الخاصة فى جهات مصر الأخرى

حتى بعد أن انتفى الغرض الأصلى منها[١].

وأخيراً : « إن أعمال الاسكندريين » كما يقول الأستاذ بل « لا يمكن أن تعد من بين الدرر الأدبية . غير أنها ذات قيمة حقيقية . فهى ، من ناحية ، تمدنا بنماذج من صنف من الأدب ليس ممثلا سوى تمثيل هزيل بين مخلفات الأدب اليونانى . وهى ليست من تأليف كتاب متفقهين فى اللغة ، أو أدباء نوابغ يكتبون للقلة المثقفة ، ولا هى من إنشاء خطباء يخطبون فى الكثرة من الناس ولو أنهم يستخدمون للاقناع كل الحيل البلاغية . إنما هى مؤلفات تمثل الأدب الشعبى فى ذلك العصر ، وضعت لتحقيق هدف عابر ، ووجهت للقارىء العادى ؛ وهى مكتوبة بأسلوب حى شائق ، ولكنها لم تصقل سوى صقل أدبى طفيف . وفى الحق أنها ذات طابع صحفى . وهى من ناحية أخرى تطلعنا على وجهه نظر جديدة لم نألفها من قبل . فقد ألفنا أن ننظر إلى تاريخ الإمبراطورية الرومانية بأعين الرومان أنفسهم . لكن « أعمال الشهداء الوثنيين » تتيح لنا أن ننظر إلى هذا التاريخ من زاوية مضادة : من جانب قوم كانوا يكنون العداوة والسخط الدفين على روما التى لم تكن فى نظرهم تلك الدولة العظيمة التى نشرت النظام والمدنية وحفظت للأجيال التالية تراث الثقافة اليونانية والعلم اليونانى ، بل كانت فاتحاً أجنبياً مستبداً . ومن ناحية ثالثة ، أن «أعمال الاسكندريين» وإن كان غرضها الأساسى الدعاية ضد الرومان أكثر منه الدعاية ضد اليهود ، إلا أنها تمدنا بمعلومات مفيدة عن الحركة المعادية لليهود فى العالم القديم ، وبأمثلة طريفة مشابهة لمظاهر تلك الحركة فى العصور التالية . وأخيراً ، إذا كانت هذه « الأعمال » ليست سوى قصاصات ردية مهلهلة فى أغلب الأحيان . فهى تتيح على الأقل للباحثين النابغين ذوى الخيال الخصب فرصاً لتجربة مواهبهم مما لا تتيحه حتى أعقد ألغاز

---

(١) *Cf.* Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, pp. 275-277.

السكلمات المتقاطعة »[١]

ونحن لا نعرف على وجه التحقيق الأسباب المباشرة التى أدت إلى إثارة الفتنة من جديد بين اليهود والإسكندريين والتى دعت إلى محاكمة بعض زعماء الإغريق فى عام ثار حول تحديده نقاش طويل ، فمن قائل بأنه عام ٤١ ومن قائل بأنه عام ٥٣ ، وإن كنا أميل إلى الأخذ بالتاريخ الأخير[٢] . وعلى أى حال فلسنا بحاجة إلى البحث عن أسباب للفتنة لأن العداوة كانت قد تأصلت بين الإغريق واليهود الذين اتهموا بأنهم أداة طيعة فى يد السلطات الرومانية فى ذلك الوقت . وتحدثنا البردية المعروفة باسم « أعمال إسيدوروس »[٣] بأن السفراء استدعوا للمثول أمام المجلس الإمبراطورى (Consilium) فى يوم ٥ من شهر بشنس الموافق ٣٠ أبريل ولكن الإمبراطور أرجأ سماع قضيتهم إلى اليوم التالى . وفى يوم ٦ بشنس الموافق أول مايو عام ٥٣ — على ما يرجح — استمع كلوديوس قيصر إلى دعوى إسيدوروس مدير معهد التربية (gymnasiarchos) بمدينة الإسكندرية ضد الملك أجريبا فى حدائق ستاتيليوس (أو لوكللوس ؟)[٤] . وكان يجلس إلى جانبه عشرون عضواً من مجلس الشيوخ وستة عشر رجلا من ذوى الرتبة القنصلية . وشهد الجلسة أيضاً بعض سيدات القصر . وكان إسيدوروس هو البادىء بالكلام :

— اسيدوروس : مولاى قيصر ! اتوسل اليك أن تصغى الى حديثى عن الويلات التى نزلت بموطنى .

— كلوديوس قيصر : ساخصص لك هذا اليوم .

---

(١) Bell, "The Acts of the Alexandrines", *J.J.P.* IV (1950), p. 42.

(٢) عن هذه المشكلة راجع :

— Bell, *ibid.*, p. 33 f.

— Musurillo, *op. cit.*, pp. 118-124.

(٣) *W. Chrest.* 14 + *P. Lond.* Inv. 2785 + *P. Berol.* 8877 = *Acta Isidori* = Musurillo, *Acta Alexandrinorum* IV (Text, pp. 18-26; Comment, pp. 117-140).

(٤) أو لوليوس ، راجع Musurillo, *op. cit.*, p. 119-120.

ويوافق جميع أعضاء مجلس الشيوخ الحاضرين بوصفهم محلفين لأنهم يعرفون من هو إسيدوروس .

— كلوديوس قيصر : إياك أن تقول شيئاً .. ضد صديقى (اجريبا) (١) ، فقد تسببت من قبل فى هلاك رجلين آخرين من أصدقائى ليون مدير الشئون البلدية والأوضاع القانونية ، ونايفيوس ، والى مصر ، الذى كان قائداً للحرس البريتورى فى روما (٢) والآن أنت تكيل الاتهامات لهذا الرجل (اجريبا) .

— اسيدوروس : مولاى قيصر ! ماذا يعنيك من أمر يهودى كاجريبا لا يساوى شروى نقير (٣) .

— كلوديوس قيصر : ماذا تقول ؟ أنت أوقح الناس جميعاً ..

وفى قصاصة أخرى مرتبطة بهذه البردية يجرى الحوار التالى :

— اسيدوروس : مولاى صاحب الجلالة ! ان باليبللوس (٤) يدافع عن مصالحك دفاعاً حسناً . ولتمكنى سوف ارد عليك ، يا اجريبا ، فيما يتصل بالنقط التى تثيرها عن اليهود . اننى أتهمهم بالرغبة فى اثارة العالم أجمع .. وينبغى النظر فى وضع أمة اليهود .. ان طباعهم ليست كطباع الاسكندريين ، وحالتهم المعيشية تتفق وحالة المصريين . أو ليسوا هم فى مستوى الخاضعين لضريبة الرأس ؟ (٥) .

---

(١) أكبر الظن أجريبا الثانى ملك خالكيس بجبل لبنان وابن هيرود أجريبا .

(٢) نايفيوس سرتوريوس ماركو (Naevius Sertorius Marco) الذى خلف سيانوس (Seianus) كقائد للحرس البريتورى ، ورشح والياً على مصر ، ولكنه لقى مصرعه فى عام ٣٨ قبل أن يتولى منصبه ، راجع : **Musurillo, *op. cit.*, p. 136, n. 14.**

(٣) الأصل اليونانى triôboleiou (P. Lond. Inv. 2785, 18) معناه يساوى ثلاثة أوبلات (oboloi) أى حوالى نصف دراخمة ، وهو كناية عن تفاهة القدر .

(٤) لعله نفس باليبللوس الذى ورد ذكره فى رسالة كلوديوس الى الإسكندريين ، راجع ص ٥٠٠ أعلاه . وقد عين والياً على مصر من عام ٥٥ الى ٥٩ .

(٥) عن مشكلة خضوع يهود الإسكندرية لضريبة الرأس (laographia) ، راجع :
Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, p. 139, n. 27.

وأنظر الآن :

J.A.S. Evans, "The Poll-Tax in Egypt", *Aegyptus* 37 (1957), pp. 259-265

اجريبا : لقد فرض الحكام على المصريين ضرائب .. ولكن لم يفرض احد ضرائب على اليهود .

ويتضح من بردية أخرى أن الامبراطور أصدر حكماً بإعدام كل من إسيدوروس وزميله لامبون[١] ، وعندئذ تثور ثائرة الأول ، فيتكلم بلهجة مليئة بالتحدى بعد أن تيقن مصيره المحتوم :

كلوديوس قيصر : لقد اهلكت يا اسيدوروس كثيرا من اصدقائي .
اسيدوروس : لم افعل سوى أن امتثلت لاوامر الامبراطور في ذلك الوقت ، واني لمستعد أن ادين لك أيضا من ترغب في ادانته .

كلوديوس قيصر : أصحيح يا اسيدوروس انك ابن راقصة (أو ممثلة) ؟

اسيدوروس : أنا لست عبدا ولست ابن راقصة ، وانما أنا مدير معهد التربية بمدينة الاسكندرية الشهيرة ، واما انت فابن منبوذ (غير شرعي) لسالومي اليهودية (أخت هيرود الاكبر؟)

وعندئذ يقول لامبون لزميله اسيدوروس .

ليس بيدنا حيلة سوى الاذعان لحاكم مجنون ..

٤ — نيرون والحملة الأثيوبية :

وخلف كلوديوس على العرش الإمبراطور نيرون Nero (٥٤ — ٦٨) الذى اهتم فى أوائل حكمه بالولايات الشرقية . وقد أولى الإسكندرية عناية خاصة بأن نظم هيئة مواطنيها ونسق الصلة بين القبائل (phylai) والأحياء (dêmoi) وأطلق عليها أسماء جديدة ، وأنشأ بعض قبائل جديدة[٢] . ولعل المدينة التى

(١) *Acta Appiani* = *P. Oxy.* 33, iv, 5-7 = Musurillo. *Acta Alexandrinorum*, No. XI, ll. 78-80.

(٢) *Cf.* W. Schubart, "Alexandrinische Urkunden aus der Zeit des Augustus", *Arch. f. Pap.* V (1909-1913), p. 13; U. Wilcken, "Kaiser Nero und die alexandrinische Phylen" *ibid.*, p. 183; P. Jouguet, *La vie municipale dans l'Egypte romaine*. Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Rome, fasc. 104. Paris (1911), p. 141 f.

ومنذ هذا التنظيم أصبح اسم المواطن يقرن بالقبيلة والحى معاً ، راجع :

Bell, *C.A.H.* X (1934), p. 295; Jouguet, "Les Assemblées d'Alexandrie à l'époque ptolémaïque", *B.S.A.A.* 37 (1948), p. 22 & n. 65.

ازدهرت فيها الحياة الثقافية والفنية استهوت لبـه فتاقت نفسه إلى زيارتها ليعرض فيها ، مثلما عرض فى بلاد اليونان ، مواهبه الفنية فى الغناء والموسيقى[١] . ويحدثنا أربعة من المؤرخين أنه فكر ، عندما تخلى عنه الجيش وأحدقت به الأخطار قبيل مصرعه ، فى الفرار إلى مصر أو فى مناشـدة الشعب الرومانى تعيينه والياً عليها[٢] . ومن الغريب أن هذا الإمبراطور الذى دبر مقتل أمه إرضاءً لعشيقته[٣] ، واتهم بحرق روما[٤] ، حظى بسمعة طيبة فى الشرق . ففى البردية التى ورد فيها إعلان جلوسـه على العرش لا يوصف فقط بأنه « روح العالم الطيب ، بل بالإمبراطور المرتقب من الدنيا ومناط أملها ومصدر كل البركات ولذا ينبغى لنا جميعاً — كما يقول سكان أكسيرينخوس (البهنسا) — أن نرتدى الأكاليل وتنحر الثيران لجميع الآلهة عرفاناً بجميلهم[٥] » . ويتكرر وصف نيرون « بروح العالم الطيب » فى نقش من قرية أبوسيريس (أبوصير) — بالقرب من أهرام الجيزة — يرجع تاريخه إلى الفترة ما بين عامى ٥٥،٥٩[٦] . ويوصف أيضاً

(١) Cf. Jouguet, *Domination romaine en Egypte* (1947), p. 34.

(٢) Suetonius, *Nero* XLVII, 2: varie agitavit... veniam praeteritorum precaretur, ac ni flexisset animos, vel Aegypti praefecturam concedi sibi oraret:

وفكر فى أشياء كثيرة ... أو أن يطلب الصفح (من الشعب) عن جرائمه السابقة ، وإذا لم يستطع أن يلين قلوبهم ، أن يتوسل إليهم أن يمنحوه على الأقل الولاية على مصر .

Cf. also Tacitus, *Hist.* I, 31; Plutarchus, *Galba*, 2; Dio Cassius LXIII, 27, 2.

(٣) فى مارس عام ٥٩ ، أنظر : C.A.H. X, p. 716.

(٤) فى ١٨ يوليو عام ٦٤ ، والتهمة غير ثابتة ، (Tacitus, *Ann.* XV, 38) إن لم تكن غير صحيحة ؛ راجع : C.A.H. X, p. 722.

(٥) *P. Oxy.* 1021 = *W. Chrest.* 113.
وهذه الوثيقة تحمل تاريخ ٢١ هاتور الموافق ١٧ نوفبر عام ٥٤ أى بعد ٣٥ يوماً من وفاة كلوديوس .

(٦) *O.G.I.S.* II, 666, 2.

فى بعض مسكوكات الإسكندرية التى تحمل صورته بأنه « منقذ المعمورة[١] » .

وقد روى أن نيرون كان ينتوى القيام بحملة على مملكة أثيوبيا (النوبة الجنوبية) . ففى خريف عام ٦١ أرسل بعثة عسكرية لاستكشاف تلك البلاد[٢] . وفى عام ٦٤ ، أى بعد عودة البعثة بحوالى عام ، فكر فى زيارة الولايات الشرقية ومصر بالذات ، ولكنه عدل عن تنفيذ الفكرة لتشاؤمه من أحد الطوالع[٣] وقابلت السلطات النوبية هذه البعثة بالحفاوة و يسرت لها مهمتها ، فاجتازت مروى (Meroe) و بلغت مستنقعات النيل الأبيض وجمعت معلومات عن تضاريس وحيوانات تلك المنطقة النائية ووضعت خريطة لها . وجاء فى تقريرها أن مملكة أثيوبيا فى حالة انهيار شديد وأن مروى نفسها بلد فقير السكان . لقد كانت هذه البلاد على علاقات ودية مع روما ولم يكن فتحها ليعود على الإمبراطورية بغنم كبير . من الجائز أن نيرون — كما يذهب الأستاذ كورتنبويتل — كان يريد غزو النوبة ليحرز نصراً عسكرياً رخيصاً[٤] . غير أن سينيكا (Seneca) — الذى كان لا يزال يتمتع حينئذ بنفوذ كبير فى توجيه سياسة الإمبراطورية — لا يتحدث عن أى حملة عسكرية ، بل يقول إن البعثة أرسلت لاستكشاف منابع النيل . وليس من المستبعد أن يكون سينيكا نفسه هو الذى أوحى بإرسال هذه البعثة لما هو معروف عنه من اهتمام شديد بالجغرافيا وعلم الأجناس .

---

(١) J.A. Letronne. *Recueil des Inscriptions grecques et latines de l'Egypte*, I (1842), p. 91.

(٢) Seneca, *Quaest. Nat.* VI, 8, 3-4; Plinius, *Nat. Hist.* VI, 181; XII, 19; Dio, LXII, 8, 1; *cf.* W. Schur, "Die Orientpolitik des Kaisers Nero", *Klio*, Beiheft 15 (1923), p. 41 f.; C. Préaux, "Sur les communications de l'Ethiopie avec l'Egypte hellénistique", *Chron. d'Eg.* 27 (1952), p. 267 f.

(٣) Tacitus, *Ann.* XV, 36, 1; Suetonius, *Nero* XIX.

(٤) H. Kortenbeutel, *Der aegyptische Süd- und Osthandel in der Politik der Ptolemäer und römischen Kaiser.* Diss. Berlin (1932), p. 61.

لهذا كله ثار الشك حول الرواية القائلة بأن القصد من البعثة كان جمع معلومات توطئة لحملة عسكرية على بلاد النوبة . وفى أكبر الظن أنها لم تصدر إلا عن بلينيوس الأكبر الذى اشتهر بعداوته الشديدة لنيرون وتصيده الفرص لإثارة الغبار من حوله . نحن لا ننكر أن هناك من القرائن ما قد يؤيد رواية بلينيوس . ففى عامى ٦٦ ، ٦٧ ظهرت فى الإسكندرية بعض وحدات عسكرية : ٢٠٠٠ جندى من جيش شمال إفريقيا ، وفرقة أبولليناريس الخامسة عشر من أرمينيا ، وأخيراً بعض فصائل من الفرق المرابطة فى ألمانيا[١] . ولدينا قطع من العملة ضربت فى الإسكندرية عام ٦٨ وتحمل صورة نيرون وهو راكب سفينة إشارة إلى قرب حضوره إلى مصر[٢] . غير أن ظهور قوات أجنبية فى الإسكندرية أمر ليس من العسير تفسيره . لعل الجنود الإفريقيين قد أرسلوا إلى المدينة ليكونوا فى استقبال الإمبراطور عند قدومه . وكانت الفصائل الألمانية — إذا صدقت رواية تاكيتوس — فى طريقها إلى القوقاز للاشتراك فى الحملة هناك ، بينما كانت فرقة أبولليناريس فى طريق عودتها إلى بانونيا[٣] . وأما العملة فلا يستخلص منها سوى أن نيرون كان يعتزم زيارة الإسكندرية بعد فراغه من زيارة بلاد الإغريق (سبتمبر ٦٦ — آخر ٦٧) حيث كان يعرض مواهبه الفنية فى المسابقات التى جرت على مسارح كوركيرا (كورفو) وأكتيوم وكورنثة .

على أن بعض المؤرخين يحاولون تعليل مشروع حملة نيرون على مملكة مروى

---

(١) Josephus, *Bell. Iud.* II, 494; III, 8; Tacitus, *Hist.* I, 31, 70.

(٢) J.G. Milne, *Egypt under Roman Rule* (1924), p. 24; V. Chapot, "L'Egypte Romaine", *Histoire de la Nation Egyptienne* (ed. G. Hanotaux), Tome III (1933), p. 251.

(٣) Tacitus, *Hist.* I, 6; Josephus, *Bell. Iud.* VII, 117.

برغبته فى حماية مصالح روما التجارية لأن فتح النوبة الجنوبية كان من شأنه أن يحد من توسع مملكة أكسوم الحبشية التى كانت تهدد باحتكار تجارة العاج الإفريقية . وقد ورد ذكر أطماع مملكة أكسوم لأول مرة فى « دليل الملاحة بالبحر الأحمر » الذى يعتقد بعض الباحثين أنه كتب حوالى عام ٩٠ ، وأن مملكة أكسوم لم يؤسسها الملك زوسكاليس الوارد ذكره فى « دليل الملاحة » بل أسسها الملك المجهول الاسم الذى أقام قبل عام ٦٠ نصباً عند أدوليس (Adulis) (مصوّع ؟) تخليداً لذكرى انتصاراته ، وروى فيه كيف بسط سلطانه شمالا ، من الحبشة حتى حدود مصر الجنوبية ، وجنوباً حتى ساحل الصومال ، ثم عبر البحر واحتل الساحل الغربى لبلاد العرب من حدود أراضى السبئيين حتى ميناء ليوكى كومى (الحوراء)[1] . وقد أثار اعتداؤه على بلاد العرب قلق الرومان الذين أوجسوا خيفة من أن يكون هدفه البعيد هو غزو بلاد اليمن والتحكم فى تجارتها . لذلك عقد الرومان — كما يروى صاحب « دليل الملاحة » — معاهدة صداقة وتحالف مع أمراء سبأ وحمير الضعاف لحمايتهم من عدوان ملك أكسوم . و بمقتضى هذه المعاهدة التى عقدت فى عام ٦٠ احتل الرومان عدن . وزاولوا أيضاً نوعاً من السيطرة غير المباشرة على جزيرة سقوطرى التى كان ملك حضرموت يؤجرها لجماعة من التجار الرومان المقيمين فى مصر . وقد أدى احتلال عدن والسيطرة على سقوطرى إلى فتح باب الاتصال المباشر بين مصر والهند عن طريق البحر . فالحملة التى أعدها نيرون كانت تستهدف وقف توسع مملكة أكسوم بفرض الحماية الرومانية على مملكة مروى المتداعية و إحياء طريق التجارة عبر أعالى النيل . لقد كانت إذن نتيجة منطقية لاهتمام الرومان المتزايد بالتجارة الشرقية وحرصهم على تحويلها إلى الموانى المصرية .

---

(١) *O.G.I.S.* I, 199.

غير أن هذه النظرية التي ما يزال يأخذ بها بعض المؤرخين[1] قد تزعزعت بعد تعرضها للنقد من جانب الأستاذ أندرسون[2] . فمن بين اعتراضاته عليها أن « دليل الملاحة فى البحر الأحمر » الذى ينسب إلى القرن الأول الميلادى ، لا يعرف تاريخ كتابته على وجه التحديد وإن كان هناك من القرائن ما يرجح أنه كتب فى أوائل ذلك القرن لا فى أواخره[3] ، وأن مؤلفه يحدد أراضى مملكة أكسوم بالمنطقة التى تقع بين سواكن وباب المندب على وجه التقريب ، ولا يعلم شيئاً عن أراض استولى عليها ملك الحبشة فى بلاد العرب — كما يفهم من نقش أدوليس — أو عن أى سيطرة أو نفوذ سياسى زاوله هذا الملك فى تلك البلاد . وفى هذا دليل على أن مملكة أكسوم لم تكن على أيامه قد توسعت بعد عبر البحر الأحمر ، ومن ثم ينهار السبب الرئيسى الذى يعزى إليه تدخل الرومان فى جنوب بلاد العرب . وأما الزعم — استناداً إلى عبارة وردت فى دليل الملاحة[4] — بأن الرومان احتلوا فى عصر أسرة يوليوس — كلوديوس ميناء عدن الذى كان يعرف وقتئذ باسم « بلاد العرب السعيدة » لكى يضمنوا لعملائهم فى مصر احتكار التجارة فى البحرين العربى والهندى ، فهو ما لا يمكن التيقن من صحته ، إذ أننا لم نكتشف فى عدن أى آثار تدل على إقامة حاميات أو تحصينات دائمة ، والتى لم يكن فى وسع الرومان بدونها أن يلحقوا أى ضرر بليغ

---

(١) راجع ، على سبيل المثال ، جورج فاضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى (ترجمة السيد يعقوب بكر) القاهرة (١٩٥٨) ص ٧٩ — ٨٠ والهوامش .

(٢) J. G. C. Anderson, *C.A.H.* X (1934), pp. 881-883.

(٣) *Cf.* M.P. Charlesworth, "Roman Trade with India" *Studies in Roman Economic & Social History in Honor of A.C. Johnson*, ed. by P.R. Coleman-Norton. Princeton (1951), p. 132 & n. 2 (between 40 & 75 A.D.).

(٤) *Periplus Erythraei Maris*, 26.

بتجارة العرب [1] . وإنه لأمر بعيد الاحتمال أن لا يتحدث الكتاب الرومان عن نجاح باهر أحرزته روما فى بلاد العرب السعيدة وترتبت عليه — كما يزعم البعض — نتائج هامة على حين يتردد فى مؤلفاتهم ذكر حملة آيليوس جاللوس . ولو كان الأمر صحيحاً لما أغفل ذكره بلينيوس الذى يقول صراحة إن آيليوس جاللوس كان الرومانى الوحيد الذى قاد جيشاً إلى جنوب بلاد العرب حتى زمنه . لذلك يرجح أن مؤلف « دليل الملاحة » اختلط عليه الأمر . لقد سمع بلا ريب عن حملة جاللوس فى بلاد العرب السعيدة (وهو اسم اليمن على أيام أغسطس) فاعتقد أن الهدف منها كان الاستيلاء على الميناء الذى يحمل نفس الاسم . ولا يعدو أن يكون إحراز روما سيطرة غير مباشرة على سقوطرى محض افتراض لا تؤيده رواية دليل الملاحة . وليس من الواضح كيف كانت مصالح الرومان التجارية تتعرض للخطر الشديد بانتقال العاج الإفريقى إلى مصر عن طريق مملكة أكسوم والبحر الأحمر — كما كان الحال فى الوقت الذى كتب فيه دليل الملاحة بدلاً من انتقاله إليها عبر طريق مملكة مروى ، وهو طريق يقال أيضاً إنه كان حينئذ غير صالح للاستعمال . وأما الزعم بأن الاتصال المباشر بين مصر والهند عن طريق البحر لم يتم إلا منذ عصر نيرون فهو زعم تدحضه رواية اسطرابون الذى يقول إنه بينما لم تكن تجرؤ على الخروج من البحر فى عصر البطالمة سوى عشرين سفينة ، أصبحت تبحر (سنوياً) إلى الهند على أيامه ما لا يقل عن ١٢٠ سفينة من ميناء ميوس هرموس (أبوشعر القبلى) وحده [2] ، وهى رواية يتبين منها أن التجارة البحرية لم تكن كلها فى يد العرب الجنوبيين حتى فى زمن أغسطس ؛ وتدحضه أيضاً المسكوكات الذهبية والفضية العديدة

---

(١) Cf. however, Charlesworth, *ibid.*, p. 138 & n. 19. الذى يعتقد الآن أن عبارة « دليل الملاحة » صحيحة ويضيف بأن حصناً اكتشف فى شمالى عدن ويبدو أنه رومانى الأصل

(٢) Strabo II, 5, 12 (C. 118); XVI, 4, 24 (C. 781); XVII, 1, 13 (C. 798).

التى وجدت فى الهند وتحمل أسماء أباطرة أسرة يوليوس ـ كلوديوس ، و بخاصة اسمى أغسطس وتيبريوس .

ومهما يكن من شىء فإن ثورة اليهود فى فلسطين عام ٦٦ قد أحبطت أى مشروع عسكرى كان نيرون ينتوى القيام به . فقد ساور اليهود قلق شديد ، وفشى بينهم التذمر من الأوضاع السياسية والاقتصادية ، وضاقوا ذرعاً باستبداد حكامهم ، ولم يلبث أن غمرهم الحماس الدينى وراودهم الأمل فى الخلاص على يد مسيح جديد . وسرعان ما أثاروا الاضطرابات فى قيسارية ، ثم هبوا ثائرين ثورتهم الكبرى فى أورشليم ، تلك الثورة التى جلبت عليهم الكوارث وكانت نذيراً بتدمير معبدهم الكبير على يد تيتوس فى عام ٧٠ . وكان من الطبيعى أن يحدث لهذه الثورة صدى فى الإسكندرية[1] . واتفق أن اجتمع بالملعب المدرج حشد من الإسكندريين للتباحث فى إرسال سفارة إلى روما لكى تعبر للامبراطور عن ولاء مواطنى المدينة نحوه أثناء ثورة اليهود . واكتشف المجتمعون بعض اليهود مندسين بين صفوفهم ، فتعالت صيحات الجماهير الغاضبة بأنهم أعداء وعيون ، وانقضت عليهم تريد قتلهم ، فلاذ بعضهم بالفرار وألقى القبض على البعض الآخر وحاول الغوغاء إحراقهم أحياء . وأثار الاعتداء حنق اليهود فتكتلوا وهاجموا الإغريق ورجموهم بالحجارة وأوشكوا أن يضرموا النار فى الملعب لإهلاك من فيه . وكان والى مصر وقتئذ هو تيبريوس يوليوس الإسكندر ، ابن أخى فيلون الفيلسوف ، وكان فى الأصل يهودياً ثم ارتد إلى الوثنية . وقد أوضح لليهود أنه من الحمق فى تلك اللحظة الحرجة من تاريخ أمتهم أن يعكروا صفو

---

(١) فى بردية مشوهة من البهنسا نشرت منذ سنوات قليلة (P. Oxy. 2339) إشارة إلى محاكمة قضائية جرت أمام ممثل السلطة الرومانية ، والمتهمون أربعة بينهم امرأة . ولعل البردية تنتمى إلى « أعمال الإسكندريين » . وعلى أى حال فهى تتكلم عن اضطرابات لعلها نشأت عن الاحتكاك بين اليهود والإغريق فى الاسكندرية ، بسبب الثورة اليهودية فى فلسطين .

الأمن و يستفزوا الجيش الرومانى . واستجاب له المعتدلون منهم ولكن المتطرفين لم يكترثوا بتحذيره وسخروا منه وسبوه . وعندئذ وجد نفسه مضطراً إلى استدعاء الفرقتين من نيقو بوليس لقمع الفتنة فى المدينة . وطورد اليهود إلى الحى الرابع حيث استماتوا فى الدفاع عن أنفسهم ضـــد القوات الجديدة التى اتفق مرورها بالإسكندرية فى طريقها من برقة إلى فلسطين لإخماد الثورة الكبرى فى أورشليم . وغلب اليهود على أمرهم وهلك منهم خلق كثير . ولا سبيل اليوم إلى التحقق من رواية المؤرخ اليهودى يوسف الذى يزعم أن خمسين ألفاً من بنى جلدته هلكوا فى تلك الفتنة (Bell. Iud. II, 492-8).

وكان من أثر سياسة الإرهاب التى انتهجها نيرون فى أواخر حكمه أن ازدادت المؤامرات فى روما وانتشرت حركات التمرد فى الولايات . ولما أسقط فى يده فر من العاصمة ولم يلبث أن انتحر . و بموته ينتهى تاريخ أسرة يوليوس – كلوديوس فى يونيو عام ٦٨ .

الفصل الرابع

ڤسبسيان وتيتوس ودوميتيان

١ — ڤسبسيان فى الإسكندرية :

يعرف العام التالى لمصرع نيرون — عام ٦٩ — فى التاريخ « بعام الأباطرة الأربعة » . ولا يعنينا من الصراع الذى احتدم بين المتنافسين على عرش الإمبراطورية سوى ما حدث فى الشرق ، وفى مصر بوجه خاص . ولم تكن مصر قد قامت بأى دور سياسى هام فى تاريخ الإمبراطورية حتى ذلك الحين . لكن نجمها سطع فجأة عندما أسهمت فى رفع قائد من قواد الشرق إلى أريكة الحكم ، كاشفةً بذلك سر الإمبراطورية الذى أفضى فى النهاية إلى انهيارها ، ألا وهو إمكان ترشيح الإمبراطور فى مكان آخر غير روما[1] . فقد تعاقب على العرش أربعة قواد : جالبا[2] (Galba) وأوتو[3] (Otho) وڤيتلليوس[4] (Vitellius)

---

(١) *Cf.* M. Cary, *A History of Rome down to the Reign of Constantine.* London (1938), p. 605.

(٢) يوليو ٦٨ — يناير ٦٩ :

ومن الوثائق القليلة المؤرخة باسمه فى مصر (منشور تيبريوس يوليوس الإسكندر بتاريخ ٦ يوليو ٦٨ ؛ السنة الأولى من حكمه) : — *O.G.I.S.* 669 = *S.B.* 8444

(٣ أكتوبر ٦٨ ، السنة الثانية من حكمه) : — *P. Oxy.* 289, col. II, 1

(٣) يناير ٦٩ — أبريل ٦٩ :

(١٧ مارس ٦٩ ، ٢٥ أبريل ٦٩) : — *P. Oxy.* 289, col. II, 3, 5.

وإن كان انتحر فى ١٢ أبريل : — Cf. *P. Oxy.* II. p. 285 & n. 1.

(٤) أبريل ٦٩ — ديسمبر ٦٩ (نادى به الجيش فى ألمانيا فى ٢ يناير)

وڤيتلليوس هو الإمبراطور الوحيد من بين أباطرة القرنين الأولين الذى لم نجد اسمه منقوشاً فى خرطوشة على معبد من المعابد المصرية . لكن من الغريب أننا وجدنا شقافة (S.B. 1930) مؤرخة باسمه فى يوم ١٠ يوليو عام ٦٩ أى بعد تسعة أيام من مناداة الإسكندرية بڤسبسيان إمبراطوراً . ولعل ذلك يرجع إلى بطء وصول النبأ إلى مصر العليا . راجع :

Milne, *Egypt under Roman Rule,* p. 28.

الذين حكم كل منهم فترة لا تزيد على شهور قليلة انتهت فى ديسمبر من عام ٦٩ ، وأخيراً فلافيوس ڤسپسيانوس (T. Flavius Vespasianus) أو ڤسپسيان الذى قدرله أن يتربع على عرش الإمبراطورية عشر سنوات (٦٩ — ٧٩) وأن يمتد حكم أسرته ، أسرة فلافيوس ، حتى عام ٩٦ . وكان ڤسپسيان هو القائد الذى ولاه نيرون على أرض يهوذا (Iudaea) ثم عهد إليه بقمع ثورة اليهود فى عام ٦٧ ، فاجتاح فلسطين واستولى على مواقعها الحصينة ، وتأهب لمحاصرة أورشليم حيث احتشد اليهود واستعدوا لمقاومة الرومان . ولما بلغه نبأ موت نيرون أرجأ الهجوم على المدينة ولم يستأنفه إلا بعد المناداة بڤيتلليوس إمبراطوراً فى أبريل من عام ٦٩ .

وهنا يأتى دور مصر فى معركة التطاحن على عرش الإمبراطورية . فقد أثار هذا المدعى الأخير ڤيتلليوس بسوء خلقه تذمر جنود الفرق المرابطة فى ولايات الدانوب . ولما كان لا يوجد بين قواد هذه الفرق من هو جدير بترشيحه إمبراطوراً ، فقد اتجهت الأنظار إلى والى أرض يهوذا وقائد الحملة ضد اليهود . وعندئذ بادرت الفرقتان المرابطتان فى الإسكندرية بالمناداة بڤسپسيان إمبراطوراً فى أول يوليو عام ٦٩[١] . وكان ذلك بإيعاز من تيبريوس يوليوس الإسكندر ، والى مصر عندئذ[٢] . وكان الإسكندر هو الوحيد بين ولاة مصر الذى يمكن وصفه

= ولدينا الآن شقافتان جديدتان مؤرختان باسمه (O. Bodl. 1738; 2438) ، أنظر :
C. Préaux, "Le règne de Vitellius en Egypte", *Mélanges Georges Smets*, Bruxelles (1952), pp. 571-578.

(١) وقد اعتبر هذا اليوم فيما بعد بداية حكمه (Tacitus, *Hist.* II, 79) ، وإن كان السناتو الرومانى لم يعلنه إمبراطوراً إلا فى يوم ٢٢ ديسمبر عام ٦٩ بعد مصرع ڤيتلليوس . ولم تمتد السنة الأولى من حكمه فى مصر إلا من أول يوليو ٦٩ حتى ٢٨ أغسطس ٦٩ وفقاً للتقويم المصرى ، أى من ٧ أبيب إلى ٥ نسىء ، آخر يوم فى السنة المصرية (غير الكبيسة) راجع :
Stein, *Die Praefekten von Aegypten in der römischen Kaiserzeit* (1950), p. 39.

(٢) يرى بعض الباحثين أن المنشور الشهير (O.G.I.S. 669 = S.B. 8444) الذى =

بأنه « مصرى » لأنه ولد بالإسكندرية[١] ، والوحيد الذى شغل فى مصر قبل ولايته عليها منصب مدير عام (epistratègos) إحدى مناطقها الإدارية الثلاث (منطقة طيبة) فى عام ٤٢[٢] . وكان — كما أسلفنا — يهودياً من أسرة ثرية مرموقة المكانة ، ثم ارتد إلى الوثنية واكتسب الجنسية الرومانية ، وانتظم فى سلك الفرسان الرومان وتدرج فى مناصب هذا السلك العسكرية والإدارية المختلفة وأخيراً عينه نيرون والياً على مصر فى عام ٦٦[٣] . وقد استطاع بدهائه أن يحتفظ بمنصبه على الرغم من فوضى الحرب الأهلية وتعاقب الأباطرة فى عام ٦٩ . ولم تلبث الفرق المرابطة فى فلسطين أن نادت هى الأخرى بفسبسيان إمبراطوراً فى ٣ يوليو من العام نفسه . وحذا حذوها الجيش الرومانى فى سوريا بعد أسابيع قليلة . وزحف

= أصدره تيبريوس يوليوس الإسكندر فى ٦ يوليو عام ٦٨ فى السنة الأولى من حكم جالبا (راجع ص ٥٣ ، السطر الرابع من الهامش وما بعده ، ص ١٣٨ هامش ٢) كان الغرض منه الدعاية السياسية لصالح الحزب المناوىء لنيرون ، وأن الوالى الذى كان من أنصار فسبسيان قد تعمد تهويل المفاسد والمظالم . غير أن الأستاذ « بل » يرى أن هذه المفاسد كانت حقيقية ، راجع :

Bell, "The Economic Crisis in Egypt under Nero", *J.R.S.* 28 (1938), pp. 1-8; idem, *Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest* (1948), p. 78.

وعن المنشور نفسه ، أنظر :

O.W. Reinmuth, "The Edict of Tiberius Julius Alexander", *T.A.P.A.* 65 (1934), pp. 248-259; W. Müller, "Zum Edikt des Tiberius Iulius Alexander", *Festschr. f. Fr. Zucker zum 70 Geburtstage*. Berlin Akad. Verlag (1954), pp. 291-7.

(١) Tacitus, *Hist.* I. 11: eiusdem (*sc. Aegyptiae*) nationis; *cf.* Stein, *Untersuchungen Aegyptens under roemischer Herrschaft* (1915), p. 106, n. 1.

(٢) Reinmuth, *The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian*. Klio, Beiheft XXXIV. N.F., Heft 21 (1935), p. 5; Stein, *Die Praefekten von Aegypten*, p. 184 f.

(٣) راجع ص ١٣٦ أعلاه . وعن تيبريوس يوليوس الإسكندر وأسرته وسيرته ، أنظر أيضاً :

A. Lepape, "Tiberius Julius Alexander préfet d'Alexandrie et d'Egypte", *B.S.A.A.* 29 (1934), pp. 331-341; A. Fuks, "Notes on the Archive of Nicanor", *J.J.P.* V (1951), pp. 214-216; E.G. Turner, "Tiberius Julius Alexander", *J.R.S.* 44 (1954), pp. 54-64; V. Burr, *Tiberius Julius Alexander*, Bonn, 1955.

ڤسپسيان إلى مصر بانيا خطته ، فيما يبدو ، على تأمين ممتلكاتها ، پيلوزيون وفاروس ، وإرغام منافسه فى روما على الاستسلام بقطع إمدادات القمح عن العاصمة الرومانية[1] .

وقد روى لنا المؤرخ الرومانى تاكيتوس أحداث «عام الأباطرة الأربعة» فى تواريخه (Historiae) وصفاً مسهباً مؤثراً ، غير أنه لم يعلم أو لعله تعمد أن يغفل حقيقة أخرى كشفت عنها قصاصة بردية[2] . هذه الحقيقة تتلخص فى أن الإسكندرية هبت كلها مرحبة بمغتصب العرش الذى تمرد على ڤيتاليوس ، ممثل السلطة المركزية فى روما . وكانت الإسكندرية — ثانية مدن الإمبراطورية — تحمل ضغناً لروما منذ أيام أكتيوم . فلما سنحت لها الفرصة شفت غليلها وتزعمت حركة التمرد على غريمتها . وسنلمس تكرار هذه الظاهرة فيما يلى من أحداث . فكم تمنت أن تتحرر من ربقة الحكم الرومانى ، غير أن قوات الاحتلال كانت أقوى من أن تغلب بالمظاهرات . ولم تجد المدينة بل مصر قاطبة سبيلا للتعبير عن عداوتها للرومان سوى ترويج المنشورات (أعمال الإسكندريين) وتأييد أدعياء العرش ممن كانوا يشقون عصا الطاعة على روما ، عاصمة الإمبراطورية . ولم تكن الإسكندرية قد شهدت أى إمبراطور رومانى منذ سقوطها فى يد أغسطس عام ٣٠ ق . م . فما أن اقترب ڤسپسيان من مشارف المدينة الشرقية (أوائل عام ٧٠) حتى خفت الجماهير إلى استقباله فى ملعب سباق الخيل عند باب كانوب . وغمرها حماس شديد وتعالت هتافاتها له . ولعل الموقف أعاد إلى ذاكرة المواطنين مشاهد مماثلة من عصر البطالمة عندما كان لأسلافهم يد فى تنصيب الملوك وخلعهم . فإذا

(١) Cf. Suetonius, *Vesp.* VII.
وراجع ص ٥٢ هامش ٢ أعلاه ، ص ٥٣ هامش ٢ .

(٢) عن سبب هذا الإغفال ، راجع :
P. Jouguet, *Bull. Inst. Eg.* 24 (1942), p. 30 f.; *cf.* Derchain, *Chron. d'Eg.* 28 (1953), p. 279.

كانت هذه الأيام قد ولت إلى الأبد ، فلا أقل من أن يوهموا أنفسهم بأنهم أصحاب الفضل الأول فى المناداة بڤسپسيان إمبراطوراً . وقد عومل ڤسپسيان كأنه إله ، وظهرت له آيات ، إذ هرع إليه ضرير فرد إليه بصره ، وتوسل إليه عاجز اليد (أو الساق ؟) فشفاه من عاهته . وقد زعم الرجلان أن سرابيس أوحى إليهما أن يلتمسا الشفاء لديه[(١)]. وأثارت المعجزة فى قلب ڤسپسيان الرغبة فى زيارة معبد سرابيس (Serapeum) ليستنبىء الإله عن حكمه . وقد أمر بإخراج جميع من فى المعبد أولاً ثم دخله حيث غرق فى التهجد ومناجاة سرابيس ، ورأى رؤيا تبشر بقرب اعتلائه العرش ؛ إذ خيل إليه ، وهو يتلفت ، بعد أن قدم قرابين كثيرة لاسترضاء الإله ، أن باسيليديس[(٢)] ، أحد معتقيه ، قد أهداه غصوناً وأكاليل وأرغفة (مقدسة) ، وفقاً لما جرت به العادة هناك[(٣)]. ويضيف المؤرخ سويتونيوس أن معجزة شفاء المريضين (التى حدثت — فى رأيه — بعد زيارة

(١) Tacitus, *Hist.* IV, 81; Suetonius, *Vesp.* VII, 2; *cf.* also Philostratus, *Apoll. Tyana* V, 28, 35; Dio Cassius, LXVI, 8, 1; *cf.* Derchain-Hubaux, "Vespasien au Sérapéum", *Latomus* XII (1953), pp. 38-52.

(٢) Tacitus, *Hist.* IV, 82; Suetonius, *Vesp.* VII, 1.

والاسم باسيليديس (Basilides) مشتق من كلمة باسيليوس اليونانية (basileus) بمعنى «ملك» وكان هذا هو الفأل الحسن . وبينما يصفه سويتونيوس بأنه أحد معتق (libertus) ڤسپسيان يصفه تاكيتوس بأنه أحد أقطاب المصريين (e primoribus Aegyptiorum) .

(٣)

Suetonius, *Vesp.* VII, 1: Hic cum de firmitate imperii capturus auspicium aedem Serapidis summotis omnibus solus intrasset ac propitiato multum deo tandem se convertisset, verbenas coronasque et panificia, ut illic assolet, Basilides libertus obtulisse ei visus est.

فى رأى أحد الباحثين أن رواية سويتونيوس عن زيارة ڤسپسيان لمعبد سرابيس أصدق من غيرها ، ويرجح أنها مستمدة من مصدر إسكندرى . ويقارن هذه الزيارة بزيارة الملك بعنخى الإثيوبى لمعبد هليوبوليس ، عند ما جاء مصر غازيا ، وبزيارة الإسكندر الأكبر لمعبد آمون فى سيوه . ويرى أن ما جرى بداخل المعبد وتقديم الغصون والأكاليل والخبز لڤسپسيان هى طقوس شبيهة بطقوس التتويج الفرعونية ، ولكنه لا يرى أن ڤسپسيان توج فى الإسكندرية ، راجع :

Ph. Derchain, "La visite de Vespasien au Sérapéum d'Alexandrie", *Chron. d'Egypte* 28 (1953), pp. 261-279.

معبد سرابيس لا قبلها) قد منحت فسبسيان ، بوصفه رجلاً صعد نجمه فجأة و إمبراطوراً حديث العهد ، ما كان يعوزه من نفوذ (auctoritas) وجلال (maiestas)[١].

ومع أن القصاصة البردية التى أشرت إليها مليئة بالفجوات وليس بها سطر واحد كامل ، ولا نعرف أهى مستخرج من محضر رسمى أم حوار أم خطبة أدبية ألقيت بمناسبة الاحتفال ، فإن ناشرها استطاع أن يستنطقها لتبوح ببعض ما حدث فى ذلك اليوم[٢] :

يقول الوالى تيبريوس يوليوس الإسكندر : **صحة طيبة ومقدما سعيدا مولاى قيصر !**

وترد الجماهير هاتفة : **أيها المنقذ الأوحد والمصلح فسبسيان ، اى مولانا الجليل الخير ، سرابيس ، وابن آمون • فلتبق لنا الوالى سنوات طويلة !**

و يتكرر الدعاء لفسبسيان و ينادى بأنه إله ، وهو لقب لا يخلع على الأباطرة الأحياء فى الوثائق الرسمية[٣].

لكن سرعان ما تبين للاسكندريين أن الإله الجديد إنما هو إنسان كسائر البشر ، ورجل مدبر من رجال الأعمال ، حريص على تحصيل الضرائب كاملة

---

(١) Suetonius, *Vesp.* VII, 2: Auctoritas et quasi maiestas quaedam ut scilicet inopinato et adhuc novo principi deerat; haec quoque accessit.

(٢) *P. Fouad* 8 Musurillo, *Acta Alexandrinorum* V B (Text, p. 30 f.; Comment., p. 142 f.); *cf.* Jouguet, "Vespasien acclamé dans l'hippodrome d'Alexandrie", *Mélanges Ernout* (1940), pp. 201 ff.; *idem*, "L'arrivée de Vespasien à Alexandrie", *Bull. Inst. Eg.* 21 (1942), pp. 21-32.

(٣) راجع مع هذا رسالة كلوديوس إلى مدينة الإسكندريين حيث يصف الوالى أعيليوس ركتوس الإمبراطور بالإله théos (P. Lond. 1912, 9) مع أن الإمبراطور نفسه رفض آيات التكريم التى ترفعه إلى مصاف الآلهة (راجع ص ١٠٦ أعلاه) .

كغيره من الأباطرة . فقد خيب ظنهم بفرض ضرائب جديدة و إحياء أخرى ملغاة . وعندئذ لجأ الإسكندريون ، إلى سلاحهم التقليدى ، سلاح التشهير ، وسلطوا عليه ألسنتهم اللاذعة ، فلقبوه « بتاجر الأسماك المملحة » (kubiosaktês) وغير ذلك من ألقاب السخرية ، وهجوه بأغان مقذعة . واستشاط ڤسپسيان غضباً فأخضعهم لضريبة الرأس امتهاناً لهم ، غير أن ابنه تيتوس توسط لهم عنده فصفح عنهم وأعفاهم منها[1] . و برغم هذه الوساطة فقد تعالت أصوات الجماهير الغاضبة قائلة « إننا نصفح عنه — أى عن ڤسپسيان — فهو لا يعرف كيف يتصرف تصرف القياصرة »[2] !

وكان ڤسپسيان قدعهد إلى تيتوس بقيادة الحملة ضد اليهود فخرج من الاسكندرية قاصداً فلسطين فى مستهل عام ٧٠ . وقد خرج معه فى هـذه الحملة ليترنيوس فرونتو ، قائد معسكر نيقو بوليس ، الذى تولى قيادة مفرزتين (vexillationes) قوامهما ٢٠٠٠ جندى ، من فرقتى قورينة الثالثة ودّيوطاروس الثانية والعشرين .

---

(١) Suetonius, *Vesp.* XIX, 2; Dio Cassius, LXV, 8; *cf.* S.L. Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*. Princeton (1938), p. 346 & n. 38 (p. 492).

(٢) Dio Cassius, LXV, 8, 6.

تحتوى بردية من البهنسا يكتنفها الغموض الشديد على خطبة موجهة ضد شخص أو أشخاص متهمين بترويج شائعات كاذبة عن الأباطرة وانتقاد مسلكهم . ويبدو أن أحد المتهمين كان فى المنفى ، والآخر قد نفذ فيه حكم الإعـدام ، بينما كان الثالث قد وجهت اليه التهمة نفسها قبل ذلك باثنتى عشرة سنة عند ما هاجم نيرون وموقفه من الأثرياء والوجهاء . ولا نعرف من هو الإمبراطور الذى ألقيت الخطبة أمامه . لـكن القرائن ترجح أنه ڤسپسيان . ولعـل البردية لها صلة بحادثة طرده الفلاسفة الرواقيين والكلبيين من روما ، والذين كان من بينهم بعض الإسكندريين . وليس من المستبعد أن تكون البردية ، برغم خلوها من روح العداء للرومان ، قطعة من « أعمال الإسكندريين » ، تصور هذا الصدام الذى حدث بين ڤسپسيان والإسكندريين ، وأن مصدرها هو الفريق أو الحزب الإسكندرى الذى لم يكن شديد العداوة للرومان ، راجع : *Acta Diogenis* = Musurillo, *Acta Alexandrinorum*, No. V A (Text, pp. 27-30; Comment, pp. 141-6).

كما خرج معه أيضاً والى مصر نفسه ، تيبر يوس يوليوس الإسكندر ، الذى شغل أثناء حصار أورشليم منصب رئيس هيئة أركان الحرب ضد اليهود . وقد تبين من نقش قصير مدون على عتق مزهرية أن ليترنيوس فرونتو ، قائد معسكر نيقو يوليس (praefectus castrorum) ، قد ارتقى إلى منصب والى مصر فى عام ٧٨ — ٧٩ ، اى بعد حوالى تسع سنوات من تاريخ الحملة اليهودية(١) . وأما عن تيبريوس يوليوس الإسكندر فلدينا الآن بردية جديدة من برديات الحيبة تشير إلى أنه قد ارتقى إلى منصب قائد الحرس البريتورى (الإمبراطورى) فى روما (praefectus Praetorio) منـذ ربيع أو صيف عام ٧١ (٢) ، وهو منصب أصبح أرفع من منصب والى مصر ، بل من أكبر مناصب الإمبراطورية خطراً . و بعد سقوط أورشليم وتدمير الهيكل الكبير فى ٢ سبتمبر من عام ٧٠ عاد تيتوس إلى الإسكندرية حيث أظهر من الشعور الطيب نحو مواطنيها ما جعلهم يتملقون به . ولم يتودد تيتوس إلى الإغريق وحدهم بل تودد أيضاً إلى المصريين حتى أنه حضر حفل اختيار عجل أبيس الجديد فى ممفيس وحرص على أن يلبس التاج التقليدى فى مثل هذه المناسبة . ومع أن هذا المسلك كان من شأنه استمالة قلوب الأهلين إلا أن الحكومة المركزية ممثلة فى شخص أبيه لم تنظر إلى مسلكه بعين الارتياح بل ارتابت فى أنه يتطلع إلى العرش قبل الأوان(٣) .

وحدث بعـد سقوط أورشليم أن فر إلى الإسكندرية نفر من السفاحين اليهود (sicarii) الذين أفضى تعصبهم الأعمى إلى الكارثة التى نزلت بأمتهم ،

---

(١) *Cf.* Abdullatif A. Aly, "A Latin Inscription from Nicopolis", *Ann. Fac. Ar. Ain Shams Univ.* III (1955), p. 133 f.

(٢) *P. Hibeh* II, 215; *cf.* E.G. Turner, "Tiberius Julius Alexander", *J.R.S.* 44 (1954), pp. 61-64.

الحيبة (فى مواجهة الفشن) هى أنكيرونبوليس أو أنكيرونون القديمة فى إقليم هيراكليوبوليس (أهناسيا المدينة) .

(٣) Suetonius, *Titus*, V, 3.

وحاولوا إثارة الشعب فى المدينة من جديد وتحريض بنى جلدتهم على ألا يعترفوا بحاكم عليهم سوى يهوه . ولكن شيوخ الجالية رفضوا الاستجابة إليهم وتبرأوا منهم وقبضوا على البعض وسلموهم للسلطات الرومانية ، وأما البعض الآخر فقد لاذوا بالفرار إلى جنوب الوادى حيث طوردوا وأبيدوا بعد قليل . وعلى الرغم مما أظهره أقطاب اليهود من اتزان وحكمة ، فقد قررت الحكومة الرومانية فى عام ٧٣ أن تغلق معبد أونياس (Onias) فى ليونتوپوليس (Leontopolis) [(١)] ، الذى ارتابت فى أنه كان مركزاً لنشاط الحركة اليهودية الأخيرة ، وصادرت أملاكه ، وهو معبد كان قد شيد حوالى عام ١٦٠ ق . م . لمنافسة معبد أورشليم . و بذلك حالت دون انتقال نفوذ المعبد الكبير فى فلسطين بعد زواله إلى نظيره فى مصر . وذهب الإمبراطور ڤسپسيان إلى أبعد من ذلك فأمر فى صيف عام ٧١ بأن يدفع اليهود جميعاً ، ذكوراً و إناثاً ، على اختلاف أعمارهم ، ضريبة دينارين سنوياً لمعبد الإله چوپيتر الكاپيتوليني فى روما ، وهى ضريبة النصف شاقل التى كان الذكور البالغون منهم يدفعونها من قبل لمعبد أورشليم [(٢)] .

(١) فى إقليم هليوپوليس ، وهى تل اليهودية قرب شبين القناطر ، راجع :
J. Ball, *Egypt in the Classical Geographers*. Cairo (1942), pp. 64, 109

(٢) *Cf.* S.L. Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*. Princeton (1938), pp. 170-176.

إن هذه الضريبة (Ioudaiôn telesma) قررها ڤسپسيان حوالى صيف عام ٧١ أى فى السنة الثالثة من حكمه ، على أن تفرض على اليهود ابتداءً من عام ٧٠ (السنة الثانية من حكمه) الذى تحدى فيه يهود أورشليم الحصار الذى ضربه عليهم جيش تيتوس . غير أن إعداد كشوف هذه الضريبة وما إلى ذلك أخر جبايتها حتى عام ٧٢ ، وهى السنة الرابعة من حكم ڤسپسيان ، والتى ظهرت فيها أول إيصالات عنها فى أپوللونوپوليس ماجنا (إدفو) وأرسينوى (مدينة الفيوم) . وفى هذا العام كان مواليد اليهود فى عام ٧٠ قد بلغوا سن الثالثة . ولهذا تقرر أن تجبى الضريبة من اليهود عند بلوغهم هذه السن حتى سن الستين أو الثانية والستين . ويعتقد الأستاذ ولاس (نفس المرجع ، ص ١٧٤) أن يهود مصر كانوا يدفعون ضريبة النصف شاقل (didrachmon) لا إلى معبد أورشليم بل إلى معبد أونياس . ويبدو أن هدريان ألغى ضريبة الدينارين لأننا لا نجد أى إيصالات عنها بعد عام ١١٦ (نفس المرجع ص ١٧٥ — ١٧٦) .

٢ — إيزيس فى روما :

وارتقى تيتوس (Titus) العرش بعد أبيه فسبسيان ولـكنه قضى نحبه بعد قليل (٧٩ — ٨١)[1]. غير أن ما أظهره ذلك العاهل من احترام للديانة المصرية قد يشير إلى تحول فى موقف الحـكومة الرومانية إزاء الآلهة المصرية الخالصة .

=

Cf. also, V. Tcherikover, *The Jews in Egypt in the Hellenistic-Roman Age in the Light of the Papyri.* Jerusalem (1945), pp. 14-16.

وعن رأى آخر فى ضريبة اليهود ، راجع :

G. von Manteuffel, *Fouilles franco-polonaises*, t. Ier: *Tell Edfou.* Le Caire (1937), pp. 111-191; *idem*, "Mitteilung über die Ausgrabungen in Tell Edfou (1937)", *Actes du Ve Congrès Int. d. Papyrologie.* Bruxelles (1938), pp. 254-257; *idem*, "Quelques textes provenant d'Edfou", *J.J.P.* III (1949), pp. 111-114.

(١) فى قصاصة بردية صغيرة تعتبر من أقدم مخطوطات « أعمال الشهداء » لأنها نسخت حوالى منتصف القرن الثانى إشارة إلى محاكمة رجل يدعى هرمياس (Hermias) ، لعله زعيم إسكندرى ، أمام الإمبراطور تيتوس الذى حكم ، كما رأينا ، فترة قصيرة (١ يوليو ٧٩ — ١٣ سبتمبر ٨١) . وفيها يطلب هرمياس أن يسمح لشخص آخر ، أكبر الظن أنه رومانى ، بالدفاع عن نفسه ، ولـكن هذا الأخير يأبى ذلك . ومن العسير التحقق من الظروف التى جرت فيها هذه المحاكمة . فالمؤرخ سويتونيوس يكيل المديح لتيتوس ويصفه بأنه أكثر الناس طيبة (*Titus*, VIII, 1: natura autem benevolentissimus) وأنه حبيب الناس وقرة عينهم (*Titus*, I: amor ac deliciae generis humani) . ويقول ديون كاسيوس إنه لم يقتل أحداً أثناء حكمه (LXVI, 18, 1) ولم يقر كأبيه تهمة الخيانة العظمى maiestas (LXVI, 19, 1) ، وإن كان فسبسيان قد عاقب الفيلسوفين الـكلبيين هيراس وديوجنيس لانتقادهما مسلك تيتوس وعلاقته الغرامية مع برنيق (Berenice) اليهودية . ولعل الإسكندريين ، مع كل هـذا ، قد سخروا منه مثلما سخروا من أبيه بسبب هذه العلاقة . ويرجح موسيريللو أن محاكمة هرمياس كانت بسبب تنديده بمسلك موظف رومانى لم يراع تنفيذ الإعفاءات التى منحها الإمبراطور كلوديوس للاسكندريين وأيدها الوالى تيبريوس يوليوس الإسكندر فى منشوره الذى أصدره فى يوليو عام ٦٨ . ويرد فى القصاصة البردية اسم فستينوس ولعله لوكيوس يوليوس فستينوس الذى كان والياً على مصر (٥٩ — ٦١) ، واستدعاه تيتوس (إلى المجلس القضائى ؟) للاستفادة من سابق خبرته بشئون مصر ، أنظر :

C.H. Roberts, "Titus and Alexandria: A New Document", *J.R.S.* 39 (1949), pp. 79-80; Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs.* (Acta Alexandrinorum), No. VI = *Acta Hermiae* (Text, p. 32; Comment, pp. 147-9).

ولكى نفهم ذلك ينبغى أن نعود بالقارىء إلى ما قبل أيام واقعة أكتيوم . لقد انتقلت عبادة الآلهة المصرية — وبخاصة عبادة إيزيس إلى روما فى غضون القرن الثانى قبل الميلاد ، إن لم يكن قبل ذلك التاريخ (١) ، وقد تم ذلك على يد الإغريق الذين كانوا يفدون على روما من مصر مباشرة أو من المناطق المجاورة لإيطاليا كبلاد اليونان وجزر البحر الإيجى وصقلية أو حتى من كمپانيا نفسها (٢) . على أن معظم أتباع الربة المصرية كانوا عادة من الأجانب والعبيد والمعتقين وفقراء الرومان ، وإن ظهر بين صفوفهم أحياناً بعض سيدات الطبقة الأرستقراطية القديمة والجديدة (٣) . فلما تكاثر عدد هؤلاء الأتباع على مر الأيام ارتابت الحكومة الرومانية فى نشاطهم مثلما ارتابت فى نشاط جمعيات الإله باكخوس (Bacchus) (ديونيسوس) فى عام ١٨٦ ق . م . (٤) وعاد السناتو

---

(١) *Cf.* M.S. Salem, *The Cult of Isis in Italy: An Account of its external History* (Unpubl. diss. Liverpool), 1937, p. 42.

رسالة دكتوراه قدمت لجامعة ليفربول فى يوليو عام ١٩٣٧ ، لم تنشر بعد ، ومودعة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٧٠٢٣٤) .

(٢) *Cf.:* M.P. Nilsson, *Geschichte der Griechischen Religion*. Bd. II. München (1950), pp. 115-125.

(٣) G. La Piana, "Foreign Groups in Rome during the first Centuries of the Empire", *Harv. Theol. Rev.* 20 (1927), pp. 292 f. & n. 21; 305 f.; *cf.* M.S. Salem, *The Cult of Isis in Italy*, pp. 150 ff.

(٤) عن قرار السناتو الخاص بقمع نشاط جمعيات باكخوس Senatus consultum de Bacchanalibus ، أنظر :

C.I.L. I (2nd ed.) 581 = *C.I.L.* X, 104 = Dessau *I.L.S.* 18 = Bruns-Gradenwitz, *Fontes* 7, Ch. V, No. 36 (p. 164) = Sandys, *Latin Epigraphy*. 2nd ed. (1927), p. 257 = Girard, *Textes de Droit Romain*. 6th ed. (1937), p. 129 = Warmington, *Remains of Old Latin*, IV (L.C.L. 1940), *Instrumenta*, No. 26 (p. 254) = Riccobono, *Fontes Iuris Romani Antejustiniani*, vol. I, 2nd ed. (1941), No. 30 (p. 240); *cf.* Livius XXXIX, 8-19.

وراجع التعليقات التالية على هذا القرار الهام فى :

W.W. Fowler, *The Religious Experience of the Roman People*. London (1911), p. 348; A. Ernout, *Recueil des textes latins archaïques*. Paris (1916), pp. 58 ff.; G. La Piana, "Foreign Groups in Rome during the first Centuries of the Empire", *Harv. Theol. Rev.* 20 (1927),

(مجلس الشيوخ الرومانى) إلى سياسة التزمت ومكافحة البدع الدينية ، و بخاصة بعد زوال خطر الحرب البونية ، إذ لم يعد بحاجة إلى عون البطالمة بعد أن انتاب الضعف دولتهم . لذلك نجد أحد قنصلى عام ١٦٨ ق . م . يأمر بهدم هيا كل إيزيس وسرابيس القائمة بالمدينة[١] ؛ غير أن الحكومة الرومانية تركت أشياع إيزيس يمارسون شعائر عبادتهم خارج أسوار روما (extra Pomerium) . وفى أيام الدكتاتور سُلاّ اشتد ساعد أنصار إيزيس فنظموا جمعيات دينية فى ساحة مارس خارج المدينة[٢] . و يبدو أن سُلاّ — الذى كان يؤمن بكثير من الخرافات — انتهج سياسة التسامح إزاء العقائد الأجنبية . لكن لم تلبث ديانة إيزيس أن تعرضت لأكثر من اضطهاد خلال فترة الاضطرابات الأهلية التى أعقبت وفاته واستمرت حتى انفرد يوليوس قيصر بالسلطة فى عام ٤٧ ق . م . وازدهرت عبادة إيزيس نتيجة لتأثير كليو بطرة على الدكتاتور الرومانى . ولا ينبغى أن ننسى أن يوليوس قيصر كان زعيماً للحزب الديمقراطى أو الشعبى الذى كان يضم بين صفوفه كثيرين من أفراد الطبقة الدنيا ، وهى أكثر الطبقات إقبالاً على العبادات الأجنبية[٣] . وأحرزت ديانة إيزيس تقدماً مطرداً حتى أن الحكومة الثلاثية (الثانية) اعترفت بها رسمياً فى عام ٤٣ ق . م [٤]

لكن سرعان ما تعثر هذا التقدم عندما نشب النزاع بين أكتافيانوس

= p. 290; C. Bailey, *Phases in the Religion of Ancient Rome*. Berkeley (1932), p. 348; M.S. Salem, *The Cult of Isis in Italy*. (1937), p. 33 f.; F. Altheim, *A History of Roman Religion*. (Eng. trans. by H. Mattingly). London (1938), p. 316 f.; G. Méautis, "Les aspects religieux de "l'affaire" des Bacchanales", *Rev. étud. anc.* 42 (1940), pp. 476 ff.; Lewis-Reinhold, *Roman Civilization*. (Columbia University Records of Civilization: Sources and Studies, No. XLV). New York (1951), vol. I, No. 176 (pp. 468-473).

(١) Valerius Maximus I, 3, 4; *cf.* Salem, *op. cit.* pp. 42, 56 f.

(٢) La Piana, *ibid.* p. 291.

(٣) Salem, *op. cit.*, pp. 48-50.

(٤) Dio Cassius, XLVII, 15, 4.

ومارکوس أنطونيوس . وقد رأينا كيف أعلنت روما الحرب على كليو بطرة ، وكيف تعرضت ملكة مصر لهجاء الشعراء الرومان ، وما صحب ذلك من تشهير بالآلهة المصرية ، وبخاصة بإيزيس التى كثيراً ما ظهرت كليو بطرة فى صورتها ولقيت عبادتها رواجاً فى روما أثناء إقامة الملكة فيها[١] . واستتبع ذلك صدور قرار فى عام ٢٨ ق.م . يقضى بتحريم عبادة الآلهة المصرية داخل العاصمة الرومانية[٢] . وعندما ثارت بعض الاضطرابات فى روما سنة ٢١ ق . م . أثناء غياب أغسطس فى الشرق انتهز أنصار إيزيس الفرصة وتسللوا ثانية إلى داخل العاصمة ، فصدر قرار بتحريم ممارسة طقوس عبادتها إلى مسافة ميل واحد من روما[٣] . ولم تنحسر موجة الاضطهاد فى أيام تيبريوس الذى اشتهر بتحفظه حتى أنه أخذ على عاتقه إصلاح ما اعوج من الأخلاق الرومانية ، فأوعز إلى السناتو فى عام ١٩ م بإصدار قرار بتحريم عبادة الآلهة المصرية واليهودية وطرد أشياعها من إيطاليا إذا لم يرتدوا عنها ويتبرأوا منها خلال أجل معين[٤] . وليس من المستبعد أن يكون الباعث المباشر على هذا الإجراء هو تخوفه من ابن أخيه جرمانيكوس ، الأمير المحبوب ، الذى زار مصر فى نفس العام دون استئذانه ولقى من سكان الإسكندرية ومصر حفاوة بالغة[٥] .

لكن نفوذ ديانة إيزيس عاد إلى سابق قوته عندما اعتلى العرش كاليجولا الذى أعاد بناء معبدها فى ساحة مارس أو أعاد فتحه . وقد ثبت أن الخراب الذى عثر عليه فى القصر الإمبراطورى كان معبداً أقامه ذلك الحاكم للربة المصرية .

---

(١) Salem, *op. cit.*, pp. 49 f., 152.
راجع أيضاً صفحات ١٩ ، ٢٩ ، ٣٠ هامش ٧ ، ٣٢ ، ٣٤ .

(٢) Dio Cassius, LIII, 2, 4.

(٣) Dio Cassius, LIV, 6, 6.

(٤) Tacitus, *Ann.* II, 85, 5; Suetonius, *Tib.* XXXVI.

(٥) راجع ص ٥٧ وما بعدها .

ولعل القارىء يذكر كيف استقبل كاليجولا السفارتين الإغريقية واليهودية فى عام ٣٩ وأنه كان أكثر عطفاً على الأولى منه على الثانية[١] . ويحدثنا فيلون بأنه قد تملكته رغبة جامحة فى مشاهدة الإسكندرية التى كان حريصاً على الذهاب إليها بأقصى سرعة حيث اعتزم الإقامة مدة طويلة لعل فكرة تأليهه ، التى كانت تشغل باله ، تنبثق فى يُسرٍ وتلقى رواجاً فى تلك المدينة قبل غيرها[٢] . و يضيف فيلون أنه لم يكن هناك بين الناس من هم أكثر من الإسكندريين طواعية لتأييد ألوهيته . وقد شغف كاليجولا بالعقائد الشرقية وطقوسها السرية ، ولعله وجد فى الديانة المصرية سنداً ترتكز عليه فكرة عبادته . لذلك يرجح بعض الباحثين أن كاليجولا هو الذى أصدر قراراً بالاعتراف الرسمى بديانة إيزيس ، مناقضاً بذلك سياسة أغسطس وتيبريوس[٣] . ولم تتعرض عبادة إيزيس للاضطهاد فى زمن خليفته كلوديوس الذى روى أنه طرد اليهود من روما بسبب ما أثاروه من شغب[٤] و إلى عصره ينسب أقدم نقش عن عودة ظهور إيزيس بعد طردها فى عصر

---

(١) راجع ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٢) *Legat.* 338; *cf.* A.A. Aly, "The Conflict between Caligula and Judaea, *Ann. Fac. Ar. Ibrahim Univ.* II (1953), p. 115 f.

(٣) M. Salem, *The Cult if Isis in Italy*, pp. 81 ff.

(٤) Suetonius, *Div. Claud.* XXV, 4: Iudaeos impulsore Chresto assidue tumultuantis Roma expulit:

طرد اليهود من روما لإثارتهم اضطرابات مستمرة بتحريض خريستوس (هل Chrestus هو Christus أى المسيح ؟ إن تاكيتوس (Ann. XV, 44) يذكر الإسم صحيحاً Christus ويقول إنه أعدم على يد بنطيوس بيلاطوس ، حاكم أرض يهوذا ، فى عصر تيبريوس) ؟ ويؤيد رواية سويتونيوس عن اليهود ماورد فى أعمال الرسل (الإصحاح ١٨ ، ٢ : لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضى جميع اليهود من رومية) . غير أن ديون كاسيوس يقول (LX, 6, 6) إن كلوديوس لم يطرد اليهود من روما بل حظر عليهم فقط عقد الاجتماعات . لعل الشغب المشار إليه نشأ عن دعاية المسيحيين وتبشيرهم بالدين الجديد بين اليهود المقيمين فى روما . راجع :

G. La Piana, *Harv. Theol. Rev.* 20 (1927) p. 376, n. 7; H. Janne, *Mélanges Bidez* (1934), pp. 531-553.

تيبريوس[١] . وإذا كان نيرون قد ازدرى العبادات الشرقية ما عدا عبادة الربة السورية (Dea Syria) ، فإن بلاطه قد وقع تحت تأثير أشخاص ذوى ميول مصرية من أمثال خيريمون النقراطيسى ، مربى القصر ، و بالبيالوس العالم الفذ الذى برع فى التنجيم[٢] ، وكان — فيما يحتمل — والياً على مصر من عام ٥٥ حتى عام ٥٩[٣] ، ومن أمثال أوتو ، صديقه المتفانى فى عبادة إيزيس ، وأخيراً بو بايا سابينا مطلقة أوتو ، وزوجة نيرون التى تشبهت بإيزيس وأحاطت نفسها بنفر من المنجمين الشرقيين ، وقد ينهض تحنيط جثتها بعد وفاتها دليلا على تأثرها بالعقائد المصرية[٤] ولقد تأثر نيرون نفسه بالخزعبلات الدينية . ولم يكن بأى حال يكره المصريين ، فقد اعتزم — كما رأينا — زيارة الإسكندرية وتوسل ، عندما تخلى عنه الجيش ، أن ينصب والياً على مصر[٥] . لهذا كله يرجح بعض المؤرخين أن الاعتراف الرسمى بعبادة إيزيس قد تم فى عهد نيرون ، هذا إذا لم يكن قد تمّ فى عهد كاليجولا . غير أن هذا لا يبدو أن يكون محض افتراض[٦] . وأما أوتو الذى نودى به إمبراطوراً بعد مصرع جالبا فى ١٥ يناير عام ٦٩ فكان من أنصار ديانة إيزيس المتحمسين حتى أنه كان يمارس شعائرها علناً و يرتدى الثوب الكتانى الذى تقتضيه عبادتها[٧] . و بلغ نفوذ إيزيس من القوة حينئذ ما جعل

---

(١) *C.I.L.* VI, 353.

(٢) *Cf.* La Piana, *ibid*, pp. 276, 304.

(٣) M.S. Salem, *The Cult of Isis in Italy*, p. 86, n. 4; *cf.* Musurillo, *The Acts of the Pagan Martyrs*, p. 130 f.

(٤) Tacitus, *Ann.* XVI, 6, 2; Salem, *op. cit.*, p. 86 f.; *cf.* however, A.D. Nock, "Cremation and Burial in the Roman Empire", *Harv. Theol. Rev.* 25 (1932), pp. 321-359.

(٥) راجع ص ١٣٠ ، هامش ٢ .

(٦) Salem, *op. cit.*, p. 88.

(٧) Suetonius, *Otho* XII, 1: sacra etiam Isidis saepe in lintea religiosaque veste propalam celebrasse.

أتباعها يمارسون شعائر دياناتها فى اطمئنان فوق الكابيتول نفسه على الرغم من احتدام الحرب الأهلية فى عام ٦٩ . ولقد روى أن دوميتيان ابن الإمبراطور فسبسيان احتمى بالكابيتول عندما شق جنود فيتلليوس طريقهم إلى هذا التل وأضرموا النار فى معبده الكبير ، وقضى الليلة مختبئاً فى بيت حارس المعبد ، ولما طلع النهار تنكر فى زى أحد أشياع إيزيس ثم عبر التيبر مع خليط من كهنتها دون أن يكشف أحدٌ أمره [١] .

و بارتقاء أسرة فلافيوس عرش الإمبراطورية يبدأ العصر الذهبى لعبادة إيزيس فى روما . ومع أننا لا نعرف على وجه الدقة ما قام به فسبسيان من أجل الديانة المصرية ، فنحن لا نرتاب فى أنه غمرها بأفضاله . لقد أنقذت إيزيس ابنه دوميتيان من موت محقق ، وقام سرابيس بالشىء الكثير لشد أزره . وفى الحق أن سرابيس — كما يروى سويتونيوس — قد منح هذا الرجل المغمور الأصل ما كان يعوزه من نفوذ وجلال [٢] . وكان بلاطه — فيما يبدو — غاصاً بأشياع إيزيس وسرابيس . ولدينا نقش من عصره كتبه أحد عبيد تيتوس تمجيداً لإيزيس التى لا تُقهر (Isis Invicta) [٣] . وفى عصره أيضاً أقيم تمثال ضخم للنيل مجسداً فى هيئة رجل يحيط به ستة عشر ولداً يرمزون إلى الستة عشر ذراعاً التى إن يبلغها ماء الفيضان ، يبشر بالرخاء فى جميع أنحاء مصر — وهو تمثال شديد الشبه بالتمثال المحفوظ الآن فى متحف الفاتيكان [٤] . وتحمل نقود فسبسيان التى سُكت فى روما وتَرّاكوولينا صورة إيزيس فى معبدها بساحة مارس [٥] .

(١) Suetonius, *Domit.* I, 2; Tacitus, *Hist.* III, 74, 1.

(٢) راجع ما تقدم فى ص ١٤٣ .

(٣) *C.I.L.* VI, 346.

(٤) R. Lanciani, *The Destruction of Ancient Rome.* London (1901), p. 222; L. Whibley (editor), *Comp. Gr. Stud.* 4th ed. (1931), Fig. 56 (p. 317); *cf.* W.G. Waddell, *Herodotus: Book II* (1939), p. 132 f., n. 6.

(٥) H. Mattingly, *Coins of the Roman Empire in the British Museum.* London (1930-36), vol. II, Nos. 572, 659, 780, 812.

وقد ضربت هذه النقود لتخليد ذكرى أسعد حادثة فى تاريخ إيزيس فى روما عندما أمضى فسبسيان وابنه تيتوس الليلة السابقة على يوم الانتصار الأخير على اليهود فى معبدها بساحة مارس (Iseum Campense) [١] . وقد ذكرنا كيف زار تيتوس ممفيس واشترك فى حفل تنصيب أبيس الجديد ولبس التاج التقليدى جرياً على سنة الفراعنة فى مثل هذه المناسبة[٢] . وعندما تولى دوميتيان الحكم من بعده وجدت فيه إيزيس راعياً لدياناتها إذ كان يشعر بأنه مدين لها بحياته ، فضلاً عن أنه وجد فى الديانة المصرية — مثلما وجد كاليجولا من قبله — ما يبرر به مطالبة رعاياه بتأليهه . ومع أنه كان يبغض الديانات الأجنبية فإنه استثنى إيزيس من بغضه . فقد أعاد فى عام ٩٤ بناء معبدها فى ساحة مارس الذى كان الحريق قد دمره فى عام ٨٠[٣] . وتحمل المسلة التى أقامها أمام مدخل ذلك المعبد نقشاً هيروغليفياً يخلد عمله[٤] .

وفى عام ٨٨/٨٩ شيد لوكيليوس ، وهو أحد مواطنى بلدة بنيفنتوم بجنوب إيطاليا معبداً لإيزيس من أجل نجاة الإمبراطور وعودته ، ونصب أمامه مسلتين تحملان نقوشاً هيروغليفية ، توصف فيها إيزيس بأنها سيدة بنيفنتوم[٥] . فكأن دوميتيان فى الواقع قد أسبغ على عبادة إيزيس صفة شبه رسمية[٦] . ولعل ذلك

---

(١) Josephus, *Bell. Iud.* VII, 5, 4; *cf.* Salem, *The Cult of Isis in Italy*, p. 92, n. 1.

(٢) راجع ص ١٤٥ .

(٣) Dio Cassius, LXVI, 24, 2; Eutropius V, 23, 5; *cf.* G. Wissowa, *Religion and Kultus der Römer*. München (1912), p. 353, n. 1.

وعن معبد إيزيس وسرابيس فى ساحة مارس ، أنظر :

S.B. Platner, *Topography and Monuments of Ancient Rome*. Boston (1911), p. 358 f.

(٤) A. Erman, *Sitzungsb. Kaiserl. preuss. Akad. Wiss.* (1917), p. 279.

(٥) A. Erman, *Zeitschr. f. aegyptische Sprache and Altertums kunde* 34 (1896), p. 149 f.; *cf.* A. Baillet, *ibid.* 40 (1902-3), p. 147 f.; M.P. Charlesworth, *C.A.H.* XI (1936), p. 27.

(٦) تشير بردية من أكسيرنخوس (البهنسا) إلى عبادة إيزيس فى روما :
(P. Oxy. 1380)

يفسر سبب ابتهاج السلطات الرومانية فى مصر سياسة تنم عن التسامح إزاء الديانة المصرية . ويتضح من النقوش بناء معابد لأفروديتى وهى الربة اليونانية المقابلة لهاتور (حتحور) المصرية ، ربة كوم أمبو ، وكذلك لهيرا التى تمثل ساتى ، (Satis) ربة الشلال الأول عند إلفانتين (جزيرة أسوان) . ومن العملة يتضح أن صور الآلهة الإقليمية بدأت تحل محل صور الآلهة المصرية — السكندرية الشهيرة كإيزيس وسرابيس وأجاثوس دايمون . ولدينا مجموعة من النقود البرنزية التى ضربت فى عام ٨٧ / ٨٨ تحمل صور آلهة محلية ، ومع أنها تظهر فى أزياء يونانية فإنها توصف بألقابها المصريه . ومنذ هذا التاريخ تظهر أشكال الآلهة الوطنية بكثرة فى العملة السكندرية[١] .

غير أن ما فعله دوميتيان من أجل إيزيس لبواعث شخصية لم يكن فى حقيقة الأمر يمثل شعور الرومان بوجه عام نحو الآلهة المصرية ، وبخاصة آلهة الاقاليم المحلية . لقد كان الرومان ، ولا سيما أفراد الطبقة الأرستقراطية المثقفة ، ينظرون شذراً إلى هذه الآلهة ويستهجنون كثيراً من طقوسها الدينية ، ويستنكرون تقديس المصريين للحيوانات التى تتجسد فيها هذه الآلهة . وكان يزيد من عجبهم تلك المعارك التى كانت تنشب أحياناً بين القرى المصرية بسبب الاختلاف حول تقديس الحيوانات ، وهو أمر كثيراً ما أزعج السلطات الرسمية وحملها على التدخل لفض المنازعات بالقوة المسلحة . ولعل ما رواه الشاعر اللاتينى يوونااليس أو جوڤينال (Iuvenalis) هو أنسب ما يذكر فى هذا المقام على الرغم من غلوه وتهويله . يقول هذا الشاعر الهجاء فى القصيدة الخامسة عشرة من ديوانه[٢] :

---

(١) J.G. Milne, *A History of Egypt under Roman Rule*, 3rd ed. London (1924), p. 34.

وعن تاريخ عبادة إيزيس فى روما بعد أسرة فلافيوس ، راجع :

G. La Piana, "Foreign Groups in Rome during the first Centuries of the Empire", *Harv. Theol. Rev.* 20 (1927), pp. 303-340; M.S. Salem, *The Cult of Isis in Italy* (1937), pp. 95-112.

(٢) Iuvenalis, Sat. XV, 27-83 (ed. J.D. Duff: D. IVNII IVVENALIS SATVRAE XIV: *Fourteen Satires of Juvenal*. Cambridge, 1932).

(١) سنروى الآن قصة عجيبة وقعت منذ قريب(٢) أثناء قنصلية
يونكوس(٣) وراء أسوار قفط القائظة ،
سنروى جريمة شعب هى أبشع من كل جرائم المآسى المسرحية ؛

٣٠ وقد تقرأ كل المآسى المسرحية منذ زمن الطوفان(٤)
غير أنك لن تجد بين كتاب المأساة من جعل الشعب يرتكب جريمة: فاسمع
أى نكر أتت به الوحشية البشعة فى عصرنا الحالى !
ان الخصومة القديمة المتأصلة والكراهية الأبدية
التى لا تندمل جراحها ابداً ما تزال الى الآن

٣٥ متأججة بين البلدين المتجاورين أومبى وتنتيرا(٥) ، فالحنق فى كليهما
قد بلغ ذروته بين عامة الأفراد لأن كل بلد منهما
يمقت آلهة جيرانه ، اذ أنه يعتقد بأن الآلهة التى يعبدها نفسه
هى الجديرة دون سواها بأن تعد آلهة • وحدث فى فترة العيد
عند أحد القومين أن بدا لأقطاب

٤٠ خصومهم وقادتهم جميعا أنه لا بد من اغتنام الفرصة حتى لا
يتمتع القوم (الآخرون) بيوم فرح وحبور أو بلذة العشاء الفاخر
اذ تمد الموائد عند المعابد ومفترق الطرق
ويطول السهر على الأرائك التى تطرح بالليل وبالنهار
حتى تطلع عليها شمس اليوم السابع • حقا

٤٥ ان مصر بلد فظ بيد أن شعبها الهمجى ــ كما لاحظت بنفسى ــ
لا يقل خلاعة عن كانوب الشهيرة(٦) ؛
هذا الى أن الانتصار سهل على قوم سكارى
متلعثمى الألسن يترنحون من الخمر • ففى ناحية قام نفر من الرجال
يرقصون على أنغام زمار أسمر ، وقد تعطروا بما اتفق

٥٠ من طيب ، وعصبوا الجباه بأكاليل متنوعة الأزهار

---

(١) ترجم أيضاً هذا الجزء من القصيدة وعلق عليه تعليقاً وافياً زميلى المرحوم الدكتور وهيب كامل فى مقال بعنوان « يوڤناليس فى مصر » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس (١٩٥٧) ص ٩ — ٣٥ ، وقد أفدت من ترجمته وشرحه إفادة كبيرة

(٢) إن كلمة nuper (منذ قريب) أو حديثاً لا تعنى بالضرورة منذ مدة قصيرة بل قد تعنى أحياناً منذ فترة مداها عشرين عاماً أو أكثر .

(٣) كان لوكيوس أيميليوس يونكوس وسكستوس يوليوس سڤيروس قنصلين فى عصر هدريان من أكتوبر عام ١٢٧ إلى آخر يناير عام ١٢٨ ؛ راجع :

A. Degrassi, *I Fasti consolari dell'Impero romano.* (Sussidi Eruditi 3). Roma (1952), p. 37.

(٤) فى الأصل منذ پيرها (Pyrrha) بنة پندورا (Pandora) وزوجة ديوكاليون =

nos miranda quidem sed nuper consule Iunco
gesta super calidae referemus moenia Copti,
nos vulgi scelus et cunctis graviora cothurnis,
nam scelus, a Pyrrha quamquam omnia syrmata volvas,
nullus aput tragicos populus facit. accipe, nostro
dira quod exemplum feritas produxerit aevo.
inter finitimos vetus atque antiqua simultas,
immortale odium et numquam sanabile vulnus
ardet adhuc Ombos et Tentyra. summus utrimque
inde furor volgo, quod numina vicinorum
odit uterque locus, cum solos credat habendos
esse deos quos ipse colit. sed tempore festo
alterius populi rapienda occasio cunctis
visa inimicorum primoribus ac ducibus, ne
laetum hilaremque diem, ne magnae gaudia cenae
sentirent positis ad templa et compita mensis
pervigilique toro, quem nocte ac luce iacentem
septimus interdum sol invenit. horrida sane
Aegyptos, sed luxuria, quantum ipse notavi,
barbara famoso non cedit turba Canopo.
adde quod et facilis victoria de madidis et
blaesis atque mero titubantibus. inde virorum
saltatus nigro tibicine, qualiacumque
unguenta et flores multaeque in fronte coronae.

= (Deucalion) بن بروميثيوس (Prometheus) ، وهى كناية عن الطوفان الذى أحدثه زيوس وغمر به الجانب الأكبر من بلاد اليونان . وقد دلفت مع زوجها فى صندوق طاف فوق الماء ونزلا على جبل برناسوس .

(٥) أومبى ليست كوم أمبو التى تبعد عن تنتيرا (دندرة) بمسافة تزيد عن ١٢٠ ميلا ، وتقع على الجانب الشرقى من النيل فى حين أن دندرة تقع على الجانب الغربى منه . وقد ثبت الآن أن أومبى هى بلدة نبط التى تقع إلى الجنوب من دندرة مباشرة ، وكلتاهما فى شمال قفط ، راجع :
وهيب كامل « يوناليس فى مصر » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس (١٩٥٧) ، ص ٢٢ ، حاشية ٢ ؛ وكذلك :
Ball, *Egypt in the Classical Geographers*, p. 157 n.

(٦) عن سمعة كانوب السيئة واشتهارها بالعبث والفجور ، راجع :
Strabo XVII, 1, 17; Iuvenalis, *Sat.* VI, 82-84.
وكذلك ص ٣٢ ، هامش ٥ ؛ ص ٣٤ ، هامش ٦ فيما تقدم .

وفي الناحية الأخرى كان الحقد فاغرا فاه . على أن السباب بدأ يدوى
أولا في نفوسهم الملتهبة ، فكان ذلك بمثابة بوق القتال ،
وبعدئذ حدث الالتحام وقد تعادل صراخ الجانبين ، وصالت الأيدى
العزل بدلا من السلاح ، فقل من الأصداغ ما نجا من الجراح ،

٥٥ وبالأحرى لم يخرج أحد صحيح الأنف من كل المتقاتلين .
وفي وسعك أن ترى الآن الوجوه مشدوخة بين صفوف
المتشاجرين جميعا ، وقد تغيرت سماتها وبرزت العظام من الأصداغ
المشجوجة ، وترى قبضات الأيدى ملطخة بالدماء التى سالت من العيون
ومع هذا فهم يعتقدون أنهم يمزحون ويشتون

٦٠ حربا كحرب الصبية لأنهم لا يدوسون جثثا صريعة ،
ولا غرو فما جدوى ألوف المتشاجرين الغفيرة
اذا بقوا جميعا على قيد الحياة ؟ ومن ثم ازداد الهجوم عنفا
فانحنوا ينقبون فى الأرض عن الحجارة ، وهى سلاحهم
الوطنى فى الفتن وشرعوا يطوحون بها(١) : وهى ليست

٦٥ كهذه الحجارة التى كان يقذف بها تورنوس(٢) أو أياس(٣)
أو كالتى ضرب بها ابن تيديوس(٤) حقو
اينياس ، بل هى مما تقوى على رميها أياد
مختلفة عن أيادى أولئك الأبطال ، اذ أنها خلقت فى عصرنا الحاضر .
ذلك أن الجنس البشرى بدأ فى الهزال حتى فى عصر هوميروس ،

٧٠ فالأرض تنبت الآن رجالا أشرارا تافهين(٥)
ولهذا يسخر منهم ويمقتهم كل من يراهم من الآلهة .

---

(١) Cf. Strabo XVII, 1, 53.

(٢) بطل كان ملكا على الروتوليين الذين كانت عاصمتهم أردبا فى وسط إيطاليا وقد خطب لافينيا بنة لاتينوس ، ولكن الأخير زوجها من آينياس الطروادى . واستثارت الربة يونو (جونو) غضب اللاتين فانضموا إلى الروتوليين وأشهروا الحرب على الطرواديين وقد أبلى تورنوس فى هذه الحرب بلاء حسناً وقاد الهجوم على المعسكر الطروادى ودافع عن لافينيوم . غير أنه لقى مصرعه فى آخر الأمر على يد آينياس :

(راجع Vergilius, Aen. XII, 896-901)

(٣) أياس بن تيلامون قائد أهل سلاميس فى حصار طروادة ، والإشارة إلى الإلياذة (XII, 380-383)

(٤) هو ديوميديس قائد أهل أرجوس فى حصار طروادة (Il. V, 302-305)

(٥) كان اليونان والرومان من بعدهم يعتقدون بأن الجنس البشرى قد تدهور على تعاقب العصور التى يقسمها الشاعر هسيودوس إلى خمسة : الذهبى والفضى والبرونزى ثم عصر الأبطال وهو الذى يمثله عصر الحرب الطروادية وأخيراً عصر الحديد ، وهو أسوأ العصور وأكثرها شروراً .

hinc ieiunum odium. sed iurgia prima sonare
incipiunt, animis ardentibus haec tuba rixae.
dein clamore pari concurritur, et vice teli
saevit nuda manus. paucae sine vulnere malae,
vix cuiquam aut nulli toto certamine nasus
integer. aspiceres iam cuncta per agmina vultus
dimidios, alias facies et hiantia ruptis
ossa genis, plenos oculorum sanguine pugnos.
ludere se credunt ipsi tamen et pueriles
exercere acies, quod nulla cadavera calcent.
et sane quo tot rixantis milia turbae,
si vivunt omnes? ergo acrior impetus, et iam
saxa inclinatis per humum quaesita lacertis
incipiunt torquere, domestica seditioni
tela, nec hunc lapidem, qualis et Turnus et Aiax,
vel quo Tydides percussit pondere coxam
Aeneae, sed quem valeant emittere dextrae
illis dissimiles et nostro tempore natae.
nam genus hoc vivo iam decrescebat Homero,
terra malos homines nunc educat atque pusillos;
ergo deus quicumque aspexit, ridet et odit.

ولنعد من الاستطراد الى قصتنا • فبعد
أن تزايد عددهم بالامداد تجاسر فريق منهم وشهر
السلاح باذئا من جديد المعركة بالسهام الخطرة ،

٧٥ وعندئذ فر اهالى تنتيرا (دندره) المجاورة ذات أشجار
النخيل الظليلة مهرولين أمام أهالى أومبى الذين جدوا فى أثرهم
وتملك الرعب الشديد واحدا من الفئة الأولى فأسرع
فى الجرى فتعثر وقبض عليه • فما كان من الفئة
الغالبة الا أن مزقته اربا وأشلاء عدة حتى

٨٠ يكفى قتيل واحد عدة رجال ، والتهمته كله ونهشت عظامه •
ولم تسلقه فى قدر من النحاس أو تشوه فوق
أسياخ ، اذ قدرت أن انتظار نضجه بالنار سيكون طويلا
ثقيلا فرضيت بالجثة نيئة •

كان چوڤينال صاحب هذه القصيدة من أقذع شعراء الهجاء عند الرومان ، إن لم يكن أقذعهم . ويكتنف الغموض حياته لأن قصائده تكاد تخلو من أى شيء يجلو سيرته . لكن يبدو من تراجم حياته التى وصلتنا أنه انتظم فى سلك الفرسان وخدم برتبة قائد لإحدى كتائب القوات المساعدة فى بلد أكوينوم (Aquinum) ، مسقط رأسه . فلما انتهت مدة خدمته فى الكتيبة لم يرقَّ بعدها إلى رتبة أعلى ، فانتقل إلى روما حيث أخذ يتقرب من بعض رجال القصر أملاً فى مساعدتهم ولكنه لم يتمكن من تحقيق مأربه . وقد حز فى نفسه أن رأى كثيرين من أحلاس القصر يظفرون بالمناصب على الرغم من عدم كفاءتهم ، فنظم قصيدة هجا فيها شخصاً تافه القدر كان قد نال الحظوة لدى الإمبراطور . ورأى الأخير فى القصيدة طعناً فى نزاهة الحكم فثار غضبه على الشاعر وأصدر أمراً بنفيه من روما . وإذ كان چوڤينال قد عرف بكراهيته الشديدة لدوميتيان ، فقد رجح كثير من الباحثين أن هذا الإمبراطور هو الذى نفاه حوالى عام ٩٢ إلى أقصى حدود مصر حيث عين قائداً لإحدى الكتائب الثلاث المرابطة عند أسوان . غير أن هناك من القرائن ما يشير إلى أن چوڤينال كان يقيم فى روما حوالى ذلك التاريخ مما يرجح أن نفيه ربما حدث فى تاريخ لاحق ، أكبر الظن أثناء عصر

a deverticulo repetatur fabula. postquam
subsidiis aucti, pars altera promere ferrum
audet et infestis pugnam instaurare sagittis.
terga fugae celeri praestant, instantibus Ombis,
qui vicina colunt umbrosae Tentyra palmae.
labitur hic quidam nimia formidine cursum
praecipitans capiturque. ast illum in plurima sectum
frusta et particulas, ut multis mortuus unus
sufficeret, totum corrosis ossibus edit
victrix turba, nec ardenti decoxit aeno
aut veribus, longum usque adeo tardumque putavit
expectare focos, contenta cadavere crudo.

هدريان (١١٧ — ١٣٨) . وأيًّا كان الوقت الذى نفى فيه الشاعر فمن الواضح من هذه القصيدة التى نظمت بعد سنة ١٢٧ وغيرها من القصائد أنه أقام فى مصر وحول منطقة أسوان بالذات ، فترة من الزمن[1] .

والقصيدة كما يلمس القارىء فياضة بالهجاء المقذع وتكشف عن مقت شديد لمصر والمصريين . لقد كان جوڤينال شاعراً متبرماً ساخطاً موتوراً فنقد عيوب المجتمع الرومانى نقداً مريراً وتهكم بنقائص أفراده تهكماً لاذعاً . وكان شديد الكراهية للأجانب فحمل على اليونان والشرقيين واليهود وغيرهم حملة شعواء . غير أنه اختص مصر بكراهية عمياء[2] . ومن العسير أن نعرف أسباب حقده الدفين عليها أو تهكمه الموجع بعادات أهلها وعقائدهم الدينية . لكننا لا نستبعد أن تكون مصر قد اقترنت فى ذهنه دائماً بحادثة نفيه ، وما لقيه فى منفاه من شدة

---

(١) عن هذه المشكلات الخاصة بحياة جوڤينال راجع :

J.D. Duff, *D. IVNII IVVENALIS SATVRAE* XV; *Fourteen Satires of Juvenal*, Cambridge (1932), pp. ix-xxiii; G. Highet, "The Life of Juvenal", T.A.P.A. 68 (1937), pp. 480-506; Idem. *Juvenal the Satirist*, Oxford (1954), pp. 1 ff.

(٢) وهيب كامل « يونانيون فى مصر » المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس (١٩٥٧) ص ١٦ — ٣٥

رعناء . ولا مراء كذلك فى أنه اقتفى أثر من سبقوه من الكتاب الرومان الذين شهروا بمصر وصوروها فى صورة شوهاء . ولم تبرح مصر مخيلته فظل مشغولاً بها يتصيد الفرص للتعريض بها والطعن فيها . فهو يهجو أى رجل اتصل بمصر من قريب أو بعيد ، ويهاجم كهنتها ويسخر من آلهتها . وقد هاله انتشار عبادة إيزيس فقال إن إيزيس قد غزت قلوب أهل روما فامتلأت معابدها بالصور التى ينذرها لها الناس شكراً على نجاتهم من الخطر ، ورأى فى هذه النذور شاهداً على أن إيزيس هى التى تقيم أود الرسامين[١] . هاله ذلك فجرد قلمه لتشويه سمعتها ووصف معابدها بأنها أماكن للفسق ، إذ تتزين النساء ويهرعن إلى لقاء عشاقهن فى الحدائق أو عند محاريب إيزيس القوادة[٢] . استمع إليه يقول فى مطلع القصيدة التى تقدمت ترجمتها[٣] :

من ذا الذى لا يعلم ، يا ڤوليسيوس البيثينى (٤) ، أى مخلوقات غريبة
تقدسها مصر البلهاء ؟ فهذه المنطقة تعبد التمساح(٥) ،
وتلك يمتلىء قلبها رهبة من أبى منجل المتخم بالثعابين(٦) ،

---

(١) *Sat.* XII, 28: pictores quis nescit ab Iside pasci?

(٢) *Sat.* VI, 488-9: ...et properat iamque expectatur in hortis aut aput Isiacae potius sacraria lenae.

(٣) *Sat.* XV, 1-13.

(٤) صديق لجوڤينال غير معروف .

(٥) كان أهم مركز لعبادة التمساح (سبك Sobek عند المصريين وسوخوس Souchos عند اليونان) هو إقليم الفيوم الذى عرف قديماً باسمه ، كما عرفت مدينة الفيوم نفسها بمدينة التمساح (Crocodilopolis) ، وبعدئذ باسم مدينة أرسينوى ؛ كما كان التمساح مقدساً فى طيبة ، وإن لم يكن كذلك فى دندرة أو إلفانتين . راجع ص ٨ أعلاه ، وكذلك : Herodotus II, 69; Strabo XVII, 1, 38, 44.

(٦) كان الأيبيس (ibis) — أبو منجل — مقدساً فى هرموبوليس مجنا — الكبرى — (الأشمونين) وهرموبوليس برڤا — الصغرى — (دمنهور) . وكان يمثل الإله تحوت Thoth (Herodotus II, 67) . وقد أفاض هيرودوت فى وصفه (II, 76) ويقول =

وبتلألأ التمثال الذهبي للنسناس (١)

٥ حيث ترجع الاوتار السحرية أنغام ممنون المتصدع(٢)
وتستلقى طيبة القديمة تحت أنقاض المائة باب (٣)
هناك يعبدون القطط (٤) ، وهنا سمك « النهر » (٥) ، هنالك
المدن كلها تعبد الكلب (٦) ، ما من احد يعبد ديانا (٧) ،
وحرام أن يدنس الكراث والبصل، وأن يقضما بالأسنان (٨)

١٠ يا له من شعب قدسي تنبت عنده هذه الآلهة في الحدائق !
ان موائده جميعا تعزف عن ذى الوبر من الحيوان(٩) ،
وبينما يحرم هناك ذبح صغار الماعز (١٠)
يستباح أكل لحوم البشر (١١) .

Quis nescit, Volusi Bithynice, qualia demens
Aegyptos portenta colat? crocodilon adorat
pars haec, illa pavet saturam serpentibus ibin.
effigies sacri nitet aurea cercopitheci,
dimidio magicae resonant ubi Memnone chordae
atque vetus Thebe centum iacet obruta portis.
illic aeluros, his piscem fluminis, illic
oppida tota canem venerantur, nemo Dianam.
porrum et caepe nefas violare et frangere morsu;
o sanctas gentes quibus haec nascuntur in hortis
numina. lanatis animalibus abstinet omnis
mensa, nefas illic fetum iugulare capellae:
carnibus humanis vesci licet.

= إن سبب تقديس المصريين له هو إبادته الثعابين المجنحة التي تطير في الربيع من بلاد العرب إلى مصر (II, 75) ، ويتردد نفس المعنى عند غيره من الكتاب :

Plinius, Nat. Hist. X, 75; Diod. Sic. I, 87, 6; Cicero, *de nat. deor.* I, 36, 101; Ammian. Marcell. XXII, 15, 25; *cf.* W.G. Waddell, *Herodotus: Book II*. London (1939), p. 192, n. 13.

(١) كان النسناس الذى يرمز الى الإله تحوت مقدساً في هرموپوليس (الأشمونين) .

(٢) عن تمثالى ممنون والنغم الذى قيل انه كان يصدر عنهما عند ما تمسهما أشعة الشمس ، راجع ما ذكرناه في ص ٧٤ ، هامش ٦ .

(٣) عن طيبة (الأقصر الحالية) ، راجع ما ورد في ص ٧٤ . وهوميروس هو الذى وصفها
=

= بأنها ذات المائة باب التي ينطلق من كل باب منها مائتا محارب بخيلهم ومركباتهم (Il. IX, 383-5) ، راجع أيضاً ديودور الصقلي (I, 45, 6-7) . وعندما زارها استرابون في عام ٢٥ ق. م (راجع ص ٦٤ حاشية ٢ ، ص ٧٥ هامش) كانت مخربة تشتمل على عدد قليل من القرى (XVII, 1, 46) .

(٤) كانت بوباسطيس Bubastis أو برباستت (تل بسطة قرب الزقازيق) هي مكان عبادة القطة التي تتجسد فيها الربة باستت (Herodotus II, 66, 67) . ويقول ديودور الصقلي إن من يقتل عامداً أحد الحيوانات المقدسة يلاقي الموت ، وأما من يقتل قطة أو أبا منجل فجزاؤه الموت على أي حال سواء قتلها عامداً أم غير عامد ، إذ تحتشد جموع من الناس وتنكل به تنكيلاً رهيباً . وهم يفعلون ذلك أحياناً دون تقديم المذنب للمحاكمة (I, 83, 6) . ويروي حادثة طريفة يزعم أنه لم ينقلها عن سماع بل شهدها بعينيه أثناء زيارته مصر في عام ٥٩ ق. م ليدلل بها على مدى تأصل الشعور الديني في نفوس المصريين نحو الحيوانات . يقول إن المصريين — قبل أن يمنح الرومان ملكهم بطلميوس (الثاني عشر الملقب بالزمار) لقب صديق (راجع ص ١٣ أعلاه) بذلوا ما في وسعهم للترحيب بالسفارة التي جاءت من إيطاليا لزيارة مصر في ذلك الوقت ، وحرصوا مدفوعين بالخوف على ألا يهيئوا للرومان سبباً للشكوى منهم أو إشهار الحرب عليهم . لكن ... عند ما قتل أحد الرومان قطاً تدفقت الجماهير الغفيرة على بيته ولم يستطع الموظفون الذين أرسلهم الملك للمطالبة بالرجل ولا شعور الخوف العام من روما أن ينقذه من العقاب ، مع أن ما فعله كان عن غير قصد (I, 83, 8-9) .

(٥) عن تقديس المصريين بعض أنواع من السمك ، راجع :
Herod. II, 72; Strabo XVII, 1, 40; Plut. *de Is. et Osir.* 7.

حيث يقول استرابون (ويؤيده بلوتارخوس) إن مدينة أكسيرنخوس (البهنسا) تقدس نوعاً من السمك الرخي (لعله القنومة) باسم oxyrhynchus وله عندهم معبد موقوف على عبادته ، وإن كان غيرهم من المصريين يقدسون أيضاً الأكسيرنخوس . ولعل ذلك يرجع إلى الدور الذي قام به هذا السمك في أسطورة إيزيس وأوزيريس قرب ذلك المكان .

(٦) كانت كينوپوليس (مدينة الكلاب) — وهي الشيخ فضل قرب بني مزار — تعظم أنوبيس بإقامة مآدب مقدسة للكلاب (Strabo XVII, 1, 40) ، وكان المصريون يصورون أنوبيس في صورة إنسان له رأس الكلب إشارة إلى أنه حارس أتباع إيزيس وأوزيريس (Diod. Sic. I, 87, 2-3; *cf.* Ovid. *Am.* II, 13, 11) وراجع ص ٣٢ ، ٣٤ أعلاه .

(٧) ديانا عند الرومان هي أرتميس عند اليونان ، ربة الصيد ورفيقة الكلاب التي كانت تنحر قرباناً في معابدها . غير أن هيرودوت (II, 137, 5) يقول إن الربة باستت التي تتجسد في القطة عرفت عند اليونان باسم أرتميس .

(٨) يقول بلوتارخوس (de Is. et Osir. 8) : ولكن الكهنة يعزفون عن العسل =

من الواضح أن هذا الشاعر اللاذع الهجاء — و إن لم يخل شعره من بعض اللمسات الواقعية — يجنح إلى المبالغة والتهويل فى تصوير طبائع المصريين ومعتقداتهم الدينية . إننا لا نستبعد نشوب معركة بين بلدتين مصريتين بسبب الخلاف على تقديس الحيوانات . فقد روى لنا بلوتارخوس[١] أن السلطات الرومانية تدخلت على أيامه (عام ٤٦ — ١٢٠) لقمع معركة حامية نشبت بين أهالى أكسيرينخوس (Oxyrhynchus) (البهنسا) الذين كانوا يقدسون نوعاً من السمك الرحى (القنومة) ، وهو الذى اشتق منه اسم بلدتهم ، و بين أهالى كينوبوليس

= ويعافونه ويحرصون على تجنبه ، لأنه النبات الوحيد الذى ينمو ويزدهر مع نقصان القمر . ويقول بلينيوس (Nat. Hist. XIX, 33) : والمصريون يعتبرون الثوم والبصل بين الآلهة عند القسَم .

=(٩) المقصود هنا الكبش الذى يرمز إلى الإله خنوم ويظهر الأخير فى صورته . يقول هيرودوت (II, 42) إن أهل طيبة لا يضحون بالكباش لأنها مقدسة عندهم . ويقول استرابون (XVII, 1, 40) إن أهل سايس (صا الحجر) يقدسون الكبش وكذلك أهل طيبة . ومعنى خنوم الخالق ، أى خالق الآلهة والناس ، والسماء والأرض ، والنيل أيضاً . وكانت رفيقته هى ساتى (Satis) ربة الشلال الأول . وقد عبد فى أماكن كثيرة فى مقدمتها إلفانتين (جزيرة أسوان) وإسنا والشطب والشيخ عبادة ؛ راجع :

A.M. Badawi, *Der Gott Chnum*. Glückstadt, 1937; S.A.B. Mercer. *The Religion of Ancient Egypt*. London (1949), p. 151 f.

=(١٠) يقول هيرودوت (II, 46) : يقدس أهل منديس (حول تل الربع الحالية ، جنوب شرق المنصورة) كل الماعز ، والذكور منها قبل الإناث ... ويخص واحد من الذكور بأعظم التقديس فإذا مات يعم الحزن الشديد كل إقليم منديس . ويسمى المصريون كلا من الجدى وبان (Pan) باسم منديس ؛ راجع أيضاً : Diod. Sic. I, 88, 1-3; Strabo XVII, 1, 19 .

=(١١) ينكر هيرودوت (II, 45) أن المصريين كانوا يضحون بالآدميين . غير أن ديودور الصقلى (I, 84, 1) يقول « يحكى أن القحط هصر مرة سكان مصر فصار كثير منهم يأكلون بعضهم بعضاً . ولكن لم يتهم أحد منهم على الإطلاق بتناول الحيوانات المقدسة ؛ راجع أيضاً ديودور الصقلى (I, 88, 5) وبلوتارخوس (de Is. et Osir. 73) .

(١) *De Is. et Osir.* 72.

(Cynopolis) (الشيخ فضل) الذين كانوا يقدسون الكلب ، وإليه تنسب بلدتهم ، بسبب تبادل البلدتين الإهانات : إذ أكل سكان الأولى من لحم الكلب لأن سكان البلدة الأخرى كانوا يأكلون سمك القنومة ! . كما ورد فى « التاريخ الأغسطى » — وهو كتاب يتضمن سير القياصرة — أن الإمبراطور هدريان انزعج انزعاجاً شديداً عندما بلغته الأنباء وهو فى بلاد الغال (عام ١٢٢) بأن فتنة نشبت فى الإسكندرية بين المصريين بسبب الخلاف على المكان الذى يوضع فيه عجل أبيس الجديد(١). ولقد كانت أومبى — التى ثبت أنها ليست كوم أمبو بل نبط قرب طوخ تجاه قوص — على مسافة غير بعيدة من تنيترا ، دندرة الحالية. لكن بينما كانت أومبى تقدس ست وتعبده فى صورة التمساح ، كانت دندرة تقدس إيزيس فى هيئة البقرة هاتور (حتحور) ، وتكره تيفون (ست) المجسد فى شكل التمساح كرهاً شديداً(٢). وكانت كل من البلدتين قريبة من كبتوس (قفط) . ولو سلمنا بأن معركة احتدمت بين أومبى ودندرة من جراء النزاع الدينى ، فلماذا لم تتدخل إحدى الكتائب الرومانية المرابطة عند قفط لفض النزاع وتأديب المتشاجرين مثلما حدث فى المعركة التى روى بلوتارخوس خبرها ؟

إننا لا نستبعد أن جوڤينال قد لاحظ بنفسه — على حد قوله(٣) — بعض عادات القوم فى أعيادهم الدينية أثناء إقامته فى مصر. غير أنه من المستبعد

---

(١) Hist. Aug. *Hadrianus* XII, 1: ...transgressus in Galliam Alexandrina seditione turbatus, quae nata est ob Apidem, qui, cum repertus esset post multos annos, turbas inter populos creavit, apud quem deberet locari, omnibus studiose certantibus

وعن مثل هذه المعارك التى ورد ذكرها فى أوراق البردى ، راجع :

J.G. Winter, *Life and Letters in the Papyri*. Ann Arbor (1933), p. 17 f. & n. 1.

(٢) *Cf.* Strabo XVII, 1, 44; Plinius, *Nat. Hist.* XXXVI, 8.

(٣) *Sat.* XV, 45: quantum ipse notavi; see G. Highet, "The Life of Juvenal", *T.A.P.A.* 68 (1937), pp. 482, 487; *cf.*, however, J.W. Duff, *A Literary History of Rome in the Silver Age*, 3rd ed. London (1935), p. 602, n. 211; idem, *Roman Satire*. Berkeley (1936), p. 148.

أن يكون قد شهد هـذه المعركة إذا كانت قد حدثت — كما يقول — فى عام ١٢٧ ، لأننا نعلم أنه كان يقيم فى روما وقتئذ . وفى أكبر الظن أن صديقاً روى له خبرها . بل نحن نستبعد أن يكون هـــذا الراوى قد اجترأ على الاقتراب من مكان المعركة معرضاً نفسه للخطر ، أو تسنى له أن يعرف أسبابها الحقيقية و يفقه طبيعتها ومغزاها . ذلك أن المعركة لم تكن فيما يرجح سوى تمثيلية دينية جرت فى أيام العيد الذى كان أهل دندرة ، وهم أتباع إيزيس ، يحتفلون به فهاجمهم أهالى أومبى ، أتباع ست ، وتراشق الفريقان أولا بالحجارة ، و بعدئذ شهرا الأسلحة . وهجم رجال أومبى بالسهام على رجال دندرة الذين كان عليهم ، بوصفهم أتباع إيزيس ، ربة الثالوث الأقدس ، وأم حورس ، إله النور والخير ، أن يفروا مهرولين أمام أتباع ست ، إله الشر والظلام . ولو تمهل الراوى ليعرف جلية الأمر لقال إن الحرب كانت سجالاً لأنه كان من طبيعة هذه المعارك ألا يتغلب فيها فريق على الآخر[١] . وليس أدل على أن المعركة كانت صورية من أن الشاعر نفسه يقول « فهم يعتقدون أنهم يمزحون و يشنون حرباً كحرب الصبية »[٢] . وليس من المستغرب أن تحدث إصابات أو تشج رؤوس أو يسقط أحد تحت أقدام المهاجمين دون أن يفضى ذلك إلى مصرعه . فقد قيل للمتسائل إن المتشاجرين لا يدوسون جثثاً صريعة . إذن فالمعركة كانت مفتعلة أو حلقة من تمثيلية دينية كالتى رآها هيرودوت قبل ذلك بحوالى خمسة قرون فى بلدة پاپريميس (قرب تل الفرما) حيث دارت رحى معركة توجس المؤرخ خيفة من عواقبها فأكد له الأهالى أن أحداً لا يلقى حتفه من جرائها[٣] . غير أن جوڤينال شوه حقيقة ما سمع بدافع من حقده على مصر وكراهيته لدياناتها التى تغلغلت فى المجتمع الرومانى ، فصور المصريين كمن يأكلون لحم البشر .

---

(١) راجع : وهيب كامل « يوناليس فى مصر » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس (١٩٥٧) ص ٣٣ .

(٢) *Sat.* XV, 50-60.

(٣) II, 63.

الفصل الخامس

تراجان وهدريان

١ — فضيحة مكسيموس وسلطات الوالى :

استمرت الأحوال هادئة فى مصر على عهد نرڤا (Nerva) (٩٦ — ٩٨) وأوائل عهد تراچان (Traianus) (٩٨ — ١١٧) . غير أن وثيقــة بردية تطلعنا على محاكمة قضائية جرت بين عامى ١٠٧ ، ١٠٩ على التقريب ، إن لم يكن بعد هذا التاريخ بسنوات . وكان المتهم فيها موظفاً رومانياً كبيراً يدعى مكسيموس[١] . وما تزال طبيعة هذه الوثيقة مثار جدل بين المتخصصين ، فبينما يرى فريق أنهـا صورة محرّفة من محضر رسمى لمحاكمة حقيقية جرت أمام الإمبراطور ، يرى فريق آخر أنهـا لا تعدو أن تكون منشوراً من منشورات الدعاية السياسية ، وثيق الصلة بذلك الأدب الوطنى ذى الطابع الخيالى الذى روّجه الإسكندريون للتشهير بالحكم الرومانى ، أى أنها جزء من مجموعة « أعمال الشهداء الوثنيين » ، على الرغم من اختلافها عنها فى الأسلوب ، وخلوها من الحوار ، وافتقارها إلى بعض الخصائص الأخرى التى تتميز بهـا هذه المجموعة . وأياً كان الأمر ، فمن المرجح الآن أن الموظف المتهم كان جايوس ڤيبيوس مكسيموس (C. Vibius Maximus) ، والى مصر فى الفـترة بين عامى ١٠٣ ، ١٠٧[٢] . ويتبين من عريضة الدعوى أنهـا تضمنت عدة اتهامات

---

(١) *P. Oxy.* 471 = *Acta Maximi* = Musurillo, *Acta Alexandrinorum*, No. VII (*Text*, pp. 33-38; Comment, pp. 150-160).

(٢) Musurillo, *op. cit.*, p. 152.

غير أن الأستاذ شڤارتز يعتقد أن الذى قدم للمحاكمة ليس جايوس ڤيبيوس مكسيموس والى مصر فى عصر تراچان بل ابنه پوبليوس ڤيبيوس مكسيموس (P. Vibius Maximus) الذى =

كالابتزاز والربا واستغلال السلطة فى تعيين مديرى معهد التربية فى الإسكندرية ، وإفساد شاب ثرى نعرف ، من جذاذة بردية أخرى[1] ، أنه يدعى ثيون ، وهى اتهامات كانت عقوبتها إلحاق الوصمة ومصادرة الأموال المبتزة والنفى فى بعض الأحيان . ومع أن الدعوى الأساسية التى أقيمت على مكسيموس فى روما كانت دعوى ابتزاز (de repetundis) ، فإن المتكلم بلسان الإسكندريين ركز اهتمامه فى تهمة إفساد الغلام[2] :

« ولهذا سأضيف ، يا مولاى ، نقطة أخرى اعتقد أنها سوف تثير دهشتك فترتاب فى صحتها حتى تقرأ المستندات . فقد كان يحكم على بعض الناس بدفع فائدة عن مدة لم يتسلموا أثناءها الدين . فما هو رده على ذلك ؟ لقد كنتم غائبين فلم تحاطوا علما بالرسائل التى كتبت لجلالتكم بشأن هذه الموضوعات . ولكن هذه الرسائل سوف تثبت بصورة قاطعة مدى صرامة مكسيموس ونشاطه فى هذا الصدد ....

وبينما نحن نقاسى الاهوال كلما يترك الولاية (؟) ... وصدر الأمر بأن يتولى برينيكيانوس منصب رئيس معهد التربية حتى السنة التاسعة عشرة من حكم الامبراطور ، وانيكيتوس حتى السنة التاسعة والعشرين . لم سكت على هذا ؟ أستقول انه غرر بك او تقبلت هدايا ؟ انه من الأجدى ان تعترف بأهون الجريمتين . انما نحن نقول انك لم تأخذ هدايا بل انك أعطيتها .

والمستند الاخير يدمغه بتهمة الشغف بالغلام وهيامه به . ماذا أقول ؟ لقد اعتاد شاب يبلغ من العمر سبعة عشر عاما أن يتناول معك العشاء فى

= كان — فى رأيه — والياً أيضاً على مصر فى فترة لاحقة (بين أبريل عام ١٢٤ ، مارس ١٢٦ فى عصر هدريان) . ويرى أن الأمر اختلط على الناس فطمسوا — بعد إدانة مكسيموس — اسم الأول أيضاً من النقوش محواً لذكراه بدلاً من طمس اسم الثانى فقط ، راجع :

J. Schwartz, "Un préfet d'Egypte frappé de *"damnatio memoriae"* sous le règne d'Hadrien", *Chron. d'Egypte* 27 (1952), pp. 254-256: le martelage (*ibid.* p. 255) du nom de deux préfets à moins de 20 ans d'intervalle s'explique, non par la *"damnatio memoriae"* de deux préfets, mais par une homonymie dont a souffert, par ricochet, la mémoire du plus anciens des deux.

(١) Schubart, *Griech. lit. Pap.* No. 42, col. iii, 60-61 = *Acta Maximi II* = Musurillo, *Acta Alexandrinorum*, No. VII (p. 39 f.); *cf.* also p. 156, n. 20.

(٢) *P. Oxy.* 471 = *Acta Maximi*, cols. ii-v, lines 1-135.

كل يوم • وكلما كان كل فرد من هؤلاء الحاضرين يحظى بشرف المشاركة فى مأدبتك — فأنت لم تكن تغدق مثل هذا الشرف على أحد بسهولة بعد أن ارتقيت منصبا ملكيا — كل واحد منهم رأى الغلام فى حفل الشراب تارة برفقة والده وتارة وحده • ورأى كذلك النظرات الوقحة وما كان يتبادله هذان العاشقان الخشنان بصورة شائنة • وفضلا عن ذلك فقد كان (هذا الغلام) يقدم التحية (للوالى) يوميا • ويشهد هؤلاء الرجال — يا مولاى — بروحك الحارسة أنهم بينما كانوا يقفون عند باب (قصره) انتظارا لتحيته تحية الصباح ، قد رأوا الغلام خارجا من غرفة نومه وقد ظهرت عليه علامات اتصاله بهذا الرجل • وما أن ألف الغلام الوسيم الثرى (هذا) السلوك المشين حتى ازداد رقاعة ووقاحة ، فكان يمزح مع يوتيخوس الحاجب ويتعلق بيديه أمام الجميع ويضحك ضحكا عاليا فى غير كلفة وسط جموع القادمين للتحية • ولم يكن ساذجا لأنه كان يقوم بعرض ما كان يفعله أمام المدينين (للوالى) • لماذا اذن لم تحاول وقفه عند حده بما عهد فيك من نظرة صارمة وقسوة بالغة ؟ لكن ان يتقدم اليك بالشكوى رجل معدم فى ثياب رثة ، تأمر بمصادرة أملاكه وأملاك زوجته وأصدقائه • ولقد قضيت بالموت على الرجل الذى جلس فى المسرح دون أن يرتدى ملابس بيضاء • وأما هذا الغلام الوسيم الأمرد الوجه ، فكنت تستبقيه كل يوم فى مقرك الرسمى ولم تكن ترسله الى المدارس أو (ممارسة) التدريبات اللائقة بالشباب • وكم كنت تحاسب والده — بحق — حسابا عسيرا لو أنه لم يعمل على ارساله للمدرسة ؟ وها أنت تجوب جميع أنحاء مصر فى صحبة (هذا) الغلام • أو لم يتبعك الغلام ذو السبعة عشر ربيعا حتى الى المحكمة أثناء انعقاد مجلسك الرسمى ؟ نعم ! وقد كان برفقتك ، يا مكسيموس ، فى كل من ممفيس وبيلوزيون وحيثما كنت • وأما نحن الآخرين فكنا جميعا نعرف عن (أماكن) جولاتك (التفتيشية) وعن مجالسك القضائية » •

هذه الوثيقة برغم جنوح كاتبها إلى المغالاة فى تصوير نقائص الوالى الرومانى وتجاوزه حدود الاحتشام فى وصف الجريمة الخلقية الموجهة إليه ، تطوى بين ثناياها ، كمعظم برديات « أعمال الإسكندريين » لمسات واقعية لا يستطيع أن يغفلها المؤرخ المدقق . فلو أمعنا النظر لأمكننا أن نستخلص منها بعض معلومات طريفة وقيمة عن وضع الوالى بوصفه ممثلاً للامبراطور فى مصر : نعرف منها — مثلاً — صيغة القسم عند الشهادة وكيف كان الشهود يحلفون بالملاك الحارس (Tychê) للامبراطور — وهى كلمة يونانية تعنى أصلاً التوفيق أو الحظ السعيد أو العناية الإلهية التى تسدد خطا المرء (Fortuna) ، ولكنها استخدمت للتعبير عن كلمة لاتينية (Genius) بمعنى الروح الحارسة أو الملاك الحارس أو القرين

(Daimôn) . وقد حلت هذه الصيغة محل صيغة القسم بالإمبراطور نفسه منذ عصر دوميتيان[١] . ونعرف أيضاً كيف كان بعض ولاة مصر يستغلون سلطتهم فى ابتزاز الأموال أو فى إقراضها بالربا ، مستعينين فى ذلك بخبرتهم السابقة بوصفهم رجالاً من طبقة الفرسان وهى — كما أسلفنا[٢] — طبقة رجال الأعمال الذين كانوا يمارسون منذ عصر الجمهورية التجارة والتزام جباية الضرائب والأعمال المصرفية . وتتردد النغمة نفسها فى بردية أخرى ، لعلها من مجموعة « أعمال الإسكندريين » ، تتضمن — كما قدمنا — إشارة عابرة إلى ارتشاء الوالى أفيليوس فلاكّوس أو ممارسته إقراض الأموال بالربا فى عصر كاليجولا[٣] . ومن الواضح أن منصب مدير معهد التربية بالإسكندرية (gymnasiarchos) كان منصباً رفيعاً ، لعله كان أرفع المناصب البلدية فى المدينة[٤] ، وإن كان ذا طابع اجتماعى لا سياسى . ولا مراء فى أن شاغله كان بمثابة زعيم جالية المواطنين الإغريق[٥] . وقد حدا ذلك بالوالى إلى استغلال سلطته فى فرض مرشحيه لملء هذا المنصب . ومن المؤسف أن الوثيقة لا يتضح منها إذا كان الوالى يبيعه لأصدقائه أو كان يرغم من لا يدفعون له رشوة على النهوض بأعبائه . ونحن نعرف من مصادر أخرى أنه لم يعد اختيارياً منذ وقت مبكر[٦] ، بل أصبح بمرور الزمن عبئاً إلزامياً ثقيلاً

---

(١) E. Seidl, *Der Eid im römisch-aegyptischen Provinzialrecht*. Teil I (Münchener Beiträge zur Papyrusforschung und antiken Rechtsgeschichte, XVII). 1933, pp. 123-132.

(٢) راجع ما تقدم فى ص ٥٤ .

(٣) راجع ما تقدم فى ص ٩١ .

(٤) F. Preisigke, *Städtisches Beamtenwesen im römischen Aegypten*. Inaug. Diss. Halle (1903), p. 30.

(٥) *Cf.* M.P. Nilsson, *Die hellenistische Schule*. München (1955), p. 87 f.: Die Gymnasiarchen dieser Stadt waren hochangesehene Männer und Leiter der Griechen.

(٦) *Cf.* Bell, *C.A.H.* X (1934), p. 302, n. 1 (referring to Philo, *in Flacc.* 130).

على أصحابه[١]. غير أن إشارة البردية إلى شغله لمدة عشر سنوات تتعارض وما فهمناه من رسالة كلوديوس بأن الإمبراطور وافق على مقترح الإسكندريين بتحديد مدته بثلاث سنوات فقط[٢].

وتتضمن الدعوى أيضاً إشارة عابرة إلى أن الوالى قد شغل مركزاً ملكياً ، وهى إشارة تؤيدها ثلاث روايات أخرى وردت إحداها عند استرابون (XVII, 1, 12) حيث يقول « ومصر الآن ولاية ... يحكمها رجال راشدون هم الولاة الذين يبعثون إليها باستمرار ، ومن يبعث إليها (من قبل الإمبراطور) يتمتع بمركز الملك » ؛ ووردت الأخرى عند تاكيتوس (Hist. I, 11) الذى يقول « تولى مصر ... فرسان رومان فى منزلة الملوك » ؛ والثالثة عند أميانوس ماركيللينوس (XXII, 16, 6) الذى يقول « ومصر نفسها أصبحت تحكم ... بواسطة ولاة لهم مقام الملوك » . وإذ كان الولاة فى وضع نواب الأباطرة الذين حلوا محل البطالمة والفراعنة من قبلهم فقد كان محرماً عليهم — كالملوك القدامى سواء بسواء — أن يركبوا النيل فى زمن الفيضان[٣] . ويتبين من « محاكمة مكسيموس » كيف كانت جموع الأتباع (clientes) تنتظر الوالى أمام باب قصره (praetorium)[٤] لتزجى إليه تحية

---

(١) *Cf.* P. Jouguet, *La vie municipale dans l'Egypte romaine.* Paris (1911), pp. 292 ff.; F. Oertel, *Die Liturgie: Studien zur ptolemaeischen und kaiserlichen Verwaltung Aegyptens.* Leipzig (1917), pp. 316 ff.; Abbott-Johnson, *Municipal Administration in the Roman Empire.* Princeton (1926), Nos. 169; 181; B.A. van Groningen, "Pap. Oxy. 1416 and the History of the Gymnasiarchy", *Act. V Congr. int. Pap.* Bruxelles (1938), p. 505.

هـ . ا . بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (ترجمة عبد اللطيف احمد علي) ١٩٦٨ ، صفحات ١٠١ — ١٠٣ ، والهوامش .

(٢) أنظر ما تقدم فى ص ١٠٦ ، وراجع :

Musurillo, *Acts of the Pagan Martyrs*, p. 157; *cf.* Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, p. 115 f. n. 130; I.D. Amusin, cited in *J.J.P.* IV (1950), p. 250 f.; Jouguet, *Vie municipale*, p. 319 .

(٣) Plinius, *Nat. Hist.* V, 57; Seneca, *Quaest. Nat.* IV, 2, 7; cf. *Archiv f. Pap.* III, 326; IV, 417; VI, 376 f.; C. E. (1961), P. 377

(٤) *Cf.* M. Rostovtzeff, *The Palace of the Dux Ripae: Interpretation.* Excavations at Dura-Europos; Preliminary Report of the Ninth Season of Work (1935-6). New Haven (1952), pp. 83 ff.;

الصباح (aspasmos) . وكان له حاجب (koitônitês = cubicularius) عند غرفة نومه . وإليه كانت ترفع الشكاوى . وكان يتمتع بحق مصادرة الأملاك ، وإصدار حكم الإعدام حتى فى حالة جريمة غير خطيرة كإغفال ارتداء الملابس البيضاء فى حفلة هامة ، أكبر الظن أن الوالى أمر بإقامتها فى مسرح ديونيسوس ابتهاجاً بعيد ميلاد تراجان . ويعرّف الفقيه أولپيانوس هذا الحق فى كتاب الجامع (Digesta) بحق السيف (ius gladii) [١] ، ويشفعه بحق الحكم على المذنبين بالأشغال الشاقة فى المناجم والمحاجر (damnare in metalla) [٢] . ويتبين أيضاً أن الوالى كان يقوم بجولات تفتيشية (epidêmiai) فى شتى أنحاء الوادى . ونحن نعرف من الوثائق الأخرى كيف كانت السلطات المحلية تحرص على الاستعداد لمثل هذه الزيارات فترهق الأهالى بالمطالب أثناءها . وما أعظم الجفاوة التى كان

حيث يتحدث رستوفتزف عن بعض الدور الرسمية فى الإمبراطورية الرومانية ، وبخاصة عن البريتوريوم praetorium (وهو فى الأصل مركز القائد العام) قائلا إن هذه الكلمة كانت تطلق غالباً على المقر الرسمى للامبراطور وحكام الولايات . والمقر الذى لدينا عنه معلومات أوفى مما لدينا عن غيره هو بريتوريوم والى مصر فى الإسكندرية والذى يرد ذكره فى الوثائق البردية عدة مرات . ففى بردية من عصر أنطونينوس پيوس (B.G.U. 288) يظهر البريتوريوم كمقر رسمى للوالى حيث يجلس وحوله مستشاروه assessores (sumbolion) للفصل فى القضايا ، بينما فى بردية أخرى من عصر تراجان (P. Oxy. 471) — وهى التى نحن بصددها — يبدو البريتوريوم كأنه قصر خاص لسكنى الوالى . ومن المؤسف أننا لا نعرف شيئاً عن تصميم بناء هذه الدار فى الإسكندرية أو عن سعتها أو شكلها . ويضيف أنه كانت لولاة مصر ، مثلما كانت لحكام الولايات الغربية ، إلى جانب البريتوريوم الرئيسى فى العاصمة ، مقار أخرى فى جميع عواصم الأقاليم (metropoleis) ، يحمل كل منها نفس الاسم . وكانت تستعمل كمحال للاقامة أو الاستراحة عندما ينزل الوالى بعاصمة الإقليم أثناء جولاته التفتيشية فى أنحاء مصر . ويرد ذكر هذا المقر الرسمى فى الأقاليم فى وثيقتين إحداهما من أكسيرينخوس (البهنسا) والأخرى من أنتينوپوليس (الشيخ عبادة بمحافظة المنيا) .

(١) Ulpianus, *Dig.* I, 17, 1.

(٢) *S.B.* 4639; *B.G.U.* 1024, 5 (1-7); Josephus, *Bell. Iud.* VI, 9, 418.

يستقبل بها الوالى، إذ كانت تنظم له المواكب وتلقى الخطب بين يديه وتزين تماثيل الآلهة فى المعابد بأكاليل الزهر احتفاءً بمقدمه[١]، وتقام الحفلات تكريماً له[٢]، وتتعالى الأصوات هاتفة باسمه[٣].

وتؤيد البردية — بردية محاكمة مكسيموس — ما توصل إليه العلامة فيلكن من أن الوالى، بوصفه المهيمن على شئون العدل، كان يعقد مجلسه القضائى (conventus) ثلاث مرات فى السنة: مرة فى بيلوزيون للنظر فى قضايا أقاليم شرق الدلتا (يناير)، ومرة فى ممفيس للنظر فى قضايا أقاليم مصر الوسطى والعليا (فبراير — مارس/أبريل)، ومرة فى الاسكندرية للنظر فى قضايا أقاليم غرب الدلتا (يونيو — يوليو)[٤]. على أنه لم يكن ثمة ما يمنع من إعلانه مقدماً عن عقد مجلسه القضائى فى أماكن أخرى من الدلتا مثل هرموبوليس برفا (دمنهور)[٥] أو نقراطيس (كوم جعيف)[٦]. أو حتى فى بلدة صغيرة مثل كسويس (Xois) (سخا)[٧]، أو فى أماكن أخرى إلى الجنوب من ممفيس مثل أرسينوى (مدينة

---

(١) *B.G.U.* 362, vii = *Sel. Pap.* II, 404; *P. Lond.* III, p. 112 ff.

(٢) *P. Giss.* 16.

(٣) *P. Oxy.* 1305.

(٤) بنى فيلكن نظريته على المعلومات الواردة فى بردية :
P. Oxy. 709 = *W. Chrest.* 32 = Meyer, *Juristische Papyri*, 82, a = Lewis-Reinhold, *Roman Civilization* II, p. 364; *cf.* U. Wilcken, "Der aegyptische Konvent", *Archiv f. Pap.* IV (1908), pp. 315-422; idem, *Grundzüge und Chrestomathie der Papyruskunde*. I, i (1912), p. 32 f.; *Archiv f. Pap.* VI (1920), pp. 373 ff.; O.W. Reinmuth, *The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian*. Klio Beiheft XXXIV, N.F., Heft 21 (1935), pp. 98-105; J.N. Coroi, "Le *conventus juridicus* en Egypte aux trois premiers siècles de l'Empire romain", *Bull. Inst. Arch. Bulg.* IX (1935), pp. 363-381; *idem*, "La papyrologie et l'organisation judiciaire de l'Egypte sous le principat", *Actes du Ve Congr Int. de Pap — Oxford* (Bruxelles 1938), pp. 632 ff.

(٥) *P. Strassb.* 5.

(٦) *P. Vindob.* Inv. 25824 *J.J.P.* VI (1952), pp. 206-212 & esp. p. 209.

(٧) *P. Ryl.* 434.

الفيوم)[1] وأكسير ينخوس (البهنسا)[2] وأنتينو بوليس (الشيخ عباده)[3] وكبتوس (قفط) وما وراءها[4] . وكان ذلك للتيسير على المتقاضين من سكان الصعيد وتجنيبهم مشاقة السفر الطويل إلى الدلتا .

و ينبغى التنبيه إلى أن مجاسه لم يقتصر على الفصل فى القضايا ، بل كان ينظر أيضاً فى مسائل إدارية ومالية كمراجعة التقارير وفحص كشوف الضريبة المقدمة من موظفى الأقاليم . وفى الحق أن الكلمة اليونانية التى تدل على هذا المجلس تعنى أصلاً مراجعة الحسابات أو موازنتها (dialogismos)[5] . ويحدثنا المؤرخ تاكيتوس[6] «بأن أغسطس المؤله كان قد أمر بأن يكون للفرسان الذين يحكمون مصر سلطة الفصل فى القضايا وأن تعتبر أحكامهم كأنها قد صدرت عن الحكام الرومان» ، والمقصود هنا ليس فقط حكام روما القضائيين (praetores) والقناصل

(١) *B.G.U.* 908.

(٢) *P. Oxy.* 1456.

وإن كان الأستاذ ڤيلكن يشك فى أن هذه الوثيقة تشير إلى عقد الوالى مجلسه القضائى بالمدينة ، و يرجح أنها تشير فقط إلى زيارته لها (epidemia) ؛ راجع *Archiv f. Pap.* VI, p. 423

(٣) *S.B.* 7744; *cf.* also *P. Oxy.* 2131.

(٤) *P. Ryl.* 74; *P.S.I.* 1148; *cf.* also *P. Osl.* 62; *B.G.U.* 114, col. i, 14 ff.; *C.I.L.* III, 44.

(٥) *Cf.* Wilcken, *Grundzüge*, p. 32 f.; Reinmuth, *The Prefect of Egypt*, p. 98.

(٦) *Ann.* XII, 60: nam divus Augustus apud equestris, qui Aegypto praesiderent, lege agi decretaque eorum proinde haberi iusserat ac si magistratus Romani constituissent:

وعن هذه الفقرة راجع مقال الأستاذ هـ . لاست المشار إليه فى الحاشية التالية ، حيث يقول إن الفقرة وردت فى حديث لتاكيتوس (كثيراً ما أسىء فهمه) عن إسناد واجبات رسمية لرجال من مختلف الفئات كانوا لا يتمتعون بسلطة الامبريوم (imperium) ، ومساواة والى مصر بالحكام المتمتعين بهذه السلطة . . . الخ . وفى رأيه أن فعل الأمر (iusserat) يوحى بأن أغسطس منح والى مصر سلطة قضائية لها قوة السلطة المخولة للبريتور أو أى حاكم آخر (magistratus) متمتع بالإمبريوم أى سلطة من النوع الذى اعتاد أن يمارسها الحكام فقط أو البدلاء ، وكذلك سلطة إصدار المنشورات ، وأن ذلك لم يكن بمقتضى قرار من الجمعية أو قرار من السناتو بل بمقتضى دستور امبراطورى (constitutio) أو ربما (حسبما يعتقد برغرشتاين) بمقتضى قانون أصدره أغسطس نفسه (lex data) .

(consules) بل كذلك بوكلائهم من حكام الولايات . و يقول الفقيه أولبيانوس [(١)] إن والى مصر لم يكن له أن يتنحى عن ولايته وسلطته (imperium) قبل أن يدخل خلفه لا مصر فقط بل الإسكندرية نفسها ، ويضيف هو أو شارحه

---

(١) *Dig.* I, 17, 1: Praefectus Aegypti non prius deponit praefecturam et imperium <quod ad similitudinem proconsulis lege sub Augusti ei datum est>, quam Alexandriam ingressus sit successor eius, licet in provinciam venerit.

راجع :

S. Solazzi, "Di una pretesa legge di Augusto relativa all'Egitto", *Aegyptus* 9 (1928), pp. 296-300.

حيث يسوق أدلة ليثبت بها أن الجملة المحصورة بين القوسين قد أقحمت على النص لتفسيره ، أنظر الآن :

H. Last, "The *Praefectus Aegypti* and his Powers", *J.E.A.* 40 (1954), pp. 68-73:

ويوافق الأستاذ لاست على رأى سولازى فى أن الجملة إما متحلة أو على الأقل مثيرة للشك . ويرى أن الفقيه أولبيانوس لا يشبه والى مصر بالقنصل البديل(حاكم الولاية السناتورية) بل على العكس يميز بينهما . وفى رأيه أن الجملة لا تقول صراحة أو حتى ضمناً أن الإمبريوم الذى كان يزاوله والى مصر كان كإمبريوم البريتور البديل فهو لا يوصف أبداً فى الوثائق التى لدينا بأنه كذلك . ثم يتساءل : أى نوع من الإمبريوم إذن يعنيه أولبيانوس أو شارحه فى النص الذى نحن بصدده ؟ إن والى مصر — كما هو معروف — كان يسيطر على القوات العسكرية فى مصر سيطرة مباشرة ، ومن ثم كان فى مركز شبيه بمركز حاكم إحدى الولايات التابعة للامبراطور والذى يحمل لقب مندوب أو نائب أغسطس(legatus Augusti pro praetore)، وهذا المركز كان فيما يبدو يتطلب أن يكون الوالى متمتعاً بالإمبريوم ، وهى سلطة لم يكن فى وسعه بدونها أن يدير الشئون العسكرية أو يقود الجيوش أو يقوم بالحرب . وكان والى مصر فى هذه الحالة يمارسها كما يمارسها حاكم الولاية الإمبراطورية بطريق التفويض من الإمبراطور (راجع .J.R.S. 34, 1944, 123 f) . غير أن الإمبريوم كان يتضمن أيضاً سلطات من نوع آخر لازمة أولاً لحفظ الأمن العام وتشمل سلطة الفصل فى القضايا الجنائية وثانياً للفصل فى القضايا المدنية. ويعرف الإمبريوم فى الحالة الأولى باسم السلطة المجردة أو الخالصة (imperium merum) ويعرف فى حالة ما يتضمن سلطة جنائية ومدنية باسم السلطة المختلطة (imperium mixtum) . هذان النوعان من الإمبريوم كان يتمتع بهما كل حكام الولايات ، ويبدو أن الحكام من غير ذوى المرتبة القنصلية كانوا يمارسونهما بالتفويض من الإمبراطور . وأما عن وجه الشبه بين والى مصر والقنصل البديل(حاكم الولاية السناتورية) فى الجملة المتحلة ، فيفسره الأستاذ لاست بأنه ليس فى احتفاظ والى مصر بسلطته (imperium) حتى يصل خلفه إلى الإسكندرية إذ أن القنصل =

«أن هذه السلطة التي منحت له بمقتضى قانون في زمن أغسطس كانت شبيهة بسلطة القنصل» . ولا ينبغي أن ننسى أن منصب والي مصر (praefectus Aegypti) كان في أول الأمر — على نحو ما ذكرناه — أعلى منصب في سلك وظائف الفرسان ، أي أعلى من قومندان الشرطة الليلية (praefectus vigilum) ومدير التموين (praefectus annonae) ، وقائد الحرس البريتوري (praefectus Praetorio) ، و بعدئذ أصبح ، منذ عصر أسرة فلافيوس ، يلي المنصب الأخير . الذي كان كثير من ولاة مصر يرقون إليه بعد أن أصبح من أخطر مناصب الإمبراطورية[1] .

لكن على الرغم من أن السلطة العليا تركزت في يد الوالي ، العسكرية منها والإدارية والقضائية — بغض النظر عما كان في يد بعض كبار الموظفين المركزيين من سلطات محدودة للفصل في قضايا معينة — فإن هذه السلطة لم تكن مطلقة . و إذا كان حقاً أنه تمتع بسلطة (imperium) شبيهة بسلطة البرو قنصل (حاكم الولاية السناتورية) فإن سلطته هذه كانت خاضعة لسلطة أغسطس التي كانت

== البديل كان يحتفظ بسلطته إلى مابعد عودته إلى روما (Ulpianus, *Dig.* I, 16, 16) ، والتي كانت مدة ممارسته لها بصورة فعلية تثير سؤالا آخر ، يجيب عليه أولپيانوس في كتابه الباشر عن « واجب البرو قنصل » (Dig. I, 16, 10, pr) حين يقول إن القنصل البديل « عليه أن يباشر جميع مهامه حتى وصول خلفه حيث أنه لا يوجد سوى حاكم واحد ومصلحة الولاية تتطلب وجود شخص يرعى مصالح السكان ، وعليه إذن أن يمارس سلطته القضائية لحين وصول من يخلفه » . لعل هذا المبدأ قد خطر في ذهن من أقحم الجملة على نص أولپيانوس فعقد المقارنة المشار إليها لأن والي مصر هو الآخر لم يكن له أن يتخلى عن ولايته أو يكف عن ممارسة سلطته القضائية إلا بعد أن يدخل خلفه لا مصر فقط بل الإسكندرية نفسها ؟

Cf. however, Piganiol, "Le statut augustéen de l'Egypte et sa destruction", 7me Congr. Int. Pap. = L'Originalité de l'Egypte dans le monde gréco-romain, *Mus. Helv.* X fasc. 3/4 (Basel, 1953), p. 196; Reinmuth, *RE*, s.v. "*Praefectus Aegypti*", col. 2356-7;

(١) Wilcken, *Grundzüge*, p. 32; Reinmuth, *The Prefect of Egypt*, p. 129; L.L. Howe, *The Praetorian Prefect from Commodus to Diocletian*, Chicago (1942), p. 41; Stein, *Die Praefekten von Aegypten*, p. 187 f.

أو كانوا يدعون أحياناً في هيئة السناتو أو يقلدون مناصب قنصلية . ولدينا وثيقة طريفة ==

أكبر (imperium maius) من سلطة حكام الولايات[1] . وكان ذلك أظهر ما يكون فى مصر التى كان واليها لا يعين إلا بأمر الإمبراطور ، وكان بمثابة نائبه فيها ويستمد سلطته منه ويعتبر مسئولاً أمامه وحده . وقد اختار أكتافيانوس ولاة مصر لا من طبقة السناتو بل من بين هيئة الفرسان حتى يربطها بالبيت المالك ربطاً وثيقاً ويحكم سيطرته عليها « **فمنذ أيام اغسطس المؤله تولى مصر والقوات اللازمة لاخضاعها ، فرسان رومان فى منزلة الملوك . هكذا رأى من المصلحة أن يضع تحت سيطرته (المباشرة) ولاية عسيرة المدخل ، وفيرة الغلال ، متنافرة الأهواء ، سريعة الهيـــاج لايمانهـــا بالخرافات وميلهـــا للفوضى ، جاهلة بالقوانين ، ولا دراية لها بالحكام » (٢)**

لقد اختار الفرسان — كما قدمنا[3] — لأن ثقته فيهم كانت أكبر من ثقته فى رجال السناتو الأرستقراطيين الذين قد يدفعهم الطموح إلى الإستقلال بمصر اعتماداً على مواردها الوفيرة وصعوبة غزوها . ومن ناحية أخرى فإن الفرسان كانوا ، بحكم خبرتهم العملية فى الشئون المالية والتجارية ، وممارستهم لمنصب مدير التموين قبيل مجيئهم إلى مصر مباشرة ، أقدر من رجال الطبقة الأخرى على

= من برديات برلين (*P. Berol.* 8334 = *Aegyptus* 20 [1940], p. 51) يبلغ فيها دوميتيان والى مصر نبأ تعيينه إما قائداً للحرس البريتورى — كما يعتقد بيجانيول — أو قنصلاً — كما يعتقد غيره من الباحثين . راجع :

Piganiol, *Mus. Helv.* X, fasc. 3/4 (1952), p. 200 f.

(١) عن هذه السلطة (imperium maius) التى مارسها أغسطس ، راجع :

R. Syme, *The Roman Revolution*, pp. 313 ff.; 336 f.; H. Last, "*Imperium Maius:* A Note", *J.R.S.* 37 (1947), p. 163 f.; A.H.M. Jones, "The *Imperium* of Augustus", *J.R.S.* 41 (1951), pp. 112-119.

(٢) Tacitus, *Hist.* I, 11: Aegyptum copiasque, quibus coerceretur, iam inde a divo Augusto equites Romani obtinent loco regum: ita visum expedire, provinciam aditu difficilem, annonae fecundam, superstitione ac lascivia discordem et mobilem, insciam legum, ignaram magistratuum, domi retinere.

(٣) راجع ما تقدم فى صفحتى ٥٠ ، ٥٤ .

إدراك الأهمية الاقتصادية وتفاصيل الإدارة فى بلد بيروقراطى مثل مصر لم يعرف القوانين بالمعنى الذى عرفه بها الرومان ، إذ كان يحكم من قبل بالمراسيم الصادرة من التاج ، ولم يألف الحكام المنتخبين على يد الشعب والمسئولين أمامه ، بل كان يألف الموظفين الخاضعين للملك المؤله خضوعاً تاماً[١] . وفى الحق أن الوالى لم يكن يزاول سلطته إلا وفقاً للقواعد العامة التى يسنها الإمبراطور . وكان احتفاظه بمنصبه مرهوناً بمشيئة سيده . وقد عزل أغسطس كورنيليوس جاللوس ، أول والٍ على مصر ، لأن هذا الرجل تملكه الزهو فتجاوز حدود منصبه[٢] . وبغض النظر عن النصب الذى أقامه جاللوس فى جزيرة فيلاى (فيله — أنس الوجود) مفاخراً فيه بانتصاراته ، فلم نعثر فى مصر على نصب أقيم لتكريم والٍ دون أن يكون اسمه مقروناً باسم الإمبراطور الذى أوفده . وعندما غضب كاليجولا على فلاكوس سواء لسوء تصرفه أثناء فتنة عام ٣٨ أم لغير ذلك من الأسباب ، أرسل إلى مصر قوة نزلت بالإسكندرية ليلاً وألقت القبض على الوالى[٣] .

وقليل هم الولاة الذين بقوا فى منصبهم مدة طويلة . فقد تبين من دراسة الوثائق البردية أن متوسط طول فترات الولاية على مصر فى زمن الرومان لم يزد على ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، وهى مدة — وإن كانت أطول من مدة الولاية فى عصر الجمهورية — فإنها كانت قصيرة بالقياس إلى طول عهود الأباطرة[٤] . ولا ريب فى أن ذلك كان جزءاً من سياسة مرسومة القصد منها أن لا تمتد ولاية حاكم طموح امتداداً قد يغريه بتوطيد مركزه ومناوأة روما نفسها .

---

(١) *Cf.* A.H.M. Jones, "Egypt and Rome", in *The Legacy of Egypt*. Oxford (1941), p. 287 f.

(٢) راجع ما تقدم فى ص ٦٢ — ٦٣ .

(٣) راجع ما تقدم فى ص ٩٧ .

(٤) Reinmuth. *The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian*, p. 127; Stein, *Die praefekten von Aegypten in der römischen Kaiserzeit*, p. 186 f.

وغالباً ما كان الوالى يتغير بتغير الإمبراطور ، لأن العاهل الجديد كان يفضل أن يرشح للولاية صديقاً حمياً أو تابعاً شديد الولاء له .

ولقد ذكرت أن سلطة الوالى لم تكن مطلقة ، إذ أن الرسائل (epistulae) والفتاوى (rescripta) والتعليمات (mandata) الصادرة من الإمبراطور كانت تنظم مهامه وتحددها من وقت لآخر . فالإمبراطور هو الذى كان يحدد قيمة الضرائب التى ينبغى جبايتها من مصر فى سنة معينة ، ولم يكن للوالى أن يعفى أحداً من الخدمات الإلزامية (leitourgiai) إلا بمقتضى الشروط التى استقرت بتعاقب الأباطرة . ولعل القارىء يذكر كيف آخذ الإمبراطور تيبريوس الوالى الذى أرسل إلى روما مقداراً من الجزية أزيد مما قرره ، مذكراً إياه بأنه أوفده إلى مصر ليجز صوفها لا ليسلخ جلدها[١] . وقد كان هناك من المسائل ما ينبغى الرجوع فيها إلى الإمبراطور ليبت فيها بنفسه ويصدر قراراته النهائية[٢] . ويتضح ذلك من عبارة وردت فى المنشور الخطير الذى أصدره الوالى تيبريوس يوليوس الإسكندر فى ٦ يوليو عام ٦٨ مشيراً فيه إلى الإجراءات التى وعدت الحكومة باتخاذها للقضاء على ما تفشى فى البلاد من فساد وظلم[٣] . فى الجزء الأخير من هذا المنشور يقول الوالى

« واما عن متأخر الضريبة القديم — اذ ان شكاواكم تنصب على ذلك الذى اراد البعض تحصيله كاملا بانتظام أو تحديده تحديدا نهائيا فلم ينجم عن عملهم شىء فى الغالب سوى اثراء الموظفين وخراب بيوت الناس — فسوف اكتب — ضمن أشياء اخرى — الى قيصر اغسطس الامبراطور (جالبا) ، لأنه هو وحده الذى يستطيع ان يستأصل مثل هذه المفاسد استئصالا تاما »[٤] .

---

(١) راجع ما تقدم فى ص ٦٩ وهامش ٣ .

(٢) *Cf.* Wilcken, *Grundzüge*, p. 32: Beschränkt war sein Imperium dadurch, dass er gewisse letzte Entscheidungen dem Kaiser vorzubehalten hatte.

(٣) راجع ما تقدم فى ص ١٣٩ ، هامش ٢ .

(٤) *O.G.I.S.* II, 669 = E. White-J. Oliver, *The Temple of Hibis in El Khârgeh Oasis, Part II Greek Inscriptions.* The Metropolitan Museum of Art. Egyptian Expedition Publications, vol. XIV (1939), No. 4: Edict of Tiberius Julius Alexander, Text B, lines 62-64; *cf.* also p. 42.

وقد سبق أن ذكرت ما يفهم منه أن الوالى كان يملك وحده حق عقد المجلس القضائى (conventus) . لكن ينبغى أن أضيف أنه إذا زار الإمبراطور مصر انتقلت إليه سلطة الوالى القضائية . وكان مجلس الإمبراطور المؤلف من المستشارين المرافقين له هو الذى ينظر فى القضايا و يصدر الأحكام . كما كان الإمبراطور ، لا الوالى — فيما يرجح — هو الذى يصدر الفتاوى (rescripta) سواء فى صورة توقيعات (subscriptiones) أو رسائل (epistulae) إلى الأفراد فيما يعرضونه عليه من قضايا كتلك الاحكام أو الفتاوى (apokrimata) التى أصدرها الإمبراطور سبتميوس سڤيروس وعلقت فى رواق معهد التربية بالإسكندرية عند ما زار المدينة فى نوفمبر عام ١٩٩ (— ٢٠٠)[١] . و بالإجمال فإن الوالى لم يكن له أن يتخذ قراراً فى أى شأن من الشئون الإدارية لا يتفق وسياسة الإمبراطور . صحيح أن الأخير غالباً ما كان يمارس سلطته فى مصر عن طريق نائبه ، غير أنه مارسها فى بعض الأحيان دون وساطته . و إذا كان الوالى فى نظر سكان مصر حاكماً مطلق السلطان ، فإنه كان فى نظر الإمبراطور خادماً عليه تنفيذ أتفه رغبات سيده .

وثمة نقطة أخرى تزيدها « محاكمة مكسيموس » وضوحاً ، وهى أن سكان مصر بوجه عام لم يكن فى وسعهم الاتصال بالإمبراطور الرومانى إلا عن طريق الوالى . ونحن نعرف من بعض النصوص التاريخية والوثائق البردية أن الوالى هو الذى كان يملك وحده حق التصريح للأفراد بدخول البلاد ومغادرتها[٢] . وقد أحكمت رقابة مداخل مصر ومخارجها إحكاماً شديداً إلى درجة أنه كان يتعذر على أى شخص مبارحتها دون علم السلطات . فى البردية المعروفة باسم بردية القواعد

---

(١) W.L. Westermann-A.A. Schiller, *Apokrimata: Decisions of Septimius Severus on Legal Matters* (P. Col. 123). New York (1954), p. 46.

(٢) Cf. Strabo II, 3, 5 (C. 101); Reinmuth, *The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian* (1935), p. 32 f.

المالية (P. Gnomon) [(١)] لمراقب الحسابات الخاصة (Idios Logos) ، والتي تعد أهم وثيقة في دراسة السياسة الاقتصادية والأوضاع القانونية في مصر على أيام الرومان ، نجد عدة مواد تنص إحداها صراحة على أن المسائل المتعلقة بمغادرة مصر عن طريق البحر بدون جواز بالسفر (apostolos) تقع تحت طائلة سلطة الوالي [(٢)] . وتنص مادة أخرى على أن الأشخاص الذين يجوز لهم مغادرة مصر بحراً ، إذا غادروها دون الحصول على جواز بالسفر تفرض عليهم غرامة مقدارها ثلث أملاكهم ، فإذا صدّروا عبيداً لهم دون جواز بالسفر ، تصادر كل أملاكهم [(٣)] ؛ ومادة ثالثة تقول إن رومانياً غادر البلاد بحراً دون أن يحصل على أوراق السفر مستوفاة ، فغرم عدداً معيناً من التالنتات ، وهي غرامة باهظة على أي حال [(٤)] . ولدينا طلب طريف تقدمت به سيدة تدعى أوريليا مايكيانا إلى والي مصر ، ڤاليريوس فيرموس ، في عام ٢٤٦ ملتمسة منه أن يكتب إلى مدير ميناء فاروس (رأس التين) لكي يسمح لها بالخروج من البلاد وفقاً للعادة المتبعة . ولا ندري أكانت أوريليا في زيارة لبعض أقاربها في مصر أم كانت مقيمة فيها وتطلب تصريحاً بالسفر لزيارة أهلها في موطنها الأصلي ببلدة سيدى (Sidê) في إقليم بامفيليا (بآسيا الصغرى) . وعلى أي حال فإن الطلب يرد في ذيله تأشيرة للوالي مكتوبة باللاتينية وتتضمن الإذن بالسفر أو ما يقابل جواز السفر [(٥)] . وإذ كان الوالي هو الذي يرفع الشكاوى

---

(١) *B.G.U.* 1210 (B.G.U. V, 1) = Meyer, *Jur. Pap.* 93 = *Hunt-Edgar, Sel. Pap.* II 206 = Johnson, *Roman Egypt*, 444 (p. 711) = Lewis-Reinhold, *Roman Civilization* II, p. 380 = S. Riccobono, *Fontes Iuris Romani Antejustiniani* I, No. 99 (p. 469).

وأنظر الكتاب الحديث التالي الذي يناقش المسائل العديدة في هذه البردية مع الإشارة إلى جميع البحوث السابقة :

S. Riccobono Jr., *Il Gnomon dell'Idios Logos*. Palermo, 1950.

(٢) *P. Gnom.* 64.

(٣) *P. Gnom.* 66.

(٤) *P. Gnom.* 68.

(٥) *P. Oxy.* 1271 = *Sel. Pap.* II, 304 = Calderini, *Papiri Latini*, 26 = Cavenaile, *Corpus Papyrorum Latinarum*, 2-4 Lief. (1957/8), No. 179; *cf.* R. Taubenschlag, *The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the Papyri*. 2nd ed. Warsaw (1955), p. 643.

إلى الإمبراطور فقد كان فى وسعه أن يعرقل وصولها إليه إذا شاء . وقد حدث ذلك بالفعل عندما قدم اليهود إلى الوالى فلاكّوس قراراً بتهنئة كاليجولا بارتقاء العرش فحال الوالى — كما يروى فيلون — دون وصوله إلى الإمبراطور[1] . وفى بردية أخرى من « أعمال الشهداء الوثنيين » ما يفيد بأن الوالى كان يحول دون إبلاغ الإمبراطور شكاوى مواطنى الاسكندرية الإغريق[2] . وقد ورد على لسان محاى الاتهام فى قضية مكسيموس أن الإمبراطور لم يحط علماً بالرسائل (أى الشكاوى) التى كتبها الإسكندريون إليه . ولم يكن مرد ذلك — كما يزعم الوالى — إلى أن تراجان كان متغيباً (فى حرب داكيا الثانية عام ١٠٥—١٠٦) ، بل أكبر الظن لأن الوالى احتجزها فى مكتبه حتى لا تبلغ مسامع سيده .

ومن حق القارىء أن يسأل — بعد هذا الاستطراد — عن مصير مكسيموس الذى حوكم فى روما بتهمة الابتزاز ، وكال له الإسكندريون فوقها تهماً أخرى كالربا واستغلال السلطة و إفساد الفتى الوسيم[3] . إن الشك لا يساورنا

---

(١) *In Flacc.* 97-101; *cf.* Box, *Philonis Alexandrini in Flaccum*, p. 110, n. 97.

(٢) *Acta Pauli et Antonini* = Musurillo, *Acta Alexandrinorum* IX, col. vi, ll. 120-129.

(٣) نشر الأب موسيريللو أخيراً عدة جذاذات من بردية واحدة تنتمى فيما يبدو إلى مجموعة «أعمال الإسكندريين» (P. Mich. Inv. 4800) كان الأستاذ هربرت يوتى (H. Youtie) أستاذ علم البردى فى جامعة ميشيجان (Michigan) قد لفت نظره إليها ، فأشار إليها أول مرة إشارة يفهم منها أنها لا تمت بصلة إلى « أعمال الإسكندريين » (The Acts of the Pagan Martyrs, p. 155, n. 3) ، ولكن تبين له بعد دراستها بعناية أنها ربما تكون مرتبطة بمحاكمة الوالى فيبيوس مكسيموس (أعمال مكسيموس) . ولعل للبردية المهلهلة أهمية فى دراسة « أعمال الشهداء الوثنيين » بوجه عام . فهى تشير أولا إلى مظالم ارتكبت فى مصر ، وأكبر الظن فى الاسكندرية بالذات ، ولا نعرف إن كان ضحايا الظلم إغريقاً أم يهوداً ، وإن كان يرجح أنهم إسكندريون . وقد يستخلص من ذكر مديرى الضرائب الجمركية (arabarchai) أن المتكلم يعرض باليهود . وبعدئذ تشير البردية إلى بعض الصبية (tekna) الذين لقيهم أذى أو أسيئت معاملتهم ، ثم إلى الهجوم من جانب الجنود ، وإلى نهب كين ، وهلاك بعض الأفراد ؟ =

الآن فى أن المجلس الإمبراطورى قضى بإدانته ، وأن تراجان عزله من منصبه لشناعة جريمته . ومن محاسن الصدف أن وصلتنا وثائق تؤيد ذلك . فقد وجدنا اسم هذا الوالى ، جايوس فيبيوس مكسيموس ، مطموساً فى بعض النقوش[(١)] ، وهو إجراء كان يتبع فى حالة المحكوم عليهم بالموت لإدانتهم بجريمة ضد الدولة كالخيانة العظمى (maiestas) ، فيتقرر وسم سمعتهم ومحو ذكراهم (damnatio memoriae)[(٢)] . ولم يسلم بعض الأباطرة الطغاة من هذه اللعنة فقرر السناتو بعد وفاتهم إزالة أسمائهم من جميع الوثائق والسجلات الرسمية[(٣)] .

= وأهم من ذلك ، مشهد مؤثر تتوسل فيه امرأة (أرمل؟) من الاسكندرية ، ربما الى الوالى(؟) لكى يعفو عن ابنها الشاب ephēbos (أو عنها نفسها ؟) . ولعل المرأة رافقت إحدى سفارات الإسكندريين إلى روما حيث سيقت إلى مكان وعذبت فيه . وإذا صدق هذا الظن فإن البردية تمدنا بإشارة إلى أول امرأة بين شهداء الإسكندريين . ويستفاد من البردية أن خاطباً (rhetor) ألقى خطبة أمام الإمبراطور أشار فيها الى اجتماع شعبى لفحص أسماء أو أشخاص يبلغ عددهم ٣١ وكانوا لا يرتدون قصانهم chlamydes (كرمز على نواياهم السلمية أو حداداً على موت أحد ؟) . ويعتقد ناشر البردية أن من بين القرائن على صلتها بمحاكمة مكسيموس الإشارة إلى الظالم وإساءة معاملة الصبية واحتمال ورود اسم الوالى نفسه فى أحد السطور ، وشكل الخط نفسه الذى ينتسب إلى عصر هدريان أو بعده بقليل ، راجع :
Musurillo, "A New Fragment of the *Acta Alexandrinorum*" *J.R.S.* 47 (1957), pp. 185-190.

(١) *I.G.R.R.* 1175 (Coptos, 103 A.D.), 1357 = *C.I.L.* III, 14148² (103-111 A.D.), 1148 (Panopolis, 109 A.D.).

راجع مقال شفارتز المشار اليه فى هامش ٢ ص١٦٨ .

ومن بين ولاة مصر الآخرين الذين محيت أسماؤهم من بعض النقوش الوالى متيوس روفوس (M. Mettius Rufus) ، والى مصر (٨٩ — ٩١) فى عصر الإمبراطور دوميتيان (I.G.R.R. 1183; C.I.L. III, 13580 [90-91 A.D.]) ؛ راجع :
Stein, *Die Praefekten von Aegypten*, p. 45.

(٢) Cf. A. Berger, *Encyclopedic Dictionary of Roman Law*, Trans. Amer. Philos. Soc. N.S. vol. 43, pt. 2, Philadelphia (1953), *s.v.*

(٣) أراد السناتو أن يصم سمعة كاليجولا بعد مصرعه ولكن كلوديوس منعه من اتخاذ =

وتنهض إدانة مكسيموس وعزله دليلاً على عدالة تراچان وحرصه على إنصاف رعاياه من جور الولاة . ويحدثنا الكاتب پلينيوس (الأصغر) بأن ذلك الإمبراطور أعاد إلى مصر أسطولاً من السفن المحملة بالقمح لكى يخفف من وطأة مجاعة حدثت بسبب انخفاض فيضان النيل[١] . غير أن الحكومة الرومانية واجهت قرب نهاية عهده أكبر ثورة نشبت فى مصر منذ الفتح الرومانى .

٢ — ثورة اليهود الكبرى :

تقدمت هذه الثورة عدة اشتباكات بين اليهود والإغريق من ناحية وبين اليهود والرومان من ناحية أخرى . وكان الهدوء قد ساد العلاقة بين اليهود والإسكندريين حوالى أربعين عاماً بعد سقوط أورشليم ، ولكنه كان هدوءاً ظاهرياً كالرماد يخفى تحته جذوة متقدة . ولم يأت عام ١١٠ أو ١١٣ حتى اندلعت شرارة الفتنة من جديد . وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن أسبابها سوى تلك

= هذا الإجراء (Dio Cass. LIX, 4, 5) ، وأعلن السناتو أن نيرون عدو للشعب حتى قبل موته (Suet. *Nero*, XLIX, 2) . وأما دوميتيان (٨١ — ٩٦) فصدر قرار رسمى بعد وفاته بمحو ذكراه :

Suetonius, *Domit.* XXIII, 1: novissime eradendos ubique titulos abolendamque omnem memoriam decerneret:

«أخيراً قرر السناتو طمس النقوش الخاصة به فى كل مكان ومحو كل أثر لذكراه» . ونجد اسم دوميتيان مطموساً أيضاً فى نفس النقش اللاتينى المشار اليه فى الحاشية السابقة (C.I.L. III, 13580) ، وهو من قفط . كما أصدر السناتو قراراً بوصم سمعة كومودوس (١٨٠ — ١٩٢) وديديوس چوليانوس (١٩٣) وهليوجبالوس (٢١٨ — ٢٢٢) . وأما الإمبراطور دكيوس (٢٤٩ — ٢٥١) فقد أزيل اسمه من النقوش فى بعض المناطق دون أن يكون قد صدر قرار رسمى من السناتو بوصم سمعته ؛ راجع :

K. Wittig, P.W. *RE* "Messius", cols. 1274-6; M. Besnier, *Histoire Romaine* IV (Glotz: Histoire Générale — Histoire Ancienne, 3me partie). Paris (1937), p. 166, n. 138; J.P. Balsdon, *O.C.D.* s.v. *damnatio memoriae.*

(١) *Paneg.* 31-32.

العداوة المستحكمة بين الفريقين ، فإننا نعرف ما حدث بعدها من بردية طريفة تنتمي إلى « أعمال الشهداء الوثنيين » . وتحمل الآن هذه البردية التي عثرنا عليها في البهنسا اسم « أعمال هرمايسكوس » أي محضر جلسة محاكمته(١)

« فقد بعث الإسكندريون بعد هدوء العاصمة وفداً إلى روما مؤلفاً من أحد عشر سفيراً للدفاع عن وجهة نظرهم أو المثول أمام مجلس الإمبراطور . ولم يكد اليهود يسمعون بذلك حتى أرسلوا هم الآخرون إلى روما وفداً من سبعة سفراء للرد على مزاعم خصومهم . ومن الطريف أن كلا من الفريقين — كما يزعم كاتب البردية — حمل معه آلهته : إذ حمل الإسكندريون تمثالاً نصفياً لسرابيس ، وحمل اليهود — فيما يظن لفافة من التوراة(٢) . ووصلت السفارتان إلى روما بعد انقضاء الشتاء . وعلم تراجان بوصول السفراء الإسكندريين واليهود فحدد يوماً لسماع أقوال الطرفين . وعندئذ سعت أفلوطينا (Plotina) — زوج الإمبراطور — لدى أعضاء السناتو لكي يقفوا إلى جانب اليهود ضد الإغريق . وكان اليهود أول من دخلوا قاعة المجلس القضائي (consilium) ، وقد حيوا الإمبراطور فرد عليهم التحية رداً ودياً حاراً متأثراً بتحريض زوجته . ودخل الإسكندريون بعدهم وحيوه ولكنه لم ينهض إلى استقبالهم ، بل قال لهم : أتحيونني كما لو كنتم جديرين برد التحية بعد أن تجرأتم وفعلتم باليهود ما فعلتموه »(٣)

وعند هذه النقطة تضيع بضع سطور فلانتبين سياق الكلام ولكن ما يأتي بعد ذلك من حوار بين تراجان وهرمايسكوس ، رئيس الوفد السكندري ، ينتقل بنا إلى مرحلة أخرى أو جلسة أخرى من جلسات المحاكمة :

---

(١) *P. Oxy.* 1242 = *Acta Hermaisci* = Musurillo, *Acta Alexandrinorum*, No. VIII (Text, p. 44; Comment., p. 161).

(٢) *P. Oxy.* 1242, col. i, 17-18; *cf.* col. iii, 51-52.

(٣) *P. Oxy.* 1242, col. ii.

قيصـــــر : انت تروض نفسك على مواجهة الموت وتزدريه الى حد انك ترد على بقحة .

هرمايسكوس : ان ما يزعجنا هو امتلاء مجلسك باليهود الملحدين .

قيصـــــر : اصغ الى يا هرمايسكوس ، فسأقول لك للمرة الثانيـة ، ان اعتزازك بأصلك يدفعك الى أن ترد على بقحة .

هرمايسكوس : أى رد وقح وجهته اليك ، أيها الامبراطور الأعظم ؟ اشرح لى بربك .

قيصـــــر : لأنك زعمت أن مجلسى غاص باليهود .

هرمايسكوس : أو يزعجك اذن ذكر اليهود ؟ ان كان الأمر كـذلك فأولى بك أن تسـاعد بنى قومك وأن لا تنبرى للدفاع عن اليهود الملحدين .

وبينما كان هرمايسكوس ينطق بهذا الكلام تصبب فجأة تمثال سرابيس عرقاً ، وهو التمثال الذى كان يحمله السفراء الإسكندريون ، ودهش تراچان عندما رآه وبعد قليل احتشدت الجماهير الصاخبة فى روما . وتعالت صيحات جموعهم فى جنباتها وأخذ الناس جميعاً يفرون إلى أعالى التلال ... »[1]

وفى الحق أن سرابيس كان مثل يهود ، ربّ اليهود ، على استعداد لنصرة قومه . فقد أظهر آيةً شدّ بها من أزر هرمايسكوس ، وكأنها كانت وعيداً بالانتقام الإلهى من روما إن لم يستجب الإمبراطور إلى الإسكندريين أو نذيراً بالثورة التى قام بها اليهود بعد سنوات قليلة ، أو نبوءةً بتدمير معبد سرابيس فى الإسكندرية أثناء تلك الثورة .

وهـكذا تنتهى البردية اليونانية دون أن تفصح عن نتيجة محاكمة هرمايسكوس ، زعيم الوفد الإسكندرى ، تلك المحاكمة التى رجحنا أنها أجريت بسبب تجدد الاصطدام بين اليهود والإغريق . وأما الوثيقة التالية فتتحدث عن اضطرابات أثارها اليهود فى الإسكندرية مما أدى إلى تدخل القوات الرومانية

---

(١) *P. Oxy.* 1242, col. III.

ونشوب معركة انتهت بانتصار الرومان . ويبدو أن الإسكندريين اغتنموا الفرصة وتحرشوا باليهود فتجددت الاشتباكات . وفى هذه المرة اشترك ضد اليهود عدد كبير من العبيد الذين حرضهم سادتهم من الإغريق ذوى النفوذ . وقاومهم اليهود كعادتهم وأصابوا بعضهم بجروح . وازداد قلق السلطات الرومانية من أن تنقلب المشاجرات إلى معارك دامية . وقد انصب غضبها على الإغريق لأنهم عكروا صفو الأمن الذى استتب بعد هزيمة اليهود وإخلادهم للسكينة . لذلك اتخذت إجراءات حازمة ، إن لم تكن صارمة ، ضد مثيرى الشغب من العبيد وسادتهم . واحتج الإغريق وجأروا بالشكوى . وإذا صدق ماجاء فى البردية فإن الإمبراطور أرسل قاضياً خاصاً للتحقيق فى الموضوع . غير أن البردية ممزقة كثيرة الفجوات ويكتنفها غموض شديد ترتب عليه تشعب كبير فى الآراء التى أبديت فى تفسير فحواها . ولا ندرى أهى محضر رسمى لمحاكمة حقيقية أم هى قطعة أدبية تخيلية من قبيل « أعمال الشهداء الوثنيين » أراد بها الكاتب الدعاية لفريقه ، أم هى منشور أصدره الوالى روتيليوس لوپوس (Rutilius Lupus) فى أعقاب الشغب الذى ثار فى المدينة . ومع أن بعض عبارات فى البردية مكتوبة بأسلوب بلاغى واضح ، فإن الرأى الراجح أنها منشور أصدره ذلك الوالى فى ١٣ أكتوبر من عام ١١٥ ، ملقياً فيه تبعة الشغب على عاتق الإغريق :

فهو يشير الى استعمالهم النار والحديد (ضد اليهود ؟) وعندما دفعوا عن انفسهم التهمة قائلين بان قلة هى المسئولة عن الشغب رد عليهم قائلا أن هذه القلة كان يساندها عدد كبير من العبيد وكذلك بعض ذوى الجاه الذين اشتروا حق اعفائهم من اللوم واعفاء دورهم من النهب . وليس من الظلم فى شيء أن تلقى على المدينة كلها تبعة ما تنطوى عليه نفوس القلة من كراهية . اننى اعلم أنه يوجد بين هؤلاء (الذين أثاروا الشغب) كثير من العبيد . ومن أجل هذا يتحمل سادتهم اللوم . وعلى ذلك فانى أطالب الجميع بعدم التظاهر بالغضب بغية التملص من العقاب . وليعلموا أننا لا نجهل الآن من هم ، وليس لهم أن يعولوا على تسامحى أو أن يلجاوا الى

التوسلات • واذا شاء أحد أن يدين آخر فلديه قاض مرسل من لدن القيصر للتحقيق في هذا الأمر ، لانه ليس من حق الولاة أن يعدموا النـــاس دون محاكمة • وستجرى المحاكمة في ميعاد محدد ومكان معين ، كما سيكون العقاب بطريقة خاصة • وليكف من يدعون بالحق ومن يدعون بالباطل انهم جرحوا عن الاقتصاص لأنفسهم بوسائل العنف غير المشروعة • فقد كان من الممكن أن لا يصابوا بجراح • وربما كان في اســـتطاعتهم أن يلتمسوا بعض العذر لأخطائهم قبل المعركة بين الرومان واليهود ، واما الآن (وقد انتصر الرومان) فقد أصبح (العذر ؟) واهيا ••• »[١]

لعل هذه الاحتكاكات كانت مقدمات لثورة اليهود التى نوهت عنها . فقد أخذت علاقة اليهود والرومان فى التدهور السريع بعد ثورتهم فى فلسطين عام ٦٦ وتدمير معبدهم الرئيسى بأورشليم عام ٧٠ . وقد زادها سوءاً ذلك القرار الذى أصدره فسپسيان فى عام ٧١ بإرغام اليهود على دفع ضريبة الدينارين لمعبد الإله چوپيتر فى روما بدلاً من دفعها لمعبد أورشليم ، وقراره الآخر بتدمير معبد أونياس فى لينتوپوليس بمصر — وهو قرار لم ينفذ بحذافيره — و إغلاق ذلك المعبد نهائياً فى عام ٧٣/٧٢ ؛ ومصادرة جميع ممتلكاته[٢] . ومنذ ذلك الحين تغيرت سياسة الرومان إزاء اليهود بوجه عام وقلبوا لهم ظهر المجن وساء ظنهم فيهم باعتبارهم طائفة مثيرة للشغب . وكان الرومان من قبل يؤثرونهم بالعطف و يرعون حقوقهم و يكفلون لهم حرية العبادة و إن صدقت « أعمال الإسكندريين » فإن الحكومة الرومانية كانت تتخذ منهم مخالب قط للتنكيل بغيرهم من الطوائف[٣] . واضطر

(١) *P. RUMß.* (PRUM) = I. Cazzaniga, "Torbidi Giudaici nell'Egitto romano nel secondo secolo di Christo", *Ann. Inst. Phil. Hist. orient. et slave,* V (Mélanges Boisacq I, 1937), pp. 159-167 = Musurillo, *Acta Alexandrinorum* IX C (Text, p. 59; Comment. p. 194 f.); *cf.* Préaux, *Chron. d'Eg.* 14 (1939), p. 180 f.; Skeat, *J.E.A.* 25 (1939), p. 79; Fuks, *Aegyptus* 33 (1953), pp. 136-138.

(٢) راجع ص ١٤٦ فيما تقدم

(٣) *Cf.* V. Tcherikover, *The Jews in Egypt in the Hellenistic-Roman Age in the Light of the Papyri.* Jerusalem (1945), p. 18 f.

اليهود إلى السكوت على مضض متحينين الفرصة للتألب على الرومان . ولعل الأمل — كما أسلفنا — قد راودهم فى الخلاص على يد مسيح جديد يخلصهم من نير الحكام ويكفل لهم الحرية والرفاهية بعد هذا الشقاء[1] .

وقد حانت هذه الفرصة عندما كان الإمبراطور تراچان متغيباً فى الشرق يقود تلك الحملة التى بدأها فى خريف عام ١١٣ واستولى فيها على أرمينيا (١١٤) ثم أعالى بلاد ما بين النهرين والمنطقة الواقعة إلى الشرق منها (ولاية آشور (Assyria) فيما بعد) وأخيراً طيسفون (Ctesiphon) (المدائن) ، عاصمة مملكة پارثيا[2] ، المتاخمة للضفة الشرقية من الدجلة (١١٥) . ولكن لم يلبث الپارثيون أن هبوا لمقاومته تعاونهم بعض شعوب المنطقة . وتحرج مركز تراچان حتى كاد أن يفقد سيطرته على الأراضى المفتوحة . وعندئذ أمر بسحب بعض الحاميات من الولايات الرومانية تعزيزاً للحملة . وخرجت من مصر نفسها وحدات من فرقة قورينة الثالثة التى حلت مكانها بعد سنوات قليلة «فرقة تراچان الثانية الباسلة» (legio II Traiana fortis) ؛ وهى فرقة أنشأها الإمبراطور وقتئذ تعزيزاً للحملة فى الشرق أو قبل ذلك بسنوات لمواجهة حرب داكيا (Dacia) الثانية (١٠٥—١٠٦) وتمشياً مع سياسة التوسع[3] . اختار اليهود هذا الوقت وهبوا ثائرين ليطعنوا الرومان من الخلف . ولم يكن فى وسعهم أن يختاروا فلسطين القريبة من مراكز احتشاد القوات الرومانية مكاناً للثورة ، فأضرموا نيرانها فى أماكن بعيدة مثل برقة ومصر وقبرص حتى يتحقق لها

---

(١) Tcherikover, *op. cit.*, p. 28.

(٢) الأشكانيون هم الذين وضعوا نواة مملكة پارثيا Parthia التى تعرف فى العربية باسم بارتيا أو فارطيا أو ألبرت ، راجع : عبد اللطيف أحمد على : التاريخ الرومانى ص ٢٠٣ حاشية

(٣) عن مشكلة إنشاء فرقة تراچان الثانية ، راجع :

Lesquier, *L'armée romaine d'Egypte* (1918), pp. 64 ff.; Ritterling, *RE* "legio", 1484; Parker, *The Roman Legions* (1928), pp. 111-115; Gilliam, "The Veterans and *praefectus castrorum* of the *II Traiana* in A.D. 157", *A.J.P.* 77 (1956), p. 366, n. 28.

النجاح . والمعلومات التى وصلتنا عن مقدمات تلك الثورة طفيفة غير مؤكدة ، وتوحى بأنها بدأت على شكل اضطرابات متفرقة لا ارتباط بينها . غير أن تعاون يهود برقة ويهود مصر فى المرحلة التالية من الثورة ، وامتناع يهود فلسطين عن الاشتراك فيها عن قصد ، قد ينهضان دليلاً على قيام تواطؤ بين جالياتهم المختلفة واتفاق سابق على خطة معينة ، ولو أنها لم تستهدف فى بادىء الأمر سوى أغراض محدودة . ولم تلبث الثورة أن تحولت إلى حرب خطيرة فى عام ١١٦ . ويلوح أن يهود برقة بيتوا النية على استئصال شأفة الطوائف الأخرى كاليونان والرومان ، أو طردهم وإقامة دولة يهودية جديدة فى ليبيا . وقد اختاروا لهم ملكاً يدعى تارة لوكواس (Lukuas) [(١)] ، وتارة أخرى أندرياس (Andreas) [(٢)] ، ولعل أحدهما هو الاسم والآخر هو الشهرة [(٣)] ؛ ثم انقضوا على مواطنى مدينة قورينى Cyrene (الشحات) ، عاصمة ولاية قورنية Cyrenaica (برقة) ، وفتكوا بأعداد غفيرة منهم ومثلوا بجثثهم تمثيلاً رهيباً حتى أن المدينة أوشكت أن تقفر من السكان بعد أن هلك منهم حوالى ٢٢٠٫٠٠٠ نسمة [(٤)] . وهدم اليهود معابد وتماثيل الآلهة اليونانية كأبوللون وزيوس وهكاتى وغيرها من المعابد ، كمعبد إيزيس والمعبد القيصرى ودمروا حمامات المدينة وأروقتها المسقوفة وأنديتها وملاعبها وخربوا الطرقات ، وعاثوا فى الحقول فساداً حتى أصبحت جدباء قاحلة . وقد أمدتنا الآثار والنقوش بمعلومات وفيرة عن هذا التخريب الشديد ، وما بذله الإمبراطور هدريان ، خليفة تراجان ، من جهود متصلة لإزالة آثاره ، سواء بإحضار سكان يونان أو محاربين قدماء رومان لتعمير برقة من جديد واستصلاح أراضيها أو ترميم

---

(١) Eusebius, *Hist. Eccles.* IV, 2, 3-4.

(٢) Dio Cassius, LXVIII, 32.

(٣) Wilcken, *Hermes* XXVII, p. 472.

(٤) Dio Cassius, LXVIII, 32, 2; *cf.* Eusebius, *Hist. Eccles.* IV, 2.

منشاتها و إصلاح طرقاتها و إعادة بناء أبوللونيا ، ميناء قوريني ، التى خربت فى ثورة اليهود . ولا ترجع هذه النقوش إلى مستهل حكمه فقط ، بل ترجع أيضاً إلى أواخر عهده مما يدل على مدى التخريب وعلى مدى ما انقضى من وقت قبل إزالة آثاره . وقد بلغ من عرفان مواطنى قورينة بصنيع هدريان أنهم خلعوا عليه لقب مصلح ليبيا (Restitutor Libyae) ولقب المؤسس (Ktisas, Oikistês) ، ومطعم المدينة من جوع (Tropheus) أى ممونها بالغلال فى زمن القحط[١] .

ولم يلبث أن امتد لهيب الثورة إلى قبرص حيث أفنى اليهود — وفقاً لرواية ديون كاسيوس — ٢٤٠٫٠٠٠ نسمة وخربوا عاصمتها سلاميس حتى أن مواطنيها أصدروا ، فيما بعد ، قراراً يحرم على اليهود أن تطأ أقدامهم أرض الجزيرة[٢] . ولم يكن من المتوقع أن تظل الأحوال هادئة فى الإسكندرية . وما حدث بتلك المدينة نعرفه من بعض النصوص التاريخية و برديات « أعمال الإسكندريين » التى وجدناها فى أماكن مختلفة من مصر . ومنها نعلم أن اليهود ثاروا فى الريف المصرى وانقضوا على الإغريق ونكلوا بهم . وفر من استطاع الفرار إلى الإسكندرية حيث انقضوا مع إخوانهم على الجالية اليهودية التى قاومتهم مقاومة عنيفة . وقد نجم عن الصراع تهديم هيكل اليهود الرئيسى (Synagôgê) ، وتدمير معبد نيميسيس (Nemesis) ربة الانتقام عند اليونان ، ولا يستبعد أيضاً أن يكون معبد سرابيس نفسه — كما يعتقد الأستاذ ويس — قد تهدم فى تلك الفترة ، ولو صدقت رواية المؤرخين فإن أحياء برمتها تحولت إلى أنقاض مما حمل هدريان على تخطيطها من جديد . وفى وسعنا أن نقول ، قياساً على ما حدث خارج الإسكندرية (chôra)

---

(١) عن هذا الموضوع والنقوش المتعلقة به ، راجع :

P.M. Fraser, "Hadrian and Cyrene", *J.R.S.* 40 (1950), pp. 77-87; S. Applebaum, *ibid.* pp. 87-90; idem, *Journ. Jew. Stud.* II (1957), pp. 177 ff.; M. Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Roman Empire*, 2nd ed. (1957), vol. II, p. 680 f., n. 64.

أن المدينة أصيبت بأضرار بالغة . وقد غلب اليهود على أمرهم ومنيت جاليتهم بضربة قاصمة لم تنهض منها أبداً .

ومع هذا فلم تخمد الثورة ، بل أقبلت على دور جديد أشد هولاً من سابقه . فقد زحف اليهود من برقة فى شتاء عام ١١٦ على الأراضى المصرية تحت قيادة ملكهم لوكواس ولم تقو الحامية الرومانية على صدهم وتقهقرت إلى الإسكندرية . غير أن قوات اليهود لم تجرؤ على اقتحام المدينة لنجدة بنى إسرائيل الذين تمزقت أوصالهم واشتدت محنتهم وعندئذ اتجه يهود برقة إلى جهات أخرى من مصر ، حيث انحاز إليهم بنو جلدتهم ، وسيطروا على جانب من أراضيها وعاثوا فيها فساداً .

وما حدث فى سائر أنحاء مصر دون الاسكندرية (chôra) نعرفه الآن من مجموعة كبيرة من برديات هى فى الأصل أوراق رسمية وشخصية لموظف يدعى أپوللونيوس (Apollonius) ، شغل فى الفترة ما بين عامى ١١٤ ، ١٢٠ منصب قائد أو بالأحرى مـــدير (stratêgos) إقليم أپوللونوپوليس هپتاكوميا (Apollonopolitês Heptakômia) ، وهو إقليم لم نكن نعرفه بهذا الاسم قبل اكتشاف هذه البرديات . وقد اتضح أن إقليم أپوللونوپوليس الأصغر — وهو غير إقليم أپوللونوپوليس الأكبر ، أى أدفو بمديرية أسوان — ليس سوى الإقليم الذى كانت عاصمته تحمل إسم أفروديتوپوليس (كوم اشقاو) قبل عصر تراجان ، وأن هپتاكوميا — ومعناها القرى السبع — التى تقابل اليوم كوم اسفحت (بمحافظة سوهاج) قد حلت محل أفروديتوپوليس كعاصمة لذلك الإقليم الجديد[1] .

---

(١) P. Brem. 42 (Introd., p. 99)

كان إقليم أپوللونوپوليس ، حول كوم شقاو قرب طما بمحافظة سوهاج) يقع على الضفة الغربية من النيل قريباً من إقليم هوپسيليتيس Hypselitês (الشطب قرب أبو تيج بجنوب محافظة أسيوط) فى مواجهة إقليم أنتايوپوليس Antaeopolis (العتمانية أو كاو الكبير بمحافظة سوهاج) على الضفة الشرقية

وقد عثرنا على هذه الأوراق البردية بالقرب من هرموپوليس (الأشمونين) ، وهى موطن أپوللونيوس الأصلى حيث كانت تقيم أسرته . ولدينا أوراق بردية غير هذه عثرنا عليها فى أماكن أخرى متفرقة كالبهنسا (بمركز بنى مزار ، مديرية المنيا) ، وهى توضح لنا مدى امتداد لهيب ثورة اليهود الكبرى فى طول البلاد وعرضها ، وما نجم عنها من تخريب مادى وما خلفته من أثر نفسى بين السكان .

ولعل أول صدى لهذه الثورة يتردد فى رسالة كتبتها ألينى (Aliné) إلى زوجها (وأخيها فى الوقت نفسه) أپوللونيوس معبرة له عن جزعها الشديد وقلقها على سلامته[1] . وكان أپوللونيوس قد تركها فجأة وصار معرضاً للخطر . ولما كانت ألينى تشير إلى وجودها مع والديها فقد كانت مقيمة حينئذ فى هرموپوليس التى بعثت منها رسالتها . ومن العسير التحقق من المكان الذى كان فيه أپوللونيوس عند استلامه هذه الرسالة ، لكن المرجح أنه كان لا يزال موجوداً فى جهة ما من إقليم أپوللونوپوليس (حول كوم اشقاو) ، لأن زوجته تقارن بينه و بين المدير عندها ، أى مدير هرموپوليس ، وتود لو أن زوجها يقتدى به فيلقى مهامه الخطرة على عاتق مرءوسيه . لقد كان أپوللونيوس فيما يبدو منهمكاً فى مواجهة ثورة اليهود التى ظهرت بوادرها فى إقليمه . ونحن نعلم من وثائق أخرى أنه اشترك فى القتال ضد اليهود أثناء احتدام ثورتهم فى مكان بعيد عن هپتا كوميا (كوم أسفحت) ، ولكن هذا المكان كان يقع فى شمال هرموپوليس لا فى جنوبها كما يفهم من هذه الرسالة . ولعل أرجح تعليل لذلك هو أن طلائع الاضطرابات اليهودية لاحت فى الإقليم الذى يديره أپوللونيوس فاضطر إلى مفارقة زوجته فجأة ، ورحلت هى مع أولادها إلى هرموپوليس لتقيم مع والديها ، أو أن أپوللونيوس صحب أسرته إلى هرموپوليس ، وبعدئذ عاد بسرعة إلى مقر عمله الرسمى . ولا تحمل هذه الرسالة

---

(١) *P. Giss.* 10.

أى تاريخ محدد ، ولكنها تتضمن إشارة إلى أنها حررت بعد أول العام (المصرى) الجديد ، أى بعد ٢٩ أو ٣٠ أغسطس ، أكبر الظن فى أوائل سبتمبر من سنة غير معروفة . لكن لما كان مضمون الرسالة يوحى بأن افتراق أبولونيوس عن زوجته حديث الوقوع ، وكان أبولونيوس على ما يبدو لا يزال موجوداً فى إقليمه ، على حين أنه كان عند احتدام الثورة بعيداً عنه مع القوات الرومانية ، فإن أرجح تاريخ لهذه الرسالة هو سبتمبر عام ١١٥ . فإذا صح هذا التفسير ، فإنه يشير إلى بداية قيام الاضطرابات فى إقليم أبولونوپوليس ، إن لم يكن أيضاً فى إقليم هرموپوليس قبل نهاية أغسطس عام ١١٥ .

ولم تنقض عشرة شهور حتى كان لهيب الثورة قد اشتد وحمى وطيس القتال بين السلطات الرومانية واليهود . وتكتب يودايمونيس (Eudaemonis) إلى إبنها أبولونيوس فى ٣٠ يونيو من عام ١١٦ (؟) مؤكدة له أنه بمشيئة الآلهة ، وخاصة هرميس (إله هرموپوليس) الذى لا يقهر أنهم (أى اليهود) لن يشووه أى لن يتمكنوا من حرقه مثلما فعلوا بخصومهم فى برقة بكل تأكيد ، وربما أيضاً بخصومهم فى مصر من الرومان واليونان والمصريين[١] . غير أنه لا يتضح لنا أين كان أبولونيوس عندما تلقى هذه الرسالة : أكان لا يزال فى هپتا كوميا أم انتقل إلى هرموپوليس حيث دار قتال رهيب رجحت فيه كفة اليهود ؟ ذلك أن الحالة تحرجت إلى حد أن السلطات الرومانية اتخذت إجراءات غير عادية ، إذ تقول إحدى الرسائل :

« كان الأمل الوحيد ومعقد الرجاء الأخير هو هجوم القرويين الذين حشدوا من اقليمنا على اليهود الكفرة ، غير انه آتى بنتيجة عكسية . ففى اليوم العشرين عندما هاجمهم رجالنا غلبوا على أمرهم وذبح كثير منهم . غير أنه قد تلقينا الآن خبرا (من بعض اشخاص قادمين من الشمال) ان

(١) P. Giss. 25 = W. Chrest. 15.

فرقة اخرى (بقيادة روتيليوس ؟) قد وصلت الى ممفيس فى اليوم الثانى والعشرين ، ومن المتوقع وصولها (الينا) ... » (١)

وبغض النظر عن الخلاف حول تفسير بعض النقاط فى هذه الرسالة ، فإن الرأى الراجح أنها أرسلت من هرموپوليس إلى هپتاكوميا ، فى تاريخ يقع بين يوليو ١١٦ ويناير ١١٧ . ومعنى هذا أن ثورة اليهود امتد لهيبها شمالاً من هپتاكوميا إلى هرموپوليس حيث انتصر اليهود — فيما يبدو — مرتين على القوات غير النظامية التى عبأتها السلطات من بين الفلاحين على عجل لمواجهة الموقف الخطير .

ولم يلبث القتال أن انتقل إلى ميدان آخر فى الشمال عند ممفيس (ميت رهينة) حيث دارت رحى معركة عنيفة . ومن خطاب طريف نعلم أن أپوللونيوس أرسل رجلاً إلى قفط ليشترى له أسلحة كثيرة كان من بينها درع نحاسى وسيف وخنجر (٢) وليس أدل على خطورة الموقف من أن أپوللونيوس ، وهو مدير مدنى مارس ، على غير المألوف ، سلطة عسكرية فقاد بعض القوات التى جمعها فى أغلب الظن من إقليمه واشترك بها فى مقاتلة اليهود عند ممفيس . وقد حالفه التوفيق ومنى اليهود بالهزيمة . يقول أفروديسيوس ، أحد مرؤوسيه ، فى رسالة بعث بها من هپتاكوميا إلى هراكليوس ، وكيل أعمال أپوللونيوس ، فى هرموپوليس فى أوائل عام ١١٧ :

« تحية من افروديسيوس الى هراكليوس صديقه الأعز . لقد بلغنى من بعض اشخاص اتوا اليوم من ابيونانهم التقوا فى طريقهم باحد عبيد مولانا ابوللونيوس قادما من ممفيس يحمل انباء سارة عن انتصاره وتوفيقه . لذلك حرصت على ان اكتب اليك لكى اتحرى حقيقة الخبر ، فالبس الأكاليل

---

(١) *P. Brem.* 1.

(٢) *P. Giss.* 47 = *W. Chrest.* 326 = Johnson, *Roman Egypt* (An Economic Survey of Ancient Rome, vol. II, ed. by T. Frank), 1936, No. 277 (p. 444 f.).

احتفاء بالنصر وأقدم الخمر قربانا للآلهة . وإني لأرجوك ، أيها الصديق الأعز ، أن تبلغني بأقصى سرعة ... »(١)

على أن هذا الانتصار الذى أحرزته السلطات الرومانية بالتعاون مع اليونان والمصريين لم يخمد الثورة اليهودية التى ظلت مشتعلة فى أنحاء كثيرة من الوادى . ولدينا نصوص تاريخية ووثائق بردية كتبت بعد الثورة ولكنها تشير إلى ما حدث أثناءها من اضطرابات فى جهات أخرى غير التى ذكرناها . لقد سرى لهيب الثورة شمالاً فبلغ أتريبيس (تل أتريب قرب بنها) حيث قتل بعض اليهود أو فقدوا فى المعركة(٢) وكذلك المنطقة الواقعة حول پيلوزيون (الفرما) فى شمال شرق الدلتا(٣) . وأما فى جنوب الدلتا فإن إقليم أرسينوى (الفيوم) لم يسلم هو الآخر من التخريب . وقد بلغ من شدته أن بعض حقوله أصبحت قاحلة لا تدر أى إيراد(٤) . وفى مذكرة من مدير إقليم هيراكليوپوليس (أهناسيا بمديرية بنى سويف) إلى مدير إقليم أكسيرينخوس ، بعد الثورة ، إشارة إلى خطابين مرفق طيهما بيان بممتلكات اليهود ، ويطلب الأول فيهما من الثانى أن يحتفظ بأحد الخطابين لنفسه ويحول الآخر إلى مدير إقليم كينوپوليس (الشيخ فضل)(٥) . فإذا صح أن هذا البيان أعد توطئة لمصادرة ممتلكات اليهود ، فإنه يمدنا بدليل على نشوب قتال فى هيراكليوپوليس وأكسيرينخوس

---

(١) *P. Giss.* 27 = *W. Chrest.* 17.
قارن أيضاً *P. Bad.* 36 وهى وثيقة يعتقد البعض أنها تشير إلى تحرك قوات رومانية نحو منفيس ، راجع :
A. Fuks, "The Jewish Revolt in Egypt (A.D. 115-117) in the Light of the Papyri", *Aegyptus* 33 (1953), p. 145 f.

(٢) *P. Oxy.* 500.

(٣) Appianus, fr. 19.

(٤) *B.G.U.* 889.

(٥) *P. Oxy.* 1189.

وكينوبوليس . وفى الحق أن أكسيرينخوس قد عانت من هذه الثورة ، لأن إحدى الوثائق تشير إلى إحراق بعض مبانيها الزراعية على يد اليهود[١] . ولدينا رسالة من أحد مواطنى هذه البلدة (أو المدينة على حد قول أهلها) إلى الإمبراطورين سپتميوس سڤيروس وابنه كراكلا يذكرها فيها بأن أهالى المدينة قاتلوا إلى جانب الرومان فى حرب اليهود[٢] . وقد سبق أن أشرنا إلى وثيقتين[٣] يستخلص منهما حدوث اشتباكات فى هرموپوليس (الأشمونين) ، مسقط رأس أپوللونيوس ، وتؤيدهما رسالة طريفة بعثت بها يودايمونيس إلى ابنتها ألينى فى ٢٣ أبيب (الموافق ١٦ يوليو) من عام يرجح أنه ١١٧ ، أى قبل إخماد الثورة بوقت قصير . فى هذه الرسالة التى تدور حول شئون عائلية بحتة تتحدث الأم عن صعوبة إيجاد إماء لمساعدتها فى أعمال المنزل (أو فى نسج الصوف ؟) مما يوحى بأن ثورة اليهود قد تسببت فى قلة الأيدى العاملة . وتروى أن الرجال قاموا بمظاهرات فى جميع أنحاء المدينة مطالبين بزيادة الأجور — وهى ظاهرة نادرة الحدوث فى مصر على أيام الرومان ، ولعلها نشأت هى الأخرى عن طول الحرب ضد اليهود التى أدت إلى ارتفاع أسعار السلع فوجد العمال أنفسهم عاجزين عن مواجهة مطالب المعيشة بالأجور العادية . وبلغ من الضيق الاقتصادى أن يودايمونيس نفسها مرت بوقت عصيب على الرغم مما نعرفه عن ثراء ابنها . ويفهم من فحوى رسالتها أن القتال قد توقف فى كل من هرموپوليس التى تعانى فقط من آثار الحرب اليهودية ، وكذلك فى أپوللونوپوليس حيث عادت ألينى وحدها تاركة ابنتها الصغيرة عند جدتها فى يوم ٢٩ من شهر غير مسمى ولكنه سابق مباشرة على شهر أبيب ، أى فى يوم ٢٩ بؤونة الموافق ٢٣ يونيو من عام ١١٧ . غير أن القتال كان

(١) *P. Oxy.* 707, recto.

(٢) *P. Oxy.* 705, col. II, ll. 31-35.

(٣) *P. Giss.* 19; *P. Brem.* 1.

لا يزال محتدماً على ما يبدو في جهة أخرى من مصر ، لأن رسالة يودايمونيس لا تتضمن أي سلام إلى ابنها ، أكبر الظن لغيابه عن مقر عمله ، بل إنها تتضمن ما يوحي بقلقها الشديد عليه ، أو بالأحرى تتضمن جملة تعني — إن صح تفسيرها وهو أمر عسير — أنها لن تهتم بأي إله قبل أن تسترد ابنها (سالما) . فلتقرأ هذه الرسالة التي بذل العلامة فيلكن أقصى جهده لاستجلاء غوامضها وحالفه التوفيق إلى حد كبير . وقد ترجمناها لك عن اليونانية كما هي دون أن نحاول تنميق أسلوبها العامي[1] :

« من يودايمونيس الى ابنتها اليني ، تحية • انى لأدعو قبل كل شيء أن تكوني قد وضعت حملك في ميعادك ، وأن أتلقى رسالة بأنه ولد • وبعد سفرك الى الجنوب في يوم ٢٩ انتهيت من نسج الصوف (؟) في اليوم التالي • ولم أتسلم (الثوب) من الصباغ الا بصعوبة في يوم ١٠ أبيب • انني اشتغل مع اماتك بقدر المستطاع • ولا اجد خادمات اماء يستطعن مساعدتنا في العمل لأن جميعهن يعملن لدى سيداتهن • لقد طاف رجالنا طرقات المدينة كلها متلهفين على زيادة الأجور • اختك سويروس وضعت • وتيوس كتبت الى تشكركم • وهكذا علمت ، يا مولاتي ، أن تعليماتي ما تزال نافذة • فقد تركت جميع اهلها وبادرت بالرحيل معك • ان الصغيرة تبعث اليك بتحياتها وهي مثابرة على دروسها • اعلمي أنني لن أهتم بأي اله ما لم استرد (؟) ابني اولا[2] • لماذا ارسلت الى العشرين دراخمة (؟) هل لأنني أمر بوقت عصيب ؟ انه ليتمثل امام عيني من الآن انني سأتنقل الشتاء عارية (اى خاوية الوفاض) • والسلام • ٢٢ أبيب • »

« زوجة يوديموس لا تفارقني واني لأشكرها (على ذلك) »

العنوان على ظهر البردية : **الى الابنة اليني .**

وثمة قرينة أخرى على التدمير الذي نجم عن ثورة اليهود حول هرموپوليس إذ يكتب هيروديس ، وهو مهندس معماري أو مقاول كان يشرف على بناء منزل

---

(١) *P. Brem.* 63.

(٢) Cf. *P. Brem.* 63, 25-28 note (p. 144).

لأبوللونيوس فى مزرعته الكائنة بذلك الإقليم ، يكتب إليه فى ٢٩ أغسطس من عام ١١٨ ، أى بعد انتهاء ثورة اليهود ؛ لكى يمنحه أجازة يومين نظراً لتوقف العمل حداداً على وفاة ابنة وكيل أعماله (هيرا كليدوس) ، حتى يتمكن من السفر شمالا (إلى الإسكندرية ؟) لزيارة أخيه هيراكيون على مركب يملكها الأخير (راسية فى أغلب الظن ، فى النيل على مقربة من مكان العمل) لأنه إذا لم يسافر بالمركب ، فلن يستطيع أن يسافر برا بسبب التخريب الذى أصاب أماكن كثيرة[١] . وفى رسالة بعث بها رجلان إلى أبوللونيوس نجدهما يعتذران له عن عدم استطاعتهما مده بما يطلبه من خضر أو بقل معين بسبب اضطرابات اليهود (thorubei) وفتنتهم (stasis) القائمة فى إقليم ليسكوبوليس (أسيوط)[٢] . وقد رأينا كيف امتدت الثورة جنوباً حتى المنطقة الواقعة حول هيبا كوميا (كوم اسفحت) ، على مقربة من العمانية (بمحافظة سوهاج) . لقد كانت الثورة شاملة فلم تقتصر على إقليم دون الآخر . لقد صدق المؤرخ الكنسى يوسيبيوس عندما قال « إن اليهود أشعلوا نار حرب غير صغيرة وخربوا أرض مصر وطفقوا يعيثون فى أقاليمها فساداً »[٣] وتفيض الرسائل المحفوظة بين أوراق أبوللونيوس بالإشارات إلى شكوى الناس من الأخطار القائمة واضطراب المواصلات والتوسل إلى الآلهة أن تمد يد العون حتى تزول المحنة وينكشف البلاء[٤] .

وقد انهمك أبوللونيوس مع القوات الرومانية فى إخماد فتنة اليهود ، وطال غيابه عن ذويه فازداد قلقهم عليه . قلقت أمه ، زوجه وأبناؤه ، كما قلقت عليه إماؤه . استمع إلى هذه الرسالة التى كتبتها إليه إحدى جواريه ، وهى رسالة فريدة فى نوعها بين الرسائل البردية لأنها تجيش بالعاطفة الملتهبة وكأنها كتبت

---

(١) P. Brem. 15.

(٢) P. Brem. 11, col. II, ll. 25 f., 30.

(٣) Hist. Eccl. IV, 2, 2-3.

(٤) P. Bad. 39.

فى عصرنا الراهن . ولولا وضوح العنوان على ظهر البردية ، ومعرفتنا بعلاقة المتراسلين ، لحسبنا أنها رسالة من عاشقة ولهى تكتوى بنار الشوق إلى عشيق غاضب ممعن فى الهجر والصدود[1] :

« من تاووس الى مولاها أبوللونيوس ، تحيات كثيرة جداً . أحييك ، يا سيدى ، قبل كل شيء وأبتهل دائما من أجل صحتك . لقد قلقت ، يا مولاى ، قلقا شديدا عندما سمعت بأنك كنت منحرف الصحة . لكن الشكر لجميع الآلهة لأنهم يحفظونك من السوء . أتوسل اليك ، يامولاى، اذا راق لك ذلك ، أن ترسل فى طلبى [2] ، والا فانى أموت لأننى لا أراك كل يوم . ليته كان فى استطاعتى أن أطير وآتى اليك وأسجد عند قدميك! فانا فى هم وضيق لعدم رؤيتى اياك . ليصف قلبك اذن من ناحيتى ولترسل فى طلبى . والسلام . ان كل شيء عندنا ، يا مولاى ، على ما يرام (؟) أبيب ٢٤ » [3] .

العنوان على ظهر الرسالة : **الى أبوللونيوس المدير .**

---

(١) *P. Giss. 17 = W. Chrest. 481 = Sel. Pap. I, 115.*

(٢) يلاحظ فى الأصل اليونانى (بالسطر التاسع من الوثيقة وما يليه) أن صيغة المتكلم المفرد تغيرت إلى صيغة المتكلم الجمع (إذ تقول الجارية : أن ترسل فى طلبنا وإلا فإننا نموت . . . الخ) ، وهو خطأ شائع فى لغة البردى العامية (Koinē) . وليس من المستبعد أن هذه الجارية تكتب باسمها واسم زميلاتها من جوارى الآنزل .

(٣) ٢٤ أبيب = ١٨ يوليو من سنة غير معروفة . فإذا كانت تلك السنة هى ١١٧ تكون هذه الرسالة قد كتبت بعد يومين من تاريخ رسالة يودايمونيس الى ابنتها أليني (١٦ يوليو ١١٧ ، راجع ص ١٩٨ — ١٩٩ أعلاه) . غير أن ذلك الافتراض يوقعنا فى حيرة من العسير التخلص منها . ذلك أن رسالة الجارية لا تتضمن أى سلام إلى سيدتها أليني التى نعلم من رسالة يودايمونيس أنها كانت مقيمة وقتئذ فى هبتا كوميا . كما أن الرسالة موجهة إلى أبوللونيوس نفسه ، الأمر الذى يدل على وجوده فى هبتا كوميا ، وهذا يتعارض وما فهمناه من رسالة يودايمونيس التى تخلو من أى سلام اليه ، مما جعلنا نرجح أنه كان متغيباً حينئذ عن مقر عمله ، منهمكا فى القتال ضد اليهود فى مكان لا نعرفه . ويلاحظ أيضاً أن الجارية تقول فى ختام رسالتها (إن صحت قراءة ڤيلكن) إن كل شيء عندنا على ما يرام ، وهو غير ما يفهم من مضمون رسالة يودايمونيس إلى ابنتها . لهذا كله نرى استبعاد عام ١١٧ كتاريخ لهذه الرسالة . وفى الحق أنها لا تشير إلى ثورة اليهود من قريب أو بعيد . ومع ذلك فهى تؤكد غياب أبوللونيوس عن هرموبوليس مدة طويلة وانشغاله عن هذه الأمة (وزميلاتها من الإماء) أو عدم رغبته فى استدعائها إلى هبتا كوميا لسبب لا نعرفه .

ولما كانت جميع التدابير التي اتخذتها السلطات الرومانية في مصر لم تقض تماماً على نشاط عصابات اليهود في طول البلاد وعرضها ، فقد بعث الإمبراطور تراجان إلى مصر بقائده القدير ، ماركيوس توربو (Marcius Turbo) ، حاكم داكيا السفلى (praefectus Daciae inferioris) ، على رأس جيش كبير لقمع الثورة ، وأمده أيضاً بقوات أخرى جاءت عن طريق البحر . وكان من المعتقد أنه زوده بسلطة عسكرية استثنائية أعلى من سلطة والى مصر الذى كان فى الأحوال العادية هو القائد الأعلى لجميع قوات الاحتلال . غير أن وثيقة اكتشفت منذ سنوات قليلة فى قيسارية بموريتانيا (مراكش) طالعتنا بحقيقة جديدة وهى أن ماركيوس توربو نفسه كان والياً على مصر[1] . لا بد إذن من أنه خلف الوالى روتيليوس لوپوس الذى لا يرد ذكره فى الوثائق بعد ٥ يناير من عام ١١٧ . ومع أننا لا ندرى على وجه التحديد متى عين ماركيوس توربو والياً فإنه من المرجح أنه وصل مصر عند هذا التاريخ أو بعده بقليل . وإذا صح ذلك فإن مدة ولايته لم تستغرق سوى بضعة أشهر لأننا نسمع عن وال جديد ، يدعى راميوس مرتياليس (Rammius Martialis) ، فى السنة الأولى من حكم هدريان التى امتدت فقط من ١١ أغسطس إلى ٢٨ أغسطس عام ١١٧ وفقاً للتقويم المصرى[2] . وإذ كنا نعلم أن توربو هو الذى أخمد ثورة اليهود وأنه عين فى مستهل عهد هدريان حاكماً (procurator pro legato) على ولاية موريتانيا (Mauretania) بقيصريا ، فقد نستخلص من ذلك أنه ترك مصر حوالى منتصف أغسطس عام ١١٧ ، أى بعد حوالى عشرة أيام من وفاة تراجان (٨ أغسطس ١١٧) فى قيليقيه بآسيا الصغرى (أثناء عودته إلى إيطاليا من حملته

---

(١) *Ann. Epigr.* 1946, No. 113.

(٢) *Cf.* Stein, *Die Praefekten von Aegypten*, pp. 58-61; *cf* however, Oliver, *A.J.P.* 69 (1948), p. 223 f.

ضد البارثيين) ، وحوالى أسبوع من ارتقاء هدريان العرش (١١أغسطس ١١٧) . وبديهى أنه لم يغادر مصر إلى منصبه الجديد إلا بعد أن أخمد ثورة اليهود ، التى تؤيد الوثائق البردية انتهاءها حوالى ذلك التاريخ (منتصف أغسطس ١١٧) ، وتلقى فى الوقت نفسه ضوءاً باهراً على أعقابها . لدينا وثيقة من شقين يحتوى الأول منهما على خطاب مرسل من أبوللونيوس، مدير إقليم هبتا كوميا (كوم اسفحت) ، الذى سلف الكلام عنه ، إلى والى مصر ، راميوس مرتياليس ، يستعجله فيه الموافقة على طلب سبق أن قدمه إليه بشأن أجازة (commeatus) لمدة ستين يوما لكى ينظم فيها شئونه الخاصة . ويحمل هذا الخطاب تاريخ ٢ كيهك (= ٢٨ نوفمبر) من عام ضاع رقمه لحكم الإمبراطور هدريان . ويحتوى الشق الثانى من الوثيقة على صورة من أصل الطلب ، و إليك ترجمة العمود الثانى منه (بعد الديباجة)[1] :

« (انني اطلب هذه الاجازة) لا لأن مصالحي أهملت اهمالا شديدا بسبب غيابي الطويل فحسب ، بل كذلك لان كل ما عندي من ممتلكات تقريبا في قرى اقليم هرموبوليس وفي عاصمة الاقليم (قد تعرض للتلف) اثناء هجوم [2] اليهود الملحدين ، وتحتاج الى الاصلاح . فاذا وافقت على ملتمسي فسوف استطيع بعد ترتيب شئوني الخاصة بقدر الامكان ، أن اضطلع بمهام ادارة الاقليم بروح أكثر نشاطا » .

من البديهى أن الطلب الأول كتب قبل الخطاب الذى استعجل فيه أبوللونيوس

---

(١) *P. Giss.* 41 = *W. Chrest.* 18 = *Sel. Pap.* II 298.

(٢) معنى الكلمة اليونانية هنا (ephodos) اعتداء أو هجوم . غير أن الكاتب يعنى بها دون شك ثورة اليهود التى يعبر عنها فى الوثائق البردية بألفاظ مختلفة متقاربة المعنى مثل : stasis = seditio (نزاع أو فتنة) و thorubos (شغب) و tarachos = tumultus (اضطراب) . لكن يبدو أن اللفظ الأخير كان المصطلح الرسمى الذى عرفت به ثورة اليهود كما هو واضح من نقوش قورينة (برقة) عن هذه الثورة . على أن الثورة عرفت فى المرحلة الأخيرة بالحرب (polemos = bellum) ، وهو ما اشتهرت به فى الأجيال التالية ، راجع: Fuks, *Aegyptus* 33 (1953), p. 155 f.

والى مصر الموافقة عليه ، اى كتب قبل ٢٨ نوفمبر من عام غير معروف . ولن نجانب الصواب إذا قلنا إنه كتب فى أكتوبر أو فى سبتمبر على أكثر تقدير . وإذ كانت لهجة الطلب الأصلى توحى بأن أبوللونيوس كتبه بعد الثورة مباشرة ، فلابد إذن من أنها أخمدت قبل سبتمبر ، أى فى أغسطس أو قبله بقليل . ومعنى هذا أن السنة الضائع رقمها فى الوثيقة هى السنة الثانية من حكم هدريان ، التى بدأت فى يوم ٢٩ أغسطس عام ١١٧ ، وفق التقويم المصرى . وثمة قرينة أخرى . لدينا بردية تحتوى على أغنية أنشدت أغلب الظن فى حفلة تمثيلية أقيمت فى هپتاكوميا ابتهاجاً بجلوس هدريان على العرش[1] . ومع أنهـا لا تحمل أى تاريخ فإنها تنتمى بلا ريب إلى الأسابيع القليلة التى أعقبت ارتقاء هدريان الحكم ، أى تنتمى إلى سبتمبر أو أكتوبر من عام ١١٧ . هذه البردية تشير إلى مدير الإقليم الذى لا يساورنا الشك فى أنه كان موجوداً وقتئذ فى هپتاكوميا ليشرف على تنظيم الاحتفال . وما أن انتهى من ذلك حتى كتب إلى الوالى يطلب منحه أجازة لمدة شهرين لكى ينظم فيهما شئونه الخاصة ويستريح بعد هذا الجهد المضنى الذى بذله أثناء الثورة .

وهكذا انتهت ثورة اليهود الكبرى فى مصر حوالى يوليو — أغسطس عام ١١٧ . وقد تركت فى نفوس السكان أثراً عميقاً وأحدثت جرحاً بليغاً لم يندمل إلا بعد أجيال . وكانت قد بدأت فى شكل فتنة أو نزاع (stasis) بين اليهود والإغريق ، لكنها لم تلبث أن تطورت إلى اضطرابات شديدة أو ثورة (tarachos) انتهت بصدام مسلح أو حرب (polemos) بين الرومان واليهود . وقمع الرومان فتنة اليهود فى

(١) *P. Giss.* 3 = *W. Chrest.* 491.

(٢) لدينا بعض وثائق ترجع فيما يرجح إلى عام ١١٨ يظهر منها أثر هذه الأجازة وكيف استغلها أبوللونيوس فى تنظيم شئونه الخاصة كترميم المتهدم من ممتلكاته أو بناء منازل جديدة تحت إشراف المهندس المعمارى أو المقاول هيروديس . أنظر :

P. Ryl. 233 (June 14); *P. Brem.* 15 (August 29); 48 October 30); *P. Giss.* 20: 67.

الإسكندرية بعد أن خاضوا ضدهم معركة حربية (maché) . وكان الرومان أيضاً أو بالأحرى القوات الرومانية التى أنفذها تراجان إلى مصر تحت قيادة ماركيوس توربو هى التى أخمدت ثورتهم بعد عمليات عسكرية طويلة مضنية فى معظم أنحاء القطر (chôra) . غير أنه يتبين من برديات « أعمال الشهداء الوثنيين » أن المنازعات ظلت قائمة حتى بعد تدخل الرومان ، وتجددت الاشتباكات بين الإغريق واليهود فى الإسكندرية فى مستهل عصر هدريان . وكان الإغريق فى هذه المرة هم البادئين بالعدوان . وأياً كانت العلاقات بين إغريق الإسكندرية والحكومة الرومانية ، فمن الواضح فى ضوء الوثائق البردية أن الإغريق القاطنين بالريف وقفوا إلى جانب الرومان فى قتالهم الطويل ضد اليهود . وواضح أيضاً أن السلطات الرومانية حشدت قوات من الفلاحين المصريين عندما ساء الموقف . و إذا كان القرويون فى إقليم هرموبوليس قد منوا بالهزيمة ، فهذا يرجع إلى أنهم حشدوا على عجل وقذف بهم فى المعركة دون أى تدريب . وقد شاركهم فى الهزيمة الإغريق والرومان . وعلى أى حال فإنه لم يكن هناك من الحوافز ما يدفع هؤلاء الفلاحين إلى القتال بحماس دفاعاً عن الرومان . وليس من المستبعد — كما يذهب رستوفتزف — أن يكون بعض المصريين قد ساعدوا الثوار اليهود[1] . لقد كان المصريون يضيقون ذرعاً بالحكم الرومانى . لكن ينبغى التنبيه إلى أن هؤلاء البعض من المصريين كانوا قلة وهم أحد فريقين : إما من الفلاحين الذين أرهقوا بالضرائب ففروا من مواطنهم (anachôresis) والتجأوا إلى الأحراش والمستنقعات حيث ألفوا عصابات للسلب والنهب وقطع الطرق ، أو من مزارعى الأراضى الأميرية الذين فرضت عليهم السلطات إيواء الجنود فى منازلهم وتموينهم بالأقوات . هذه القلة القليلة من المصريين هى التى يحتمل أنها مدت يد المساعدة للثوار اليهود . وأما سائر المصريين فلم يكن هناك من الحوافز ما يدفعهم إلى تأييد اليهود . فالكراهية كانت قديمة

(١) Rostovtzeff, *Social and Economic History of the Roman Empire* I, 2nd ed (1957), p. 348.

مستحكمة بين الشعبين . هذا إلى أن ثورة اليهود الكبرى كانت ثورة هوجاء عارمة اتسمت بالحقد الشديد على غيرهم من الأقوام . وجميع القرائن تشير إلى أنهم بيتوا النية على إبادة الطوائف الأخرى دون تمييز . وهذا واضح من فداحة الخسائر فى الأرواح وجسامة الأضرار التى أصابت الممتلكات . وقد كنا من قبل نرتاب فى روايات بعض المؤرخين عن فظائع اليهود وأعمالهم الوحشية وعن عدد الضحايا الذين هلكوا أثناء ثورتهم فى برقة وقبرص ومصر . غير أن الوثائق البردية — وإن لم تمدنا بأرقام محددة — لا تدع مجالا للشك فى أن اليهود لم يزهقوا أرواح ألوف عديدة من السكان فحسب ، بل رسموا خطة محكمة لتخريب ممتلكات أعدائهم من رومان ويونان ومصريين ، فأحرقوا المبانى ودمروا الطرق وخربوا الحقول . وقد ظلت بعض الأراضى التى خربوها قاحلة حتى عام ١٤٦ ، ولم ينتج عنها أى إيراد حتى عام ١٥١ ، أى بعد ٣٦ عاماً من انتهاء الثورة [١] .

وتعمد اليهود بالذات هدم معابد خصومهم ، أى معابد الوثنيين فى برقة ومصر دون تمييز . هدموا فى برقة — على نحو ما رأينا — معابد الآلهة اليونانية : زيوس وأبوللون وهكاتى وغيرها ، والمعبد القيصرى ، ولم يسلم من تدميرهم معبد الربة المصرية إيزيس . وفى الإسكندرية هدموا معبد ربة معبد الانتقام نميسيس [٢] ، وربما أيضاً معبد سرابيس [٣] . وكان اليهود فى نظر الوثنيين شعباً غريب الأطوار فريد الطباع ، لايشاركهم فى العادات أو العقائد ، ولا يؤمن إلا بيهوه ، وهو إله

(١) عن أثر الثورة فى الحالة الاقتصادية فى مصر والإجراءات التى اتخذت لمعالجة هذا الأثر ، أنظر :

B.G.U. 889: cf. *P. Brem.* 36 (Introd. p. 83 f.); Rostovtzeff, *Social and Economic History of the Roman Empire* I, p. 367; II, p. 676, n. 50; 699, n. 13.

(٢) . Appianus II, 90.

(٣) Wace *apud* Rowe, *Ann. Serv. Ant. Eg.*, Suppl. II (1946), pp. 62 ff.

حق كل ما خلاه باطل . وقد تولد عن ذلك نفور دينى وصار اليهود فى نظر اليونان كفرة ملحدين (anosioi) ، وهى صفة قد تطلقها طائفة دينية على المارقين منها أو على طائفة أخرى تخالفها فى العقيدة . وقد أطلقت على اليهود فى مصر حتى قبل الثورة . لكن يلاحظ أن هذه الصفة أصبحت أكثر التصاقاً بهم أثناء الثورة من أى وقت آخر . وهم لا ينعتون بها فى وسائل الأفراد الشخصية فقط ، بل كذلك فى المكاتبات الرسمية فضلاً عن « أعمال الإسكندريين » . ولعل أرجح تفسير لذلك هو ذلك الاعتداء الذى شنه اليهود على معابد آلهة اليونان والرومان والمصريين وسائر الوثنيين[1]

وقد ذكرت أن ثورة اليهود خلفت فى نفوس سكان مصر أثراً عميقاً لم يمح إلا بعد أجيال . وقد بلغ من عمقه فى نفوس أهالى أكسيرينخوس أنهم ظلوا يحتفلون بذكرى الانتصار على اليهود بعد انتهاء ثورتهم بحوالى خمسة وثمانين عاماً . ففى عريضة رفعها رجل من ثراة المدينة ، يدعى أوريليوس هوريون ، إلى الإمبراطورين سپتميوس سڤيروس وكراكلا ، يلتمس فيها الموافقة على إنشاء صندوق خيرى تستثمر الأموال المتجمعة فيه لإنفاق أرباحها على إقامة مباريات الشباب وإعانة المرهقين بالخدمات الإلزامية ، نرى هذا الثرى ، لكى يمنع الإمبراطورين بوجاهة مطالبه ، يذكرهما بما أبداه أهالى أكسيرينخوس نحو الرومان من ولاء وإخلاص وصداقة بالقتال إلى جانبهم فى الحرب ضد اليهود ، قائلاً « إنهم ما يزالون يحتفلون سنوياً بذكرى يوم الانتصار على اليهود حتى الآن » ، أى حتى عام ٢٠٢ م[2] .

ومع هذا كله فلم تتوقف الاشتباكات بين الإغريق واليهود فى الإسكندرية .

---

(١) Fuks, *Aegyptus* 33 (1953), p. 157 f.

(٢) *P. Oxy.* 705, col. II, ll. 31-35 = *W. Chrest.* 153.

وقد درجت السلطات الرومانية على إصدار منشورات بين الفينة والفينة تناشد فيها السكان تسليم ما فى حوزتهم من أسلحة . وكانت تقوم أحياناً بتفتيش منازلهم للبحث عنها ومصادرتها . حدث ذلك مرتين فى عام ٣٤/٣٥ و ٣٧/٣٨ على أيام الوالى أفيليوس فلاكوس قبيل فتنة اليهود والإسكندريين فى عصر كاليجولا[١] . وحدث مرة ثالثة فى أكتوبر من عام ١١٥ على أيام الوالى روتيليوس لوپوس عقب الاصطدامات الأولية بين الفريقين بالاسكندرية قبيل ثورة اليهود الكبرى[٢] . ويبدو أن لوپوس أصدر منشوراً بهذا المعنى قبيل إعفائه من منصبه أى فى أوائل عام ١١٧ . إن لم يكن فى أواخر عام ١١٦ . وقد طالب فيه الفريقين المتنازعين بتسليم الأسلحة والانسحاب إلى محال إقامتهم . وما أن استتب الأمن حتى عاد الإسكندريون إلى التحرش باليهود مثيرين بذلك الشغب من جديد . وأخبار هذا الشغب وصلتنا فى بردية ممزقة كمعظم برديات « أعمال الشهداء الوثنيين » تحمل الآن اسم « أعمال پاولوس وأنطونينوس »[٣] . ومع غموض هذه الوثيقة وصعوبة التعرف على حقيقة ما فيها من أحداث وبخاصة تتابعها الزمنى ، إلا أنه يتضح أن الاسكندريين أعدوا مسرحية هزلية مثل فيها أحدهم شخصية لوكواس أو أندرياس ، ملك اليهود الذى تزعم ثورة برقة الأخيرة وزحف على الأراضى المصرية ناشراً فيها الخراب والفوضى[٤] .

وكان المقصود بداهة أن يسخروا منه مثلما سخروا من أجريپا الملك اليهودى ،

---

(١) راجع ما تقدم فى ص ٨٢ .

(٢) راجع ما سبق فى ص ١٨٨ .

(٣) *Acta Pauli et Antonini* = Musurillo, *Acta Alexandrinorum* IX.

(٤) فى رأى أحد الباحثين أن الإسكندريين لم يمثلوا شخصية لوكواس نفسه بل شخصية ملك اليهود أى « المسيح » الذى كان اليهود يراودهم الأمل فى ظهوره وخلاصهم على يديه ، أنظر : A. Fuks, "The Jewish Revolt in Egypt (A.D. 115-117) in the Light of the Papyri", *Aegyptus* 33 (1953), p. 139.

بإحضار معتوه وتسييره فى موكب هزلى هاتفين « مارَنْ مارَنْ » فى عام ٣٨[1] .
وقد أثار هذا العمل حنق اليهود وزاد من حنقهم أن الوالى نفسه ، روتيليوس لوپوس ، لم يسمح فقط للاسكندريين بتمثيل هذه المسرحية بل شهدها بنفسه واشترك معهم فى السخرية من ملك اليهود . ولم يلبث اليهود أن هاجموا خصومهم ونشبت المعارك فى أرجاء المدينة . ولا ندرى إن كان الأمن قد استتب بسرعة أم ظل مختلاً فترة طويلة . وعلى أى حال فقد أعفى لوپوس من منصبه حينئذ وحل مكانه ماركيوس توربو الذى أوفده تراچان إلى مصر على رأس قوات ضخمة لاستئصال شأفة عصابات اليهود المنتشرة فى أنحاء الريف وإخماد الثورة . ووفق توربو فى مهمته — على نحو ما رأينا — ثم عين فى منصب آخر عند ارتقاء هدريان العرش (أغسطس ١١٧) .

وهنا تنتقل بنا البردية إلى دور جديد من أدوار النزاع بين اليهود والإغريق . فقد شرع راميوس مرتياليس ، الذى عين والياً فى السنة الأولى من حكم هدريان فى إعادة تخطيط المدينة وبخاصة الحى اليهودى (أو الحيين ؟) الذى تهدم فى الثورة كل التهديم . ويبدو أنه أصدر منشوراً خاصا بتنظيم مكنى اليهود بالإسكندرية . ولا يتضح إن كان قد أمر بتوزيعهم بين أحياء المدينة الخمسة أو بحشدهم فى حى واحد لإحكام الرقابة عليهم[2] . لكن من الواضح أن المنشور

(١) راجع ما تقدم فى ص ٨٧ .

(٢) كان يهود الإسكندرية ، وفقاً لرواية المؤرخ يوسف ، يسكنون منذ أيام الاسكندر الأكبر (c. Apion. II, 33-35) أو البطالمة (Bell. Iud. II, 487) حى « دلتا » أى الحى الرابع ، فى بقعة جميلة تمتد على الساحل فى شرق القصر الملكى . غير أنهم انتشروا بعد ذلك فى أحياء أخرى ، إذ يقول فيلون ، الذى عاش فى عصر كاليجولا ، « يوجد بالمدينة خمسة أحياء مسماة بأسماء الحروف الأبجدية الأولى . ومن بين هذه إثنان يعرفان بالحيين اليهوديين لأن معظم اليهود يسكنون فيهما ، ولو أن عدداً غير قليل منهم يسكنون متناثرين فى الأحياء الأخرى » (In Flacc. 55) . (راجع أيضاً ما تقدم فى ص ٨٨) . وعلى أى حال فإن فكرة حصر اليهود فى حى معين (ghetto) لم تكن قد ثبتت بعد ؛ راجع :

أثار سخطاً شديداً بين الإغريق الذين أوجسوا خيفة من أن يصبحوا عرضة لهجوم اليهود إذا سكنوا بين ظهرانيهم أو إذا أعيد بناء أحيائهم فى أى مكان . لذلك احتجوا عليه ورفعوا شكاوى إلى الإمبراطور . غير أن الوالى حال دون وصولها إليه مثلما فعل فيبيوس مكسيموس من قبله[1] . وعندئذ تجددت الاضطرابات وسلط الإسكندريون لسانهم على الإمبراطور — كدأبهم — وهجوه بأراجيز ماجنة حتى أن باحثاً يعتقد أن الدوائر الرومانية بالعاصمة ساورها بعض الشك فى أن يكون الإمبراطور السابق نفسه لا الملك اليهودى هو المقصود بالمسرحية الهزلية الآنفة الذكر . وأصدر الوالى راميوس أمراً بالقبض على نحو ستين مواطناً من الإغريق وزج بهم فى السجن مع نفر من عبيدهم الذين اشتركوا فى إثارة الشغب . ثم حدث هجوم على السجن لإخراج هؤلاء العبيد وسادتهم ، وأصيب بعضهم أو قتل من جراء ذلك . ولا يتبين من البردية من الذى فعل ذلك أو لماذا فعله . لكن يفهم منها أن كلا الطرفين ، اليهود والإسكندريين ، ينفى التهمة عن نفسه ويحاول أن يلقيها على خصمه . ولعل كليهما كان ضالعاً فى ذلك : فقد أراد اليهود إخراج العبيد وسادتهم من السجن عنوة للثأر منهم والفتك بهم ، وأراد الإسكندريون إخراجهم لإطلاق سراحهم وحمايتهم . ولعل القارىء قد استرعى انتباهه ذلك التشابه بين أحداث هذه الفتنة وفتنة أكتوبر

=

(Tcherikover, *The Jews in Egypt*, English summary, Jerusalem, 1945. p. 13.

وإذا كان اليهود ، كما يروى يوسف ، قد خصص لهم منذ أيام الاسكندر أو البطالمة حى بعينه ، فإن هذا فى رأى الأستاذ « بل » كان امتيازاً لا امتهاناً لهم :

Juden und Griechen im römischen Alexandreia (1926) p. 43.

ومع هذا فقد تبين من الحفائر التى أجرتها البعثة البولندية الفرنسية فى إدفو أن اليهود كانوا يعيشون فى بعض البلاد منعزلين فى أحياء خاصة مسوّرة .

Jouguet: *La Domination romaine en Egypte* (1947) p. 52 & n. 5.

(١) راجع ص ١٨٣ .

عام ١١٥[١]. وفى الحق أن هناك بين الباحثين من يربط بين الوثيقتين وأحداثهما وينسبها مئماً إلى الفترة السابقة على ثورة اليهود الكبرى[٢]. غير أن الفحص الدقيق لا يعزز هــذا الرأى ، بل يعزز الرأى القائل بأن محاكمة باولوس وأنطونينوس هى أحد ذيول القضية القديمة أو دور لاحق من أدوارها . وأياً كان الأمر فقد انتهى الشغب بتقديم العبيد للمحاكمة وإعدامهم . ولا نعلم عن نتيجة محاكمة زعماء الإسكندريين أمام المجلس الإمبراطورى فى روما — بين ١١٧ ، ١٢٠ — سوى أن الحكم صدر بتعذيب أنطونينوس لإرغامه على الاعتراف بحقيقة ما حدث ، وبإعدام باولوس الذى واجه الموت غير هياب . وسرعان ما أدرج الإسكندريون اسمه فى سجل الشهداء الذين جادوا بأرواحهم دفاعاً عن قضية مدينتهم ضد افتراءات اليهود واستبداد الرومان . وإنه لأمر غريب حقاً أن يقف الإمبراطور هدريان فى صف اليهود بعد ثورتهم الأخيرة ويقضى بمعاقبة زعماء الإغريق . لـكن ينبغى ألا ننسى ما أدخل على محاضر هذه المحاكمات من تحريف وما فعله فيها الخيال حتى تـكتسب طابعاً روائياً يحقق الغرض المنشود وهو الإشادة ببطولة الإسكندريين[٣]. وإليك طرفاً مما وضعه كاتب هذه الوثيقة على لسان الزعيمين أثناء المحاكمة[٤] :

باولوس : **ان ما يعنينى شىء واحد هو القبر الذى اتوقع أن القاه فى الاسكندرية . واذ كنت اسير اليه فلن اخشى ان اقول لك الصدق . فلتصغ الى ، يا قيصر ، اصغاءك الى رجل لا يبقى على قيد الحياة بعد اليوم .**

---

(١) قارن ص ١٨٨ أعلاه .

(٢) Fuks, *Aegyptus* 33 (1953), p. 137 f.

(٣) راجع ما تقدم فى صفحات ١١١ ، ١١٤ ، ١٢٤ .

(٤) *P. Lond.* II, p. 229 f. + *P. Paris* 68 = Musurillo, *Acta Alex.* IX (= Acta Pauli et Antonini), col. vi (p. 52 f.).

والنص مضطرب غامض المعنى فى بعض الأجزاء بسبب أغلاطه النحوية

انطونينوس : مولاى قيصر ! اقسم بملاكك الحارس انه يقول الصدق كما يقوله رجل لا يبقى على قيد الحياة يوما آخر . لانه «عندما لاقينا اضطهادا شديدا ارسلنا اليك رسائل (اى شكاوى) كثيرة (تقول ان الوالى) قد أمر اليهود الملحدين بنقـــل مساكنهم الى مكان يستطيعون منه مهاجمة مدينتنا ذات الاســـم الميمون وتخريبها دون عناء ، واذا كنت لم تتلـــق بيديك الكريمتين اى رسالة عن هذه الامور ، فان ذلك يفسر سبب كلماتك الجليلة . من الواضح اذن ان ذلك (العمل) قد ارتكب ضدك حتى لا يكون لديك دليل على ما اصابنا من ويلات . »

محتويات الكتاب

صفحة

الفصل الأول

مصر والجمهورية الرومانية

الفصل الثانى

أغسطس وتيبريوس

الفصل الثالث

كاليجولا وكلوديوس ونيرون

الفصل الرابع

فسبسيان وتيتوس ودوميتيان

الفصل الخامس

تراجان وهدريان

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ٨٨/٨٤٧١
الترقيم الدولى ٥ — ٤٣٦ — ٠٤ — ٩٧٧

مطبعة العمرانية للأوفست
٣٤ شارع زهران بالعمرانية الغربية
العمرانية الغربية — جيزة
ت : ٥٣٧٥٥٠